مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الديوان الغربي للشاعر العربي

الجزء الأول

د. محمد مصطفى أبوشوارب   د. إيهاب النجدي

الديوان الغربي للشاعر العربي

الجزء الأول

أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب
د. إيهاب النجدي

الكويت

2011

المراجعة والتدقيق الطباعي

إسلام هجرس

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

صار حوار الثقافات والحضارات موضوع الساعة الراهنة وبالتالي الموضوع الحيوي للمستقبل برمته لاستمرارية بناء هذا الكوكب وسلامة من يعيشون عليه، ولم يكن هذا الحوار غائبًا في الماضي بل إنه كان يطفو على سطح العلاقات الدولية أحيانًا، ويغور إلى القيعان أحيانًا أخرى. لكن في كل الأحوال لم ينقطع التأثر والتأثير بين الثقافات والحضارات بأشكال ومظاهر عديدة.

وكان الشعر في مقدمة عوامل التأثر والتأثير، إذ لم نعدم في معظم الأوقات نفرًا من الشعراء في الغرب تنبهوا للشرق وفضائله الإبداعية وتراثه الأدبي والحضاري الواسع فنهلوا منه وأبرزوه في ثنايا إبداعاتهم.

وبالمقابل كانت هناك نخبة من مبدعي الشرق - والعرب في المقدمة منهم - قد تأثروا بمعطيات الغرب الحضارية الجديدة التي دفعت العالم إلى الأمام، فكتبوا عنها وأبرزوها في ثنايا إبداعاتهم، وكانت هذه النخبة قد خبرت الغرب/ الآخر عن قرب من خلال الزيارات الميدانية أو تلقي العلم أو ممارسة العمل في الغرب، فكتبت إبداعاتها عن قرب وتجربة وخبرة، ومثلما كتب المبدعون العرب بإعجاب عن تجربة التقدم الغربي الحضارية، فإنهم لم يغفلوا انتقادها وإبداء الرأي فيها من منظورهم، وكان أشد ما لاقاه الشرق من الغرب تلك الحملات الاستعمارية التي وجدت صداها المرير في حلوق الشعراء وعلى لهواتهم كونها اعتداءً مباشرًا على شعوبهم وأوطانهم، فرسموا من خلال تلك الإبداعات صورة أُمم الغرب في آداب أمم الشرق، وكانت تلك الإبداعات بمثابة سجل لأحداث تاريخية كثيرة.

إن ما كتبه شعراء العرب عن الغرب في شتى المجالات والمناسبات هو الجانب الذي يهمنا في هذا الكتاب، وكانت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري قد أصدرت كتابًا في العام ٢٠٠٨ عن (صورة الغرب في الشعر العربي الحديث) للدكتور إيهاب النجدي، ولكنه كان دراسة أكاديمية، أما هذا الكتاب وعنوانه (الديوان الغربي للشاعر العربي) ففيه رصد لقصائد عربية كاملة في هذا المضمار للشعراء العرب الراحلين والأحياء، تحدثت عن الغرب في كل مناحي الحياة ورصدت منعرجات الأحداث بدقة مشاهد العيان وبنفسية المُعاني المتعرض للأحداث مباشرة، فرأت المؤسسة إصداره بمناسبة انعقاد (ملتقى الشعر من أجل التعايش السلمي) في دبي، ليكون في أيدي الباحثين والدارسين.

عزيزي القارئ..

غني عن القول أنه كان من العسير التقصي التام لنتاجات الشعراء العرب الذين كتبوا عن الغرب، ولكن في رأيي أن الكتاب قد ألمَّ إلمامة واسعة بمعظم الشعراء العرب المعنيين وبقسم كبير من كتاباتهم، وحسبنا وضع لبنة في صرح هذا البناء الكبير إلى حين تصدي آخرين لهذا الموضوع وإعطائه حقه من البحث سواء في جانب الدراسة واستخلاص النتائج أو جمع المختارات التي تعنى بموضوع الحوار والتثاقف.

ختامًا أرجو لك عزيزي القارئ متعة القراءة المقرونة بالفائدة واستخلاص العبر من إبداعات شعرائنا، ويسعدني تقديم جزيل الشكر لمعدي هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى أبوشوارب والدكتور إيهاب النجدي، منوهًا بما بذلاه من جهود في الجمع والتبويب والدراسة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت ١٧ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

الموافق ٥ من أكتوبر ٢٠١١ م

****

مقدمة

في حقبة فارقة، من حياة أوربا، عصف بها الاضطراب، وارتوى أديمها بدماء الألوف من القتلى والجرحى، وازدحمت أجواؤها بدخان الصراعات والحروب، ثم كانت القاصمة حين اجتمعت عروش وشعوب على نسر أوروبا المهيض «نابليون» وهزمته في واترلو (١٨١٥م)، هنالك يزمع شاعر الألمان الأكبر « يوهان ولفجانج جوته» (١٨٣٢م) – بعد سقوط نجمة نابليون – على الهجرة إلى الشرق، ولم تكن هجرته مادية، ينتقل فيها الجسد من مكان إلى آخر، وإنما كانت هجرته روحية خيالية، وإن مازجتها رحلة قام بها الشاعر إلى منطقة الرين الجنوبية، حيث دفء الشمس، وجهارة الضوء، يهيئان الأرجاء لتغريد الطيور، وتبزغ الفرصة الأخيرة للشاعر الشيخ لعود الشباب وفورته، حين تأتي «مريان» أو «زليخا» – وهو الاسم الذي اختاره لبطلة غزلياته – لتعصب جبهته بعمامة شرقية «ناصعة البياض، فضفاضة الأطراف»، ليعزف الحب لحنه الشجي في قلب جوته أو «حاتم» – كما أحب أن يسمى في أشعاره – ويولد «الحنين السعيد» إلى موطن الإنسانية الأولى أو الشرق.

آبَ الشاعرُ من رحلته الروحية والمادية – بعد أن بلغ من القصة الشائقة غايتها – بحصاد فريد، تمثل في رائعة إبداعاته الشعرية ، وهو ديوانه الموسوم «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، كما سماه هو بهذه الصيغة العربية، يتصدره «نشيد الهجرة»، وفيه يتخلى عن أهوال واقعه، ليذوب نَفْسًا وحسًّا، في عوالم الشرق الساحرة، وترجيع الألحان في لياليه المقمرة، وتضوع المسك والبخور من

ردهات قصوره، وانتشاء الطبيعة بألوان الحياة، معلنًا رغبته الأكيدة في الرحيل إلى عصور الفطرة بآفاقها الرّحبة، حيث الإيمان الواسع، والرضا القانع، والحب والشباب الذي يود أن يعود، يقول:

«الشمال والغرب والجنوب، أقطارها تتناثر بددًا، وعروشها وممالكها تنهار. فهاجرْ وامضِ إلى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الأوائل الطيبين، وبالحبِّ والنشوة والغناء يردّ عليك «الخضر عليه السلام» القائم على عين الحياة، ريعان صباك.

هناك في ظل النقاء والصدق تطيب لي الرجعى إلى نشأة الإنسانية الأولى، إلى الأزمان التي تلّقى فيها بنو الإنسان كلمة الحقّ منزّلة من الله بلسان أهل الأرض، فلم يقدحوا فكرًا ولم يكدّوا ذهنًا إلى تلك الأزمان التي كانوا فيها يبجِّلون السّلف، وينهون عن كل دين غير دينهم.

أريد معاشرة الرعاة في المنتجعات، والاسترواح في ظلال الواحات، والارتحال مع القوافل متجرًا في الشيلان والبن والمسك، طارقًا كل درب من البوادي إلى الحضر.

وهناك في الشرق في ردهات حماماته وبين جدران حاناته، أريد أن أذكرك يا مولاي حافظ. وقد رفعت حبيبتي خمارها، وتضوع الطيب من غدائرها المهدلة المضمّخة بالعنبر».[1]

---

(١) عبدالرحمن صدقي، الشرق والإسلام في ادب جوته، كتاب الهلال، العدد ١٩٥،□و□ية ١٩٦٧م: ص ٩٨ - ٩٩.
وهذا الحضور الشرقي لم يكن قاصرًا في الحقيقة على ادب جوته، فقد كانت الدعوة إلى الهجرة الروحية إلى الشرق، وكشف أسراره ظاهرة ماثلة لدى أصحاب الاتجاه الرومانتيكي عامة، في القرن التاسع عشر، وتجلت اكثر ما تجلت عند الفرنسيين، امثال شاتوبريان في كتابه «عبقرية المسيحية»، ولامارتين في «رحلة في الشرق»، وفيكتور هيجو في «المشرقيات». راجع؛ عبدالرحمن بدوي، مقدمة ترجمته للديوان الشرقي للمؤلف الغربي. ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
والمقصود بمولاي حافظ في نص جوته هو حافظ الشيرازي (ت ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) جمع في غزله الحسية والروحية ، لقب بـ «لسان الغيب وترجمان الأسرار» .

وهكذا استلهم جوته «الديوان الشرقي» من تلك الأجواء الشرقية الخالصة، يستحضرها خياله الخصيب، ويستغرق فيها كالعاشق القديم، وهو خيالٌ دعائمُهُ الدرس والإحاطة بموضوعه والتأمل الطويل والملاحظة الحصيفة، والناظر في أسفار الديوان الاثني عشر، وقد سميت بأسماء شرقية مثل كتاب المغني وكتاب حافظ وكتاب زليخا - يدرك إلى أي مدى كان الشرق حاضرًا بثقافته الأدبية والتاريخية والروحية، وعطائه الحضاري في أدب جوته، وهو الأمر نفسه الذي يمكن أن نجده في دراساته وقصصه ومسرحياته وأشعاره. ولعل مرجع الأهمية في ذلك ومبلغها، يعود إلى أنه أحد ثلاثة تفخر بهم أوربا وتزهو: دانتي الإيطالي، وشكسبير الإنجليزي، وجوته الألماني.

ولم يكن ديوان شاعر الألمان العظيم غائبًا؛ عنوانًا ومحتوًى، عند تخلُّق «الديوان الغربي للشاعر العربي»، فكرة وإعدادًا. وإذا كان الديوان الألماني صنعة شاعر واحد ذي موهبة فذّة؛ فإن «الديوان الغربي» ثمرة قرائح عديدة لشعراء وشواعر يمثلون أجيالًا متعاصرة ومتعاقبة، بقدر ما يمثلون روافد وفيرة لنهر شعري متدفق، تجانست أجزاؤه، وتآلفت تياراته. فكانت هذه المختارات - عزيزي القارئ - بنت عصرها، عصر القرية الكونية الصغيرة، جدة في الموضوع، وثراء في أساليب التعبير. ولا يعني ذلك أن الآخر الغربي جديد تمامًا على الشعر العربي، فالشواهد تدل على أن وجوده كان أسبق في الواقع من وجود الشرق في أدب الغربيين، وإن اتشح في بادئ الأمر بوشاح الطرافة والمغايرة والتصوير العابر لمعالم خارجية وأوضاع اجتماعية، لا تنفذ إلى بواطن نفسية عميقة. وحسبنا من الشعر القديم صورة تغني عن كلام كثير، فقد كانت بغداد العباسية ترفل في ثوب الحضارة القشيب، وتأتي إليها وفود الإفرنج لتجديد الولاء ودفع الجزية وتقديم الهدايا للخلفاء، ومنهم الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) الذي جاءه وفد من الروم (أو الإفرنج) سنة ٢٤١ هـ حيث كان الفداء فيها بين المسلمين والروم،

فأمر باستقبالهم في بلاطه وإكرامهم، ورأى شاعره - حينئذٍ - البحتري أن يهديه تفصيلًا من تفاصيل تلك الزيارة، فقال :

وَرأيـــت وفـــدَ الـــروم بَـعـدَ عـنـادهـمْ
عـرفـوا فـضـائـلَـكَ الـتـي لا تُجْـهَـلُ
لَـحظُوكَ أوَّلَ لحظةٍ فاسْتَصغروا
مـن كـان يُـعْـظَـمُ فـيـهِـمُ ويُـبَـجَّـل
حضروا السِّماطَ فكلما رامُـوا القِرَى
مـالَـت بـأيـديـهـمْ عـقـولٌ ذُهَّـل
تَـهْـوي أكُـفُّـهـمُ إلـى أفـواهِـهـمْ
فَتَجـورُ عـن قصـدِ السَّبيلِ وتَـغْـدِل
مُـتـحـيِّـرونَ فـبـاهِـتٌ مُـتـعـجِّـبٌ
ممَّـا يَـرَى أو نـاظـرٌ مُـتـأمِّـل
ويـودُّ قـومـهُـمُ الأُلَـى بـعـثـوا بـهمْ
لـو ضـمَّـهُـم بـالأمـس ذاك المحْـفِـل(١)

إن الصورة التي رسمها البحتري بالغة الدلالة، وإن مازجتها الدعابة اللطيفة، والإشفاق الحضاري، إن جاز التعبير، فالدهشة التي أصابت رجال «الإفرنج»، والذهول الذي أخذ بعقولهم من جراء ما شاهدوه في بلاط الخليفة من فخامة وروائع فنية، ثم السماط الذي وضع أمامهم عامرًا بألوان الطعام، جعلهم لا يحسنون التصرف، وظهر افتقارهم الواضح لآداب المائدة (الإتيكيت)، فأي بون حضاري كان بين شرق ذلك الزمان وغربه !

وربما ذلك - البون - ما جعل شاعرًا بحجم ابن الرومي (وهو الأعجمي أصلًا - أب رومي وأم فارسية) يعود إلى الماضي، فيتكئ على تاريخ أجداده اليونان، ليتطاول بهم، ويستمد منهم عناصر الفخر، وإن حاول الإباء، يقول :

(١) ديوان البحتري، عني بتحقيقه و شرحه؛ حسن كامل الصيرفي، ط٣ دار المعارف، ١٩٧٧م: م٣ ص١٥٩٥-١٥٩٨.

ونحن بنو اليونانِ قومٌ لنا حجًا
ومجدٌ وعيدانٌ صِلابُ المعاجمِ
وحلمٌ كأركانِ الجبال رزانَةً
وجهلٌ تفادى منه جنُّ الصَّرائمِ[1]

لقد ظلت الحلقات بين الشرق والغرب متصلة، عبر حقب التاريخ المتطاولة، وتعددت لقاءات النضال والفكر، منذ لقاء المسلمين بالروم في تبوك واليرموك، وفتوح العرب في صقلية والأندلس وجنوب فرنسا، ثم الاصطدام العنيف بين أوروبا المتحدة وبين الإسلام تحت شعار الحروب الصليبية، وسقوط القسطنطينية في يد الأتراك، وبسقوطها فتح باب أوربا للزحف الإسلامي، إلى أن جاء القرنان التاسع عشر والعشرون الميلاديان، فاتسع الاتصال، وقويت أسباب الاحتكاك، وتنوعت طرق التواصل الحيوي بين شرق منهك يتلمس طريق النهضة من خلال البعثات والرحلات، وبين غرب متحفز يفرض وجوده من خلال الاحتلال والاستبداد بالمقدرات، وتقدم علمي غير محدود.

والوقوف على صورة شعب في أدب شعب آخر، من الأهمية بمكان حيث لا يتم «التعارف» الواجب والضروري بين الذات والآخر إلا به، وربما على أساسه تتشكل طبيعة الاتصال، في الحاضر والمستقبل، وقد بيّن غنيمي هلال دور هذا اللون من الأدب في حياة الأمم، فقال: «إن للصور الأدبية للشعوب – كما تنعكس في مرآة آدابها – تأثيرًا عميقًا في علاقاتها بعضها ببعض، أيًّا كان نوع تلك العلاقات، ولها كذلك تأثير على عقول قادة الأمة من الساسة والمفكرين في تكوين رأي عام قد ينتج عنه اتجاه خاص في علاقاتها مع غيرها. وكل هذا من نواحي النشاط الأدبي في الميادين الدولية...» وبهذا يمهد هذا الأدب «لكل أمة أن تعرف مكانتها لدى غيرها من الأمم، وأن ترى صورتها في مرآة غيرها من آداب الشعوب، ويتاح بذلك لها

(١) ديوان ابن الرومي ، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٣م: جـ٦ ص٢٢٧٢.

أن تعرف نفسها حق المعرفة، وأن تحاول تصحيح وضعها أو الدفاع عن نفسها، وبذلك تتهيأ الفرصة للتفاهم الحق والتعاون الصادق بين الشعوب».[1]

وإذا كانت كلمة الغرب ليست أمرًا متفقًا عليه، وتنتج دوائر دلالية عديدة، فإن مقصد هذه المختارات هو الغرب الأوروبي في جغرافيته السياسية والطبيعية والبشرية والطابع الثقافي لمجموعة الدول التي تكونه، وتسعى إلى رصد تجليات حضوره في ديوان الشعر العربي الحديث والمعاصر. وقد شكلت علاقة الشرق بالغرب نسيجًا فكريًّا وأدبيًّا، بدأ مع بواكير النهضة العربية الحديثة، ومازالت خيوطه لم تعقد حتى الآن، وجسدت الملامح الفارقة بين الشرق والغرب أو «نحن» و«الآخر» لحمة هذا النسيج وسداه، وعلى أساسها رسمت الأبعاد وتحددت الزوايا والظلال، وكما فرض الغرب نفسه على الشرق، عندما جاءه في صور شتى: محتلًّا للأرض، ورحالة يتفرس الوجوه والأشياء، ومستشرقًا يتفحص الدفاتر ويرتاد المكتبات العتيقة، ومقيمًا بين ظهراني الناس يخالطهم ويخالقهم بصنوف الأخلاق، فضلًا عن الإرساليات التبشيرية والتعليمية – استطاع الشاعر العربي بفضل منجزات الحضارة الحديثة العبور إلى الشاطئ الآخر، دارسًا وسائحًا ومهاجرًا ومنفيًّا، ولم يدخر جهدًا في التعرف والتعارف، والاكتشاف والتعلم، والنظر والتحليل، والوصول إلى نهاية الشوط من المغامرة، ووطئت قدماه الأقصى من خريطة المعمورة، وسكنت موسيقى قصائده في شكليها المحافظ والمجدد أسماء غربية مثل: باريس وسِدّان، وجنيف، وبرلين، ومدريد، ولندن، ويمتد التفصيل على سبيل المثال إلى اليونان ومدينتها أثينا وجبالها: الألب، وفلاسفتها: سقراط، أرسطو (أرسطاليس)، وآلهتها القديمة: باخوس، أفروديت، أبوللو. وهناك إيطاليا ومدنها: روما ونابولي وفلورنسا وجنوا والبندقية (فينيسيا) وما تضم من معابد: البانثيون،

---

(١) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت: ص٤١٠.

وجبال التيرول، وبحيرة كومو، وبركان فيزوف، وموسيقارها فردي، وأديبها دانتي، وأشهر قادتها: يوليوس قيصر ونيرون...

وتحول الموضوع من مجرد مقاربة تقصد المغايرة أو الطرافة إلى تداخل حميم واشتباك فكري دؤوب مع الآخر، وكادت الصورة العابرة تتحول إلى «صورة مهيمنة» Controlling image ، تواصل وجودها عبر معظم أعمال الشاعر الواحد.

نبتت قصائد هذه المختارات على أرض فكرية وأدبية، زاخرة بحوار واسع ومستمر، حول قضية العصر، وهي علاقة الشرق بالغرب، بدأ مع بواكير النهضة العربية، ولما ينته، خاصة عندما يشتبك بجدليات لا تنفصل عنه في كثير من الأحوال، مثل التراث والمعاصرة، المادية والروحية، العقل والنقل، الصراع والتحالف. إن من أبرز ملامح العصر أنه «عصر معنويات ومثاليات وثنائيات فكرية، هو عصر «القيم الروحية» المضادة «لصراعات المادة» و«الروح الشرقية» المغايرة «للروح الغربية» والثقافة بين «الشرق والغرب» أو بين الفطرة والعلم و «هل يوجد اليوم شرق؟» (كما يتساءل توفيق الحكيم في مقال له بهذا العنوان عام ١٩٣٨)، كما هو عصر الجديد والقديم و «الأدب الحي» المعارض «لأدب الصنعة» الذي يجتر القديم الغابر و «أدب الروح» المناهض «لأدب المعدة» و«أدب الضعف»[١].

وإذا كان «محسن» توفيق الحكيم ينتهي في «عصفور من الشرق» بعد حديث مطول عن الشرق الروحاني الآدمي، والأوروبي المادي الآلة: «نعم... اليوم لا يوجد شرق!.. وإنما هي غابة على أشجارها قردة ، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا إدراك»[٢] فإن أحمد حسن الزيات ميّز من قبل بين حضارة الغرب وحضارة الشرق: «هذه تقوم على الروح، وتلك تقوم على الآلة، وهذه تصدر عن

---

(١) ناجي نجيب، توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة، ط دار الهلال، ١٩٨٧م: ص٤٤-٤٥ .

(٢) توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، ط مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨٤م: ص٢٠٤.

العاطفة والإيثار، وتلك تصدر عن المنفعة والأثرة، والميزة التي ينبغي أن تكون لحضارة على حضارة إنما هي ضمان السعادة للناس وتحقيق السلام العالمي»[1].

تبرز المقابلة بين الغرب الأوروبي والشرق العربي، أو المقارنة بين حالتين متباعدتين في مثل قصيدة «رحلة حافظ إلى إيطاليا»، وقد راعى فيها حافظ إبراهيم تقاليد الرحلة في الأدب العربي: وصف البحر، السفينة، المخاطر، المعالم والآثار، لكن عين الشاعر/ السائح العابر؛ تقع على كل ما يفارق العالم الذي غادره – بعد رحلة عاصفة – ويباينه من كل وجه، في المظاهر الطبيعية حيث شمسهم مثل فتاة شرقية محجبة من الضباب والغيم، وشمسنا مثل غربية سافرة من الصحو والصفاء؛ وحيث التصوير المكرور، الذي يتوقف عند السطح، وفي الأخلاق والسلوك يستمر حافظ في أدائه الساخر المتهكم، فيقارن بين الأخلاق الشرقية والأخلاق الغربية، ولا يخفي إعجابه ولا «دهشته» من ولع الغربيين وجمعهم في صعيد واحد بين قيم الجد والمتعة: احترام الوقت والعمل، وتسخير العلم مع النظام والنظافة والاخضرار والمسرّات. وعندما تستبد به الحسرة والمرارة والغيرة، فإنه يمدحهم بالنفي «لا ترى في الصباح لاعب نرد» ، ولا مترددًا على «القهاوي» و « لا يبالون بالطبيعة»، كي يثبت – آسفًا – كل ما نفاه عنهم للشرق وأهله:

قسَموا الوقتَ بين لهوٍ وجِدٍّ
في مدى اليوم قسمةً لا تَجورُ
كلّهم كادحٌ بَكورٌ إلى الرزْ
قِ، ولاهٍ إذا دعاهُ السُّرور
لا ترى في الصَّباح لاعبَ نرْدٍ
حولَهُ للرِّهان جَمٌّ غفير
نضَروا الصَّخرَ في رؤوس الرَّواسي
ولدينا في مَوْطنِ الخِصْبِ بُور

---

(١) أحمد حسن الزيات، الراديو والشاعر، مجلة الرسالة، السنة الثانية العدد ٧٨ بتاريخ٣١/١٢/ ١٩٣٤م: ص٢١٢٢.

قد وقفنا عندَ القديم وساروا
حيثُ تَسري إلى الكمال البُدور

ويحاول في نهاية الأمر، أن يكون موضوعيًّا، فيدلي برأي إجمالي في الحياة الأوربية (حيث كثرة القوانين والنظم المقيدة للأفراد) لكنه «قول شاعر لا يضير»:

فإذا ما سَألْتَني قلتُ عنهمْ
أمةٌ حُرّةٌ وفردٌ أسيرُ[1]

إن صدمة اللقاء المباشر بالحضارة الغربية على أرضها، أنتجت كثيرًا من المقابلات التي تمتح من المباشرة أحيانًا، لكنها صنعت من بعضهم شاعر رحلة، و«إثنوجرافي» يُعنى بوصف «المشاهد والمحسوس لواقع الحياة اليومية لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة، متضمنًا ذلك مجموعة القيم والتقاليد والعادات والآداب والفنون، وكل ما يندرج تحت ذلك الكل المركب الذي اصطلح على الإشارة إليه بكلمة (ثقافة)»[2].

في مقابل ذلك أيضًا، كان رفض الشاعر العربي للوجه السياسي للغرب واضحًا، وشغل مساحة عريضة لديه، مستندًا إلى تفاصيل مريرة ، وإلى كون الغرب المحتل الأبرز لخريطة العالم في العصر الحديث، وكانت الآلة الحربية الرهيبة هي المكون الأساسي لخطوطه وظلاله. وكان الشرق العربي خلال العصر الحديث مفعولًا به في كثير من الأحوال، وكان الغرب فاعلًا باحتلال الأرض والبطش بالناس والاستبداد بمقدراتهم، يقول جمال حمدان: «إن الاستعمار كله ما تم إلا على يد أوروبا وما تم إلا خارجها، ولم يحدث في التاريخ الحديث أن استعمر جزء من أوروبا باستثناء نقاط من الاستعمار الاستراتيجي في جبل طارق ومالطة وقبرص..

(١) ديوان حافظ إبراهيم: جـ١/ ٢٣٠- ٢٣٢.
(٢) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات: ص١٦٥.

لقد كان الاستعمار - بوضوح - صناعة أوروبية مسجلة ولكنها للتصدير إلى خارج أوروبا فقط وغير قابلة للاستهلاك المحلي بحال»[(1)].

وقد واكب الشاعر العربي الأحداث، وعبّر عن روح النضال والمقاومة من أجل الاستقلال، ولم يغفل عن الهزات والقضايا المصيرية أو الأزمات والمحن التي أصابت الأمة والعالم. ولأن التفاصيل كثيرة، ومن الصعوبة بمكان الإلمام بها جميعًا، والتلبث عند وجودها في الشعر، فإن ما أمكن انتخابه في هذه المختارات هو ما وضحت آثاره الفنية، وأسهم في تشكيل الوجه السياسي للغرب، وموقف الشعراء منه، وربما تقاطعت - في هذه السبيل - الرؤى الشعرية لهذا الجانب مع تجليات شعر الوطنية والمقاومة.

لقد أظهرت الحروب المتوالية تناقضًا ضخمًا تجاه الحضارة الغربية، فالإنسان الذي نفذ إلى قلب الذرة، وتمكّن من إطلاق الطاقة الكامنة بين جسيماتها، وسخّر الأثير وتحكم بالكهرباء وصنع الطائرات - هو الإنسان الذي يسخّر العلم من أجل الدمار ويعرض مفاخر البشرية للخراب، إنه - باختصار وفي تقدير الشاعر محمد عبد الغني حسن - عالم مجنون، يتحكّم فيه عقل صحيح وقلب مريض، وتفتك به التناقضات، من وحي الحرب العالمية الثاني يقول:

أرى العالَمَ المجنونَ تُبْرِمُ أمْرَهُ
عقولٌ صحيحاتٌ وأفئدةٌ مرضى
لقد سوَّدَ الناسُ السّماءَ وقائعًا
كما زَلزلوا بالخيل والغارةِ الأرضَا
تَغَنَّوْا بألحانِ السلامِ جميلةً
ولم يُمْهلونا نَجْتني زهرَها الغضَّا

(1) جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، ط دار الهلال، د.ت: ص١٥٠-١٥١.

عجبتُ لهم قد حرَّموا القتلَ مُفردًا
ويَقتلُ في الهيجاءِ بعضهُمو بعضا[1]

وإذا ما انتهت الحرب ظلت الأسئلة مشرعة في أفق الإنسانية، تبحث عن الاستحقاقات الواجبة، فهل تحققت الوعود؟ أم بقي الحصاد مريرًا، مرارة الفقد، لأن الغرس لم يكن سوى الدمار والموت، يقول ميخائيل نعيمة في قصيدته الشهيرة «أخي»:

أخي! إن ضجَّ بعدَ الحرب غربيٌّ بأعمالِهْ
وقدَّسَ ذكرَ من ماتوا، وعظَّم بطشَ أبطالِه
فلا تهزجْ لمن سادوا، ولا تشمتْ بمن دانا
بَلِ اركَعْ صامتا مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامِ
لنبكي حظَّ موتانا[2]

من زاوية أخرى، ظهر وجه جمالي للغرب، متعدد العناصر، تشكل عبر التجربة الشخصية والمشاهدة والعيان، فوقف الشاعر على مشاهد من الطبيعة الأوروبية ، وظواهرها وأجوائها الباردة، وتجول في المدن مستوعبًا ما استحدثه إنسانها من بدائع ومخترعات، وبالإجمال ما اشتملت عليه أرض الغرب وسماؤه وما بينهما. وحظيت – على سبيل المثال – مدينة باريس، بنصيب وافر من العناية الأدبية، من وفودها من الشعراء، لأن باريس لم تكن مجرد مدينة ذات صفات جغرافية بل عالمًا من الدهشة والألفة، وكذلك مرتعًا للغرائب والمتناقضات، عند الرحالة والأدباء العرب منذ زمن رفاعة الطهطاوي وربما حتى الآن. ومن هذا التصوّر نبتت كل

(١) الرسالة، العدد ٣٩١ بتاريخ٣٠/١٢/١٩٤٠م. قصيدة: القلوب المرضى.
(٢) محمد عبد الغني حسن، اشعار وشعراء من المهجر، ط كتاب الهلال، العدد ٢٦٦ سنة ١٩٧٣م: ص٣٤.

صور الإعجاب والمدح والتفضيل على العواصم الأوروبية الأخرى. فشاعر مثل أحمد شوقي، يحتفي بباريس على نحو لم يتكرر مع مدينة أوروبية أخرى، فكتب عن ذكرى «غاب بولونيا» ووصف «قسم الأزهار» و «ميدان الكونكورد» ثم كانت قصيدة «باريس»[1]، ويظهر فيها جميعًا التجربة الشخصية والعلاقة الخاصة التي نشأت من إقامته بها دارسًا (١٨٩٠ - ١٨٩٣م). وكما يلاحظ غلبة ماضي بعض المدن الأوربية على حاضرها في تصوير الشعراء العرب لها، فتحضر الأندلس ومدنها (قرطبة، إشبيلية، غرناطة..)، ويخفت ظهور الحاضر الإسباني وإيقاع الحياة فيه، خاصة لدى شعراء النهضة، أما إسبانيا المعاصرة فنجد تجلياتها لدى شعراء الأجيال التالية مثل الشاعر عبد الوهاب البياتي في ديوانه « بستان عائشة»، والشاعر عبداللطيف عبدالحليم في مثل قصائده: كارمن إشبيلية، وكارمن قرطبة، وسنيور خوستو، وماريسا عباد[2].

ومن الظواهر اللافتة للنظر، بروز النزعة الإنسانية لدى الشاعر العربي، واتساع تجاربه وأدواته التعبيرية عنها، وذلك من خلال المواقف الإنسانية والأحداث العالمية التي اهتز لها وجدانه، ومن خلال تقدير عظماء الغرب ومبدعيه، والاعتراف بفضلهم ودورهم الأدبي والتاريخي بغض النظر عن جنسياتهم وقومياتهم ومعتقداتهم، كما تجسّد التفاعل الإنساني بين رجل من الشرق وامرأة من الغرب. ومضى الشعراء إلى أبعد من ذلك، فعبروا حواجز عديدة من الاختلاف الجنسي والديني والحضاري والتاريخي، ليدعوا إلى وحدة إنسانية، تنبذ الاختلاف الهدام والعداء، وتؤسس للتسامح والإخاء، يقول شوقي:

---

(١) انظر ديوان شوقي جـ١/ ص٧٤-٧٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٦-١٢٨. هذا فضلًا عن وقفته المطولة «على قبر نابليون» جـ٢/٥٦٤-٥٧٠، و«ذكرى هيجو» جـ٢/٤٦١-٤٦٢.

(٢) راجع، عبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام)، اغاني العاشق الأندلسي، ط١ الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

مـا كـان مُـخْـتَـلـفُ الأديـــان داعـيـةً
إلـى اخـتـلاف الـبَـرايـا أو تَـعـاديـهـا
الـكُـتْـبُ والـرُّسـلُ والأديــانُ قـاطـبـةً
خـزائـنُ الـحـكـمـةِ الـكـبـرى لِـواعـيـهـا
مـحـبـةُ الـلـهِ أصــلٌ فـي مـراشـدِهـا
وخـشـيـةُ الـلـه أُسٌّ فـي مـبـانـيـهـا
تَـسـامُـحُ الـنَّـفـسِ معـنـىً مـن مُـروءَتِـهـا
بـلِ المـــروءةُ فـي أسـمـى مـعـانـيـهـا[1]

وعلى كل، فليس من وكد هذه السطور إنجاز قراءة مفصلةٍ للظواهر الأدبية التي شكّلت رؤية الشاعر العربي للآخر الغربي[2]؛ لكن ما يمكن ملاحظته بجلاء هو أن تلك الرؤية لم تعمل على رسم صورة ثابتة وحيدة للغرب، بل تعددت الصور بتعدد زوايا النظر، وتنوّعت حتى لتتفاوت عند الشاعر الواحد في كثير من الأحيان، وليس ثمّة تناقض في ذلك، فالتناقض يولد من اختلاف وجوه الغرب ذاته، ومن ثَمَّ لم يخلق الشاعر العربي «صورة نمطية» mode image للغرب، ولم يسع إلى «تنميط الآخر» وإنما تطلّع ببصره – أكثر ما تطلع – إلى مدنية الغرب الحديثة، كما بدت مظاهرها في تقدم العلوم، والصناعات، وفي النهضة العمرانية، والأخلاق العملية، وكان الإعراض من نصيب ما يتعارض مع دينه ومعتقداته، وسعى في كل ذلك

---

(١) ديوان شوقي جـ١/ ص٤١٥-٤١٦ قصيدة: الدستور العثماني.

(٢) سعت إلى تحقيق ذلك بعض الدراسات الأدبية منها على سبيل المثال: سمية الأيوبي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث ١٩٤٥-١٩٧٠م، رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب ٢٠٠١م. فوزي عيسى، صورة الغرب في شعر شوقي، ضمن ابحاث الدورة العاشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري (دورة شوقي - لامارتين)، الندوة الأدبية، باريس ٢٠٠٦م. إيهاب النجدي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، ط مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م.

إلى استثارة الهمم الشرقية الكليلة والنفوس الخاملة، وبث روح الغيرة والعلم في الأجيال الصاعدة، والنهوض بالأمة من وهدتها وكبوتها التاريخية، دون أن يمنعه ذلك الإعجاب بالحضارة الغربية وإكبار رقيها وتقدمها من كشف عوار وجهها الاستعماري الطامع، وفضح وحشيتها ونزقها واستبدادها وسعيها إلى التحكم في مصائر الشعوب.

وليس من شكٍّ في أن هذه المواقف التي مَرَّت بنا، وغيرها؛ قد شكلت في تعارضها وتدافعها حينًا، وفي انسجامها وتكاملها حينًا آخر - جماع رؤية الشاعر العربي وتصوراته للغرب، وهي في إجمالها رؤية متفاوتة يسعى هذا الكتاب الذي بين أيديكم إلى انتخاب جملة ما يمثلها من نصوص الشعر العربيِّ الحديث، ويعرض تجلياتها؛ كاشفًا عن منابعها وسياقاتها وتوجهاتها من جهة، ومبينًا ظلالها الفنية وطاقاتها الإبداعية من جهة أخرى، وهو ما اقتضى، أمام هذا الفيض الواسع من النصوص التي تدخل في أشراط هذا الكتاب تحديد أطر المجال الأنطولوچي للعمل على نحو يحصر دوائره، ويرسم أبعاده، وهو ما أفضى بدوره إلى التواضع على بعض الملامح المرشِّحة لتلك الوفرة الهائلة من قصائد الشعر العربي التي يحضر الغربي فيها بصورة من الصور؛ مع الاعتداد بأربعة حدود رئيسة:

أولها - اتخاذ مطلع القرن التاسع عشر؛ بوصفه مفتتحًا مستقرًّا عليه للعصر الحديث في الفكر العربي؛ حدًّا نهائيًّا لا ترجع النصوص المختارة إلى ما وراءه.

وثانيها - أن يكون التماس الواقعي مع الغرب/ أوروبا ركيزة أساسية للاختيار، على نحو يحصر حدوده في نطاق نصوص الشعراء الذين لامست حواسهم الآخر فعليًّا، وعايشت بيئته وتفاعلت معها تفاعلًا مباشرًا، لفترة زمنية ما، طالت أو قصرت.

وثالثها - أن يكون حضور الآخر الغربي/ الأوروبي في النصوص المختارة حضورًا فاعلًا، غير هامشي، بل روعي في أغلب النصوص المختارة، أن تؤسس تجربة النص الفنية في وجه من وجوهها على ذلك الحضور، وأن تكون الكتابة الشعرية ذاتها أثرًا من آثاره وثمرة من ثماره.

ورابعها - الالتزام بالبنى الإيقاعية الإطارية خيارًا مائزًا بوصفها مكوِّنًا فنيًّا أصيلًا، تفقد الشعرية هويتها حال نفيه والاستغناء عنه.

وقد أسلمتنا محاولة التركيز في إطار هذه الحدود إلى قراءة إنتاج واحد وثلاثين وتسعمائة شاعر وشاعرة (٩٣١) ممن تدخل حيواتهم حيز المجال الأنطولوچي زمنيًّا (١٩٠١-٢٠١١م)، ومكانيًّا (الغرب الأوروبي). فانصرفت فعالية الاختيار، بما هو عمل نقدي يتفاعل مع النصوص ساعيًا إلى استكشاف رؤيتها وشعريتها ومعايشتها والمفاضلة بينها، عبر رحلة طويلة من البحث والجمع، والقراءة والانتقاء انتهت بنا إلى انتخاب عشرين ومائتي نصٍّ شعريٍّ (٢٢٠) لخمسة وثمانين شاعرًا وشاعرة (٨٥)؛ ارتأت الذات المتخيرة قدرتها على تمثيل موقف الشاعر العربي من الآخر الغربي، في تحققاته المختلفة وتجلياته المتعددة.

وقد رأينا أن تتوالى هذه النصوص على أساس زمني تنازلي من الأقدم إلى الأحدث، بما يكشف عن تطور صورة الغرب، وتبدّل أشكال حضوره في الشعر العربي الحديث بين فترة وأخرى، معتمدين سني وفاة الشعراء الراحلين وسني ميلاد الشعراء الأحياء أساسًا لتراتبهم وتتابع قصائدهم.

وفي سبيل السعي إلى اكتمال الفائدة من هذا العمل، حاولنا إنارة ما قد يغمض من اشارات وإحالات في بعض النصوص المختارة، على أشخاص، وأمكنة،

وأزمنة، وأحداث تبدو أقل ذيوعًا واشتهارًا. كما زودنا الكتاب بما يلزم من فهارس وكشّافات؛ فإضافة إلى فهرس الموضوعات الذي وردت فيه القصائد على أساس من تتابع إيرادها في الكتاب - ذيِّل الكتاب بأربعة فهارس هجائية؛ اشتملت على: عناوين القصائد، وأسماء الشعراء مع عناوين قصائد كل واحد منهم ومقطّعاته؛ وأسماء الأعلام، وأسماء الأماكن؛ آملين أن يفتح ذلك العمل، بما اشتمل عليه من مواد خصبة ثرية الباب واسعًا أمام مزيد من الدراسات التي تكشف عن جوانب حضور الغرب وملامح صورته في شعرنا العربي الحديث.

والله عزَّ وجلَّ نسأل أن يكون عملنا مُخلَصًا لوجهه الكريم سبحانه نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلنا وإليه المصير.

أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب

د. إيهاب النجدي

الكويت في ١٣/٩/٢٠١١م

****

نصـــوص

الديوان الغربــي للشاعر العربـي

حفني ناصف[1]

عيون وعيون[2]

أرجعوا لي يا غيدَ ماريمبادِ[3]
مهجتي قبل عودتي لبلادي
إنني قد شددتُ رحلي وأهلي
في انتظاري فأطلقوا لي فؤادي
ليتني لم أزر جِماكم فإني
في هواكم أضعت كل رشادي
وبراني الضَّنا فصارت ثيابي
فوق جسمي كمضربٍ ذي عماد
وأتاني السقامُ من حيث أبغي
صحةً وانهزمْتُ قبل الجِلادِ

(١)حفني ناصف (١٢٧٢ - ١٣٣٧هـ = ١٨٥٥ - ١٩١٩م)، كاتب وعالم وشاعر مصري مشهور، تقلد عددًا من المناصب الإدارية، ورأس الجامعة المصرية الأهلية عند تأسيسها سنة ١٩٠٨م. كان عضوًا بمؤتمر المستشرقين وزار بعض البلدان الأوروبة للمشاركة في أعماله، كما شارك في تأسيس المجمع اللغوي الأول.
راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٥٤.
(٢)مجلة الزهور، الجزء الخامس، السنة الأولى، تاريخ ١ يوليو ١٩١٠م، ص ٢١١.
(٣) مدينة نمساوية لها شهرة بمياهها المعدنية.

حــدَّثـوا أن فـــي حــمــاكُــمْ عــيــونًــا[1]

تـــذرُ الــنــاسَ ضــامــري الأجــســاد

صـــدَقــــوا أنـــهــا عـــيــونٌ ولــكــن

كُــحِّــلَــتْ مــنــذ خــلــقــهــا بــســواد

جــنــبـونــي ذكـــر الــعــيــون فــقــلــبي

فـــي ارتــعــاش مِـــن فــعــلــهــا وارتــعــاد

فــهـــي كــالــكــهــربــاء تــومـــي بــلــحــظٍ

فَـــتَـــدُقُّ الأجـــــراسَ فـــي الأكــبــادِ

****

(١) إشارة إلى عيون حارة للاستحمام تنتشر في المدينة.

باريز[1]

ودعـــــتُ بـــاريـــزَ، وقـلـبـي بـهـا
عــنـــد فــتـــاةٍ حـســنُـهـا يـفـتَن
تــرنـــو بمـغـنـاطـيـس أحـداقـهـا
فــتَـجـذبُ الأرواحُ والأعـــيُنُ
الـــدُّرُّ مـــن مـبـسـمـهـا يـسـتـحـي
وإن تـثـنـت تـخـجـل الأغـصـن
الـشـيـخ يـغـدو فـي هـواهـا فتًـى
وفـــي حـلاهـا يُـفْـصِـحُ الألـكـن
يـــروقـــنـــي فـــي طـبـعـهـا أنـهـا
صـريـحـة تُـظـهـر مـــا تـبطـن
مـــرآة مـــا فـــي قـلـبِـهـا وجـهُـهـا
فــكـل شـــيء عــنـدهـا مـعـلـن
ســكـنْـتُ فـــي مـنـزلـهـا بـرهـةً
مِـــن بـعـدهـا قـلـبـيَ لا يَـسـكـن
كــم فـــي ربـــا بـــاريــز مـــن غـــادةٍ
حـــســنـــاء، لـكـن هــــذه أحـسـن

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م: ج٢ ص ٥٧.

صـــورتُـــهـــا تـنـطـق أن الـــذي
صـــوَّرَهَـــا فـــي صـنـعـةٍ متـقِـن
(لـــويـــزُ) نـــورُ الـلـــهِ فـــي أرضـــه
فـكـــل مـــن أبـــصـــرهـــا مـؤمـــن

****

جنيف[1]

سل المها بين إفيان ولوزانِ[2]
ماذا فعلن بقلب المغرم العاني
إذ كُنَّ في الفُلْكِ كالأقمار في فَلَكٍ
يشرفن فيه على ألعاب نيران
فكم من الأرض سهمٍ للسماء، وكم
سهمٍ تسدد لي من تحت أجفان
يعلو البحيرةَ من نيرانها شررٌ
كزفرتي حين يجري مدمعي القاني
يذهبن بالفلك أيمانًا وميسرةً
منها ويطربن من توقيع ألحان
سرب يغنين بالأفواه مطربة
وَثُلَّةٌ بِرَبَابَاتٍ وعيدان
والورق في الشاطئ الأدنى تجاوبها
تبدي أفانين شدوٍ بين أفنان

****

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج٧ ص ٥٧.

(٢) مدينتان سويسريتان معروفتان، تشتهر أولاهما بمياهها المعدنية، على حين تشتهر ثانتاهما بمتحفها الأوليمبي.

ولي الدين يكن[1]

إلى تومي اتكنس[2]

صديق الحرية وحاميها سنة ١٩١٤م

إذا بـــان سـيـفـك عـــن غـمـدِهِ
فـقـد بـــان بـأسـك فـــي حـدِّهِ
فـأنـت وذا الـسـيـف مـن جـوهـر
وطـبـعـك مـن طـبـع إفـرنـده
فـإن يـفـتـخـر فــي الـوغـى مـاجـدٌ
فـمـجـدك أقـدم مـن مـجـده
وعـزمـك أصـدق مـن عـزمـه
وقـصـدك أشـرف مـن قـصـده

(١)ولي الدين يكن (١٢٩٠ - ١٣٤١هـ = ١٨٧٣ - ١٩٢١ م) شاعر مصري قضى معظم حياته متنقلًا بين مصر وتركيا تقلد عددًا من المناصب الإدارية في القاهرة والأستانة، نشر قصائده ومقالاته في كبريات صحف عصره كالأهرام والمؤيد والمقطم والزهور وغيرها. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٥٩٨/٢١.

(٢)ولي الدين يكن، ديوانه، تبويب وضبط وشرح أنطوان القوال، ط١ دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠١م: ص ٧١ - ٧٣. وتومي اتكنز: اسم جمعي، اتخذ اسمًا عامًّا للجنود الإنجليز في الحرب العالمية الأولى على وجه الخصوص، وغالبًا ما يستخدم تومي فحسب، وكثيرًا ما أشير إلى الجنود الإنجليز بوجه عام بلفظ Tommies، ويردها بعضهم إلى القديس توماس بيكيت الذي قتل في القرن الثاني عشر الميلادي أما لفظ Atkins فهي إشارة إلى الجنود في الستر الحمراء.

إذا ما أغار على عاجز

قديرٍ قدرتَ على رده

فكنت الأمين على قربه

وكنت الوفيَّ على بعده

☆☆☆☆

رددت لغليومَ[1] سهمًا رماه

فرُدَّ ولكن إلى كبْده

وكان قضى العمر في بَرْيِهِ

فجربه اليوم في جلده

أحب الوغى فهو محبوبه

على عطفه وعلى صده

قضى الأربعين يصب الحديد

على جنده وسوى جنده

وكم خَادَعَ الناس عن حقده

فلم يُخدع الناس عن حقده

هُمُ عرفوهُ على بغضه

كما عرفوه على وده

ولكنهم حفظوا عهده

إلى أن تبرأ من عهده

فخيب عدوانه جيشه

وخيبَهُ الله من بعده

ولو كان يعلم هذا المصير

لما ضل غليوم عن رشده

---

(١) هو غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا (١٨٨٨ - ١٩١٨م)، صاحب اليد الطولى في أحداث الحرب العالمية الأولى.

لقد بات يضحك في هزله

فأصبح ينحب في جده

وربُّ الغرورِ بعزٍّ بناه

يلاقي المذلة في هده

وحسب المعذب في نحسه

تذكر ما مر من سعده

وكم من مُجِدٍّ إلى مأمل

مساعيه أدت إلى ضده

ومن جاهد الحق في ملكِهِ

تقاصرَ عجزًا مدى جهده

ولو جاءت الزهر من أفقها

لتجديَةُ الفوز لم تجده

☆☆☆☆

إلى (تومي اتكنس) مني ثناء

يزيد على الرمل في عده

يفيد الربيع إذا فاض فيه

ندى زهره وشذا ورده

لقد ذاع في (مونس) من حمده

كما ذاع في الهند من حمده

وطاب مخائلَ في مهده

وطاب أحاديث في لحده

فلا يعرف السلم نِدًّا له

ولا يقطع الحرب في لدِّه

يظلِّلُه عَلَمٌ ظافرٌ
بوارفه وبممتده
فيهجع ذو الخوف في أمنه
ويرتع ذو البؤس في رعده
وثم عرين إذا قاربتْهُ
ذئابٌ غدت في شبا أسده
فلا يَغْزبُ الخفضُ عن حزنه
ولا يَغْرُبُ العزُّ عن نجده

☆☆☆☆

تقدَّمْ تقدَّمْ أمامك نصر
وخصمك إن ترمه تُرْدِهِ
وهذا هشيمٌ وهذا أوان الـ
ـحصاد فبادر إلى حصده
ولا تحذرن بارقًا فوقه
فلا رعد أكذب من رعده
ولا أنت تشقى بإبعاده
ولا أنت تسعد من وعده
لقد كان ينفق من جزله
فقد صار ينفق من ثمده
إذا شهد الناس أنك شهمٌ
فماذا يضرك من جحده
وليس يقاس إليك بشيء
لدى لينه ولدى شده

فقلبك أثبت من قلبه

وزندك أفتل من زنده

وقد زاد عندك خير الإله

وقد نفد الخير من عنده

فأدِّ الثناء لربك واهنأْ

وقل رضيَ الله عن عبده

****

حرب طرابلس الغرب ١٩١١م(١)

مــن أيــن جــد الــيــوم هــذا الخــصــامْ

يــا أمم الــغــرب نــقــضــتِ الــذِّمــامْ

كــنــا اســتــعــدنــا أمــسِ عــهــد الــصــفــا

فــلــم يــدم أمــس ولا الــعــهــد دام

كــنــا نــســيــنــا مــا جــرى بــيــنــنــا

وكــاد يــبــدو فــي الجــراح الْــتــيــام

واســتــجــمــعــت فــي الــصــفــو أهــواؤنــا

وعــادت الــوصــلــة بــعــد انــصــرام

أريــتِــنَــا فــي الــود مــعــنــى الجــفــا

وجــئــتــنــا بــالحــرب تحــت الــســلام

اخــتــلــف الــتــســلــيــم مــا بــيــنــنــا

يــدٌ تحــيِّــي ويــد فــي الحــســام

لا تــبــســمــي مــن بــعــد هــذا لــنــا

قــد غَــرَّنــا فــيــمــا مــضــى الابــتــســام

☆☆☆☆

وأمــة مــا أشــبــهَــتْ أمــة

تــفــرَّدَتْ بــالــغــدر بــين الأنــام

---

(١) ولي الدين يكن، ديوانه: ص ١٤٢ - ١٤٣. اندلعت هذه الحرب ما بين عامي ١٩١١ و١٩١٣م بين إيطاليا من جهة والدولة العثمانية يساندها الشعب الليبي من جهة أخرى.

تــســومـــنــا الــضـــيــم بـــلا عـلـة

يـــا بــنــت رومـــا إنــنــا لـــن نـضـام

هـــذي قــلـــوب لا تــهــاب الـحــمــام

هــذي صـــدور لا تـبـالـي الـصــدام

فــأضــرمـــي بـــين الــثــرى والـسـمـا

نـــارًا تـلـجُ مــا بــين ذاك الـضــرام

هــل تـسـتـبـى أم أســود الـشـرى

والأســـــد مـــا بـــين يـديـهـا قـيـام

أم يـسـتـبـاح الـيـوم ذاك الـحـمـى

وفــيــه أمـــثـــال [طـــغـــوردٍ] نـيـام

أم جـنـدنـا أضـحـوا كـسـرب المها

أم أصـبـح الـعُـزْبُ كـخـيـط الـنـعـام

مـــهـــلاً، فـــلا تـسـتـقـدمـن خـطـوة

قـــد يــرغــمُ الآنـــاف هـــذا الـرغـام

☆☆☆☆

يـــا رُبَّ هـــمٍّ أصـلـــه مـــن هـيـام

ورب غـــرم فـــادح مـــن غـــرام

يـشـوي الـفـراش الـنـور فـي نـاره

وقـــد تـمـيـت الـكـأس صـب المـدام

وهـــــذه الأقـــــدار مـجـهـولـة

والـــكـون لا يـبـقـى عـلـيـه انـتـظام

☆☆☆☆

مـــا يـبـلـغ الأســطــول مـــن مـعـشـر

أسـطـولـهـم فـــي الـبـر شـم الأكـام

منيفة، ثابتة، صلبة،
منيعة، جانبها لا يرام
تهوي عوالي الطير من دونها
وينثني عن مرتقاها الغمام
يا عَلَمُ اخْفقْ، يا طبولُ ارعدي
ويا أسودُ استقدمي للأمام
والله لا نتركها للعدا
تدوس بالأرجل تلك العظام
حتى تُرَوّي أرضُها من دمٍ
وتختفي بطاحها في الرمام
وتصبح الدأماء في حمرة
ونغتدي أفاقها في ظلام
فلا يَلُمْنا بعدَها لائمٌ
من أيقظ الشرّ عليه السلام
صاحت [طرابُلْسُ] بأبنائها
لبيكِ أماهُ دعوتِ الكرام

****

حافظ إبراهيم[1]

زلزال مِسّينا سنة ١٩٠٨م[2]

نبئاني إن كنتما تعلمان
ما دهى الكون أيها الفرقدان
غضبَ اللهُ أم تمردت الأر
ض فأنْحَتْ على بني الإنسان؟
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا
ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نَفَّسَ عنه
ثوران في البحر و(البركان)
ربِّ، أين المفر والبحر والبرْ
رُ على الكيد للورى عاملان؟
كنت أخشى البحار والموت فيها
راصدٌ غفلةً من الربان

(١) حافظ إبراهيم (١٢٨٨ - ١٣٥١هـ = ١٨٧١ - ١٩٣٢م) شاعر النيل، وأحد أبرز شعراء عصره، اقترن ذكره بذكر أمير الشعراء احمد شوقي، وتميز شعره بجزالة إيقاعية مميزة، واستقلت بأكثره قضايا وطنه وأمته. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦/٨٥.

(٢) حافظ إبراهيم، ديوانه، تحقيق أحمد أمين/ احمد الزين/ إبراهيم الإبياري، ط دار العودة، بيروت ١٩٨٠م: ج١ ص ٢١٥- ٢٢٠. ومسينا ثالث اكبر مدن جزيرة صقلية بجنوب إيطاليا.

سابح تحتنا، مطل علينا
حائم حولنا، مناءٍ مداني
فإذا الأرض والبحار سواء
في خلاقٍ كلاهما غادران
ما (المِسِّينَ)؟ عوجلت في صباها
ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها
حين نمت آياتها آيتان
خسفت، ثم أغرقت، ثم بادت
قُضي الأمر كله في ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم
تك بالأمس زينة البلدان
ليتها أمهلت فتقضي حقوقًا
من وداع اللِّدات والجيران
لحة يسعد الصديقان فيها
باجتماع ويلتقي العاشقان
بغت الأرضُ والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلي حقدًا عليها فتنشـ
ـق انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجمًا وقذفًا
بشواظٍ من مارج ودخان
وتسوق البحار درًّا عليها
جيش موج نائي الجناحين داني

فهنا الموت أسود اللون جَوْنٌ
وهنا الموت أحمر الموت قاني
جَنَّدَ الماء والثرى لهلاك الـ
ـخلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتيًا فأمدتـ
ـه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ
س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس
لا تباليه في مجال الطعان
أين (ردجو)[1]؟ وأين ما كان فيها؟
من مغانٍ مأهولة وغوان
عوجلت مثل أختها ودهاها
ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ في باطن الأر
ض ينادي: أمي! أبي! أدركاني!
وفتاة هيفاء تُشوى على الجمـ
ـر تعاني من حَرِّه ما تعاني
وأب ذاهلٍ، إلى النار يمشي
مستميتًا تمتد منه اليدان
باحثًا عن بناته وبنيه
مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج
من لظاها ولا اللظى عنه وانِ

(١) ردجو (ريو) كالابريا: عاصمة إقليم كالابريا الذي يقع في اقصى جنوب شرق إيطاليا واكبر مدنه.

غصت الأرض أتخم البحر مما
طوياه من هذه الأبدان
وشكا الحوت للنسور شكاة
رددتها النسور للحيتان
أسرفا في الجسوم نقرًا ونهشًا
ثم باتا من كِظَّةٍ يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشمْـ
ـم ولا حاط ساكن القيعان
قد أغارا على أكفٍّ براها
بارئ الكائنات للإتقان
كيف لم يرحما أناملها الغُرْ
رَ ولم يرفقا بتلك البنان؟
لَهْفُ نفسي وألف لَهْفٍ عليها
من أكف كانت صناع الزمان!
مولعات بصيد كل جميل
ناصبات حبائل الألوان
حافرات في الصخر أو ناقشات
شائدات روائع البنيان
مُنطقات لسان كل جماد
مُفحمات سواجع الأفنان
مُلهمات من دقة الصنع ما لا
يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الدراري
يهرم الدهر وهي في عنفوان

عـجـب صُـنْـعُـهَـا! وأعـجـب منه
صُـنْـعُـهُ! تـلـك قـدرة الـرحـمـن
إيـه «مِـسِّـينُ» آنسـي الـيـومَ «بُمْـبِـيْـ
ـيَ» فـقـد أُوحـشَـتْ بـذاك المكـان
آنـسـي الـدرة الـتـي كـانـت الحلـ
ـيـة فـي تـاج دولـة (الـرومـان)
غـالـهـا قـبـلـك الـزمـان اغـتـيـالا
وهـي تـلـهـو فـي غـبـطـة وأمـان
جـاءهـا الأمـر والـسـراة عـكـوفًـا
فـي المـلاهـي عـلـى غـنـاء الـقـيـان
بـين صـبٍّ مُـدَلَّـهٍ وطـروبٍ
وخـلـيـع فـي الـلـهـو مـرخـي الـعـنـان
فـانـطـووا كـانـطـواء أهـلـك بـالأمـ
ـس وزالـت بـشـاشـة الـعـمـران
أنـت (مـسـين) لـن تـزولـي كـمـا زا
لـت ولـكـن أمـسـيـت رهـن الأوان
إن إيـطـالـيـا بـنـوهـا بُـنَـاةٌ
فـاطـمـئـنـي مـا دام فـي الحـي بـان
فـسـلام عـلـيـك يـوم تـولـيـ
ـت بمـا فـيـك مـن مـغـانٍ حـسـان
وسـلام عـلـيـك يـوم تـعـوديـ
ـن كـمـا كـنـت جـنـة الـطـلـيـان
وسـلام مـن كـل حـي عـلـى الأر
ض عـلـى كـل هـالـك فـيـك فـانِ

وسـلام عـلـى الألـى أكـل الـذئـ
ـب ونـاشـت جـوارح الـعـقـبـان
وسـلام عـلـى امـرئ جـاد بـالـدمـ
ـع وثـنـى بـالأصـفـر الـرنـان
ذاك حـق الإنـسـان عـنـد بـنـي الإنـ
ـسـان لـم أدعـكـم إلـى إحـسـان
فـاكـتـبـوا فـي سـمـاء (ردجـو) و(مـسِّـيـ
ـنـا) و(كـالِـبْـرِيَـا) بـكـل لـسـان
هـا هـنـا مـصـرع الـصـنـاعـة والـتـصـ
ـويـر والـحـذق والـحـجـا والأغـانـي

****

ذكرى شكسبير(1)

يحييك من أرض الكنانة شاعرٌ
شغوفٌ بقول العبقريين مغرمُ

ويطربه في يوم ذكراك أن مشت
إليك ملوك القول عرب وأعجم

نظرت بعين الغيب في كل أمة
وفي كل عصر ثم أنشأت تحكم

فلم تخطئِ المرمى ولا غرو أن دنت
لك الغاية القصوى فإنك ملهم

أفق ساعة وانظر إلى الخلق نظرة
تجدهم - وإن راق الطلاء - هُمُ هُمُ

على ظهرها من شر أطماعهم دمٌ
وفوق عباب البحر من صنعهم دم

تفانوا على دنيا تغر وباطل
يزول إلى أن ضجت الأرض منهم

فليتك تحيا يا أبا الشعر ساعة
لتنظر ما يُضْمِي ويدمي ويؤلم

---

(1) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج1 - ص72 - 75. قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بإنجلترا الذي اقام احتفالاً بذكرى شكسبير لمرور ثلاثمائة عام على وفاته (نشرت في 1 مارس 1916م).

وقائع حرب أجَّجَ العلم نارها
فكاد بها عهد الحضارة يختم
وتعلم أن الطبع لازال غالبًا
سواء جهول القوم والمتعلم
فما بلغت منه الحضاره مأربًا
ولا نال منه العلم ما كان يزعم
أهبت بهذا من قرون ثلاثة
وكنت على تلك الطبائع تنقم
وما هدم التجريب رأيًا بنيتَهُ
ولا زالت الآراء تبني وتهدم
ألا إن ذكرى شكسبير بدت لنا
بشير سلام ثغره يتبسم
فلو أنصفوا أبطالهم لتهادنوا
قليلًا وحيوا شعره وترنموا
ولم يطلقوا في يوم ذكراه مدفعًا
ولم يزهقوا نفسًا ولم يتقحموا
له قلم ماضي الشَّبَاة كأنما
أقام بشقَّيْه القضاء المحتم
طهورٌ إذا ما دنست كف كاتب
وَثُوبٌ إذا ما قر في الطرس مرقم
ولوعٌ بتصوير الطباع فلم يجز
بعاطفةٍ إلا حسبناه يرسم
أرانيَ في (ماكبيث) للحقد صورة
تكاد بها أحشاؤه تتضرم

ومـثّـل فـي (شـيـلـوك) لـلـبـخـل سـحـنـة
عـلـيـهـا غـبـار الـهـون والـوجـه أقـتـم
وأقـعـدنـي عـن وصـف (هـمـلـيـت) حـسـنـهـا
وفـي مـثـلـهـا تـعـيـا الـيـراعـة والـفـم
دع الـسـحـر فـي (رمـيـو) و(جـولـيـيـت) إنـمـا
يـحـس بـمـا فـيـهـا الأديـب الـمـتـيـم
أتـاهـم بـشـعـر عـبـقـريٍّ كـأنـه
سـطـور مـن الإنـجـيـل تـتـلـى وتـكـرم
نـديٌّ عـلـي الأيـام يـزداد نـضـرة
ويـزداد فـيـهـا جـدة وهـو يَـقْـدُمُ
يُـؤَتَّـى إلـى قُـرّائـه أن نَـسْـجَـهُ
لـيـومٍ وأن الـحـائـك الـيـوم فـيـهـم
كـتـلـك الـنـقـوش الـزاهـيـات بـمـعـبـد
لـفـرعـون لا زالـت عـلـى الـدهـر تـسـلـم
فـلـم يَـدْنُ مـن إحـسـانـه مـتـأخـر
ولـم يَـجْـرِ فـي مـيـدانـه مـتـقـدم
أطـل عـلـيـهـم مـن سـمـاء خـيـالـه
وحـلَّـق حـيـث الـوهـم لا يـتـجـشـم
وجـاء بـمـا فـوق الـطـبـيـعـة وَقْـعُـهُ
فـأكـبـر قـوم مـا أتـاه وأعـظـمـوا
وقـالـوا تـحـدانـا بـمـا يُـعـجـز الـنـهـى
فـلـسـنـا إذن آثـارَهُ نـتـرسـم
ولـم يـتـحـدَّ الـنـاس لـكـنـه امـرؤ
بـمـا كـان فـي مـقـدوره يـتـكـلـم

لقد جهلوه حقبة ثم ردهم
إليه الهدى فاستغفروا وترحموا
كذاك رجال الشرق لو ينصفونهم
لقام لهم في الشرق والغرب موسم
أضاء بهم بطن الثرى بعد موتهم
وأعقابهم عن نور آياتهم عموا
فقل لبني التاميز[1] والجمع حافل
به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم
لَفَخْرُكُمُ بالشاعر الفرد أعظم

****

(١) إشارة إلى نهر التاميز الذي يخترق العاصمة البريطانية لندن.

رحلة حافظ إلى إيطاليا[1]

عــاصــفٌ يــرتمــي وبــحــر يُـغِـيـرُ
أنـــا بــالــلــه مــنــهــمــا مــســتــجــيـرُ

وكـــأنّ الأمـــــواج - وهـــي تَـــوالـى
مُـحـنـقـاتٍ - أشـجـان نـفـس تـثـور

أزبــــدت، ثــم جــرجــرت، ثــم ثــارت
ثــم فـــارت كـمـا تــفــور الــقـدور

ثـم أوفـت مـثـل الـجـبـال عـلـى الفلـ
ـكِ ولـلـفـلـكِ عـزمـةٌ لا تـخـور

تـتـرامـى بـجـؤجـؤٍ لا يـبـالـي
أمـيـاهٌ تحـوطـهُ أم صـخـور؟

أزعـج الـبـحـر جـانـبـيـهـا مـن الـشـدْ
دِ فـجـنـبٌ يـعـلـو وجـنـبٌ يـغـور

وهـو أنًـا يـنـحـطُّ مِـنْ عَـلُ كـالـسَّـيـ
ـلِ وآنًـا يـحـوطـهـا مـنـه سـور

وهـي تَـزْوَرُّ كـالـجـواد إذا مـا
سـاقـه لـلـطِّـعـان نَـدْبٌ جـسـور

وعـلـيـهـا نـفـوسـنـا خـائـرات
جـازعـات كـادت شـعـاعًـا تـطـير

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج١ ص٢٢٧ - ٢٣٣.

فــي ثـنـايـا الأمـــواج والـــزُّبَـــدِ المنـ
ــــدوف لاحـــت أكـفـانـنـا والـقـبـور

مــر يـــومٌ وبــعــض يـــوم علـينـا
والمــنـــايــا إلــــى الــنـفـوس تشيـر

ثــم طــافـت عـنـايـة الـلـه بـالـفلـ
ـك فـــزالـت غَـمَّــن تـقـل الـشـــرور

مــلـكـت دفـــة الـــنـجــاة يـــد الـلـ
ـــه فـسـبـحـان مـــن إلـيـــه المصـيـر

أمـــر الـبـحـر فـاسـتـكـان وأمـسـى
مـنـه ذاك الـعـبـاب وهـــو حـصـيـر

أيـهــا الـبـحـر لا يَـــغُـــرَّنْـــكَ حـــولٌ
واتـــســـاع وأنــــت خـلـق كـبـيـر

إنمـــا أنــــت قـــطـــرة فــــي إنـــاءٍ
لـيـس يــدري مـــداه إلا الـقـديـر

إيــه (إسـبـيـريـا)[1] فَـدَتْـكِ الجــوارى
مُــنــشَــآت كــأنــهــن الـقـصــور

يـــا عـــروس الـبــحــار إنـــك أهـــل
أن تُحَلَّــيـكِ بـالجـمـان الـبـحـور

فـالـبـسـي الـيـوم مــن ثـنـائـيَ عـقـدًا
تـشـتـهـيـه مـــن الحـســان الـنـحـور

☆☆☆☆

إيـــه إيـطـالـيـا عَــــدَتْـــكِ الـعــوادي
وتـــنـــحـــى عــــن ســاكـنـيـك الـثـبـور

(١) إسبيريا: اسم الباخرة التي استقلها حافظ في رحلته إلى إيطاليا.

فيك يا مهبط الجمال فنون
ليس فيها عن الكمال قصور
ودُمًى جَمَّعَ المحاسنُ فيها
صَنَعُ الكفِّ عبقريٌّ شهير
قد أقيمت من الجماد ولكن
من معاني الحياة فيها سطور
فهي تبدو من الملائك يكسو
ها جمالٌ على جِفَافَيْهِ نور
أُمرت بالسكوت من جانب الحقْـ
ـقِ بدنيا فيها الأحاديث زور
أرضهم جنةٌ وحورٌ وولدا
ن كما تشتهي وملك كبير
تحتها - والعياذ بالله - نارٌ
وعذاب ومنكر ونكير
إن يومًا كيوم (ردجو) و(مسِّيـ
ـنا) و(كالِبْرايا) ليوم عسير
ساعة منه تهلك الحرث والنسـ
ـل وتمحو ما سطرته الدهور
ذاك (فيزوف)(1) قائمًا يتلظى
قد تعالى شهيقه والزفير
ينذر القوم بالرحيل ولكن
ليس يغني مع الفضاء النذير
وكذاك الأوطان مهما تجنت
ليس للحر عن حماها مسير

---

(1) فيزوف بركان إيطالي معروف.

شمسهم غادة عليها حجاب
فهي شرقيةٌ حَوَتْها الخدور
شمسنا غادة أبت أن توارى
فهي غربية جلاها السفور
جوهم في تقلب واختلاف
غير أن الثبات فيهم وفير
جونا أثبت الجواء ولكن
ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب
ولدينا من الفنون قشور
أنكر الوقفَ شرعُهُم فلهذا
كل رَبْعٍ بأرضهم معمور
ليس فيها مستنقعٌ أو جدارٌ
قد تداعى أو مسكن مهجور
كل شبر فيها عليه بناء
مُشْمَخِرٌّ أو روضة أو غدير
قسموا الوقت بين لهو وجدٍّ
في مدى اليوم قسمة لا تجور
كلهم كادح بكور إلى الرز
ق ولاهٍ إذا دعاه السرور
لا ترى في الصباح لاعبَ نرد
حولَهُ للرهان جَمٌّ غفير
لا ولا باهلًا سليم النواحي
للقهاوي رواحه والبكور

لم يحل بينهم وبين الملاهي
أو شؤون الحياة جوٌّ مطير
لا يبالون بالطبيعة حنت
أم تجنت أم احتواها النعور؟
عصفت فوقهم رياح عَوَاتٍ
أم أجازت بهم صبًا أم دَبُورُ؟
قد أعدّوا لحادثات الليالي
عدةً لا يحوزها التقدير
نَضَّروا الصخر في رءوس الرواسي
ولدينا في موطن الخصب بور
قد وقفنا عند القديم وساروا
حيث تسري إلى الكمال البدور
والجواري في النيل من عهد (نوح)
لم يُقَدَّرْ لصنعها تغيير
ولع القوم بالنظافة حتى
جُنَّ فيها غنيُّهم والفقير
فإذا سرتُ في الطريق نهارًا
خلتُ أني على المرايا أسير
أفرط القوم في النظام، وعندي
أن فرط النظام أَسْرٌ ونير
ولذيذ الحياة ما كان فوضى
ليس فيها مسيطر أو أمير
فإذا ما سألتني قلت عنهم
أمةٌ حرةٌ وفردٌ أسيرُ

ذاك رأيـــي وهـــل أشـــــارَكُ فـيـه
إنـــــه قـــول شـــاعــر لا يـضـيـر
في جبـال (الـتـيـرول)[1] إن أقبـل الصيـ
ـف نـعـيـم وإن مـضـى زمـهـريـر
أذكـــرتـــنـــي مـــا قـــالـــه عـــربــيٌّ
طـارقـيٌّ أمـسـى احـتـواه (شُـلَـيْـرٌ)[2]:
حـل تَـــرْكُ الـصـلاة فـي هـــذه الأر
ض وحـلـت لـنـا عـلـيـهـا الـخـمـور
إن صـــدر الـسـعـيـر أحـنـى عـلـيـنـا
مـن (شُـلْـيـرٍ) وأيـــن مـنـا الـسـعـيـر
قـد بـلـوتُ الـحـيـاة فـي الـشـرق والـغـر
ب فـمـا فـــي الـحـيـاة أمـــرٌ يسـيـر
مـــن ثـــــواء فـيـــه المــــلال لـــزام
أو رحـــيـــل فـــيـــه الــعــنــاء كـثـيـر

****

(١) التيرول: أحد أقاليم جبال الألب، يقع في شمال شرق إيطاليا.

(٢) شُلَير: جبل بالأندلس في إقليم البيرة، دائم الجليد.

حادثة دنشواي[1]

أيـها القائمون بالأمر فينا
هل نسيتم ولاءنا والودادا؟
خفِّضوا جيشكم وناموا هنيئا
وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
وإذا أَعْوَزَتْكُمُ ذاتُ طوق
بين تلك الربا فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواءٌ
لَمْ تغادر أطواقُنا الأجيادا
لا تظنوا بنا العقوق، ولكن
أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لا تُقِيدُوا من أمة بقتيل
صادت الشمسُ نفسَه حين صادا
جاء جهالنا بأمر وجئتم
ضِعْفَ ضِعْفَيْه قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتل إن ضَنِنْتُم بعفوٍ
أقصاصًا أردتُمُ أم كيادا؟

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٠ - ٢٢. ودنشواي قرية مصرية صغيرة بالمنوفية توفي بها أحد ضباط الاحتلال البريطاني عام ١٩٠٦م متأثرًا بضربة شمس، عقب مطاردة الأهالي لمجموعة من الضباط الإنجليز تسببوا بإحراق أجران الغلال أثناء تمتعهم بصيد الحمام.

أحسنوا القتل إن ضَنِنْتُمْ بعفوٍ
أنفوسًا أصبتُمُ أم جمادا؟

ليت شعري أتلك (محكمة التفـ
ـتيش) عادت أم عهد (نيرون) عادا؟

كيف يحلو من القويِّ التَّشَفِّي
من ضعيف ألقى إليه القيادا؟

إنها مثله تَشُفُّ عن الغيـ
ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

أكرمونا بأرضنا حيث كنتم
إنما يكرم الجواد الجوادا

إن عشرين حجة بعد خمسٍ
علمتنا السكون مهما تمادى

أمة النيل أكبرت أن تعادِي
من رماها وأشفقت أن تعادَى

ليس فيها إلا كلام، وإلا
حسرة بعد حسرة تتهادى

☆☆☆☆

أيها المدعي العموميُّ مهلا
بعض هذا فقد بلغت المرادا

قد ضَمَنَّا لك القضاء بمصر
وضمنا لنجلك الإسعادا

فإذا ما جلست للحكم فاذكر
عهد (مصرٍ) فقد شفيت الفؤادا

لا جـرى الـنيل فـي نـواحيك يـا (مـصـ
ـــر) ولا جـــادَكِ الـحـيـا حـيـث جـادا
أنـــتِ أنـبـتٍّ ذلـــك الـنـبـت يـا (مـصـ
ـــرُ) فـأضـحـى عـلـيك شـــوك قـتـادا
أنـــت أنـــبـــتٍّ نـــاعـقًـا قـــام بـالأمـــ
ـــس فـــأدمـــى الـقـلـوب والأكـــبـــادا
إيـــهِ يـا مِـــــدْرَةَ الـقـضـاء! ويـــا من
ســـاد فـــي غـفـلـة الـــزمـــان وشـــادا
أنـــت جـــلادنـــا، فـــلا تـــنـــس أنـا
قــد لـبـسـنـا عـلـى يـديـك الـحـــدادا

****

استقبال (اللورد) كرومر[1] عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي[2]

(قصر الدُّبارةِ) هل أتاك حديثنا؟
فالشرقُ رِيعَ لهُ وضجَّ المغربُ
أهلًا بساكنك الكريم ومرحبًا
بعد التحية إنني أتعتَّبُ
نَقَلَتْ لنا الأسلاك عنك رسالة
باتت لها أحشاؤنا تتلهب
ماذا أقول وأنت أصدق ناقل
عنا ولكنَّ السياسة تكذب
علمتَنَا معنى الحياة فما لنا
لا نشرئبُّ لها وما لك تغضب
أَنَقِمْتَ منا أن نُحِسَّ؟ وإنما
هذا الذي تدعو إليه وتندب
أنت الذي يُعزى إليه صلاحنا
فيما تقرره لديك وتكتب
إن ضاق صدر النيل عما هالَهُ
يومَ الحَمَام فإن صدرَك أرحب

(١) اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧م)، المعتمد السامي البريطاني الأشهر في مصر، كان رمزًا للاحتلال السافر، قبض على زمام السلطة في مصر قرابة الربع قرن (١٨٨٢ - ١٩٠٦م)، واشتهر بعدائه للقيم والمقومات الإسلامية والعربية، وسعيه الدائم للقضاء عليها.

(٢) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٢ - ٢٥.

أو كلما باح الحزين بأنةٍ
أمست إلى معنى التعصب تُنسب
رفقًا عميد الدولتين بأمةٍ
ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
رفقًا عميد الدولتين بأمة
ليست بغير ولائها تتعذب
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم
للقوت لا للمسلمين تعصبوا
ولربما ضن الفقير بقوته
وسخا بمهجتِهِ على من يغصب
في دنشواي وأنت عنا غائب
لَعبَ القضاء بنا وعز المهرب
حسبوا النفوس من الحَمَام بديلة
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا
نُكبوا وأقفرتِ المنازل بعدهم
لو كنتَ حاضرَ أمرِهِمْ لم يُنْكَبُوا
خَلَّيْتَهُم والقاسطون بمرصد
وسياطُهم وحبالُهم تتأهب
جلدوا ولو مَنَّيْتَهُم لتعلقوا
بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأَهَّلُوا
بلظى سياط الخالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات، وكأسِهِ
بين الشفاهِ وطعْمُهُ لا يَعْذُبُ

موتان: هذا عاجل متنمر
يرنو، وهذا آجل يترقب
والمستشار مكاثرٌ برجاله
ومعاجز ومناجز ومحزِّب
يختال في أنحائها متبسمًا
والدمع حول ركابه يتصبب
طاحوا بأربعة فأردوا خامسًا
هو خير ما يرجو العميد ويطلب
حَبٌّ يحاول غرسه في أنفس
يجني بمغرسها الثناء الطيب
كن كيف شئت، ولا تَكِلْ أرواحنا
للمستشار، فإن عدلك أخصب
وأفض على (بُنْدٍ) إذا ولى القضا
رفقًا، يهش له القضاء ويطرب
قد كان حولك من رجالك نخبة
ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا
أقصيتهم عنا، وجئت بفتية
طاش الشباب بهم وطار المنصب
فاجعل شعارك رحمة ومودة
إن القلوب مع المودة تكسب
وإذا سئلت عن المكانة قل لهم
هي أمة تلهو وشعب يلعب
واستَبْقِ غفلتَها، ونم عنها تنم
فالناس - أمثال الحوادث - قُلَّبُ

****

شكوى مصر من الاحتلال[1]

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذِّبَتْ
حواشيه حتى بات ظلمًا منظما
تَمُنُّ علينا اليوم أن أخصب الثرى
وأن أصبح المصريُّ حرًّا منعمًا
أعِدْ عهد (إسماعيل)[2] جلدًا وسخرةً
فإني رأيت المن أنكى وآلما
عملتم على عِزِّ الجماد وذلنا
فأغليتُمُ طينًا وأرخصتُمُ دما
إذا أخصبَتْ أرضٌ وأجدب أهلُها
فلا أطلعَتْ نبتًا ولا جادها السما
نَهَشُّ إلى الدينار حتى إذا مشى
به ربه للسوق ألفاه درهما
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تفد
متاعًا ولم تعصم من الفقر - مغنما
فإن كثيرَ المال - والخفض وارف -
قليلٌ إذا حل الغلاء وخيما

****

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٥ - ٢٦.

(٢) إشارة إلى الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (١٨٣٠ - ١٨٩٥م) خامس حكام أسرة محمد علي في مصر؛ حيث خلف عمه محمد سعيد في ١٨ يناير ١٨٦٣م إلى أن خلعته الدولة العثمانية عن العرش بإيعاز من إنجلترا في ٢٦ يونيو ١٨٧٩م.

وداع اللورد كرومر[1]

فتى الشعر! هذا موطن الصدق والهدى
فلا تكذبِ التاريخ إن كنت منشدا
لقد حان توديع العميد وإنه
حقيق بتشييع المحبين والعدا
فودع لنا الطود الذي كان شامخًا
وشيِّعْ لنا البحر الذي كان مُزبِدا
وزوِّدْهُ عنا بالكرامة كلها
وإن لم يكن بالباقيات مزودا
فلم لا نرى الأهرام - يا نيل - مُيَّدًا؟
وفرعون عن واديك مرتحلٌ غدا؟
كأنك لم تجزع عليه ولم تكن
ترى في حمى فرعون أمنًا ولا جدا
سلامٌ ولو أنا نُسيء إلى الألى
أساءوا إلينا ما مددنا لهم يدا
سنطري أياديك التي قد أفضتَها
علينا فلسنا أمة تجحد اليدا

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٦ - ٣٠.

أمـنًـا، فلـم يسلـك بنـا الخـوف مسلـكًا
ونمـنـا، فلـم يـطـرق لـنـا الـذعـر مـرقـدا
وكـنـت رحـيـمَ الـقـلـب تحـمـي ضـعـيفنـا
وتـدفـع عـنـا حـادث الـدهـر إن عـدا
ولـولا أسًـى فـي (دنـشـواي) ولـوعـة
وفـاجـعـة أدمـت قـلـوبًـا وأكـبـدا
ورمـيُـك شـعـبًـا بـالـتـعـصـب غـافـلا
وتـصـويـرُك الـشـرقـيَّ غـرًّا مـجـردا -
لـذبـنـا أسـى يـوم الـوداع لأنـنـا
نـرى فـيـك ذاك المـصـلـح المـتـوددا
تـشـعـبـتِ الآراء فـيـك فـقـائـل
أفـاد الـغـنـى أهـل الـبـلاد وأسـعـدا
وكـانـت لـه فـي المـصـلـحـين سـيـاسـة
تـرخـص فـيـهـا تـارة وتـشـددا
رأى الـعـز كـل الـعـز فـي بـسـطـة الـغـنـى
فـحـارب جـيـش الـفـقـر حـتـى تـبـددا
وأمـتـعـكـم بـالـنـيـل فـهـو مـبـارك
عـلـى أهـلـه خـصـبًـا وريًّـا ومـوردا
وسـن لـكـم حـريـة الـقـول عـنـدمـا
رأى الـقـول فـي أسـر الـسـكـوت مـقـيـدا
وآخـر لـم يـقـصـر عـلـى المـال هـمـه
يـرى أن ذاك المـال لا يـكـفـل الـهـدى

فلا يحمد الإثراء حتى يزينه
بعلم، وخير العلم ما كان مرشدا
يناديك قد أزريت بالعلم والحجا
ولم تبق للتعليم يا (لُرْدُ) معهدا
وأنك أخصبت البلاد تعمُّدًا
وأجدبت في مصر العقول تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه
قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووافيت والقطران[1] في ظل راية
فما زلت (بالسودان) حتى تمردا
فطاح كما طاحت (مُصَوَّعُ)[2] بعده
وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى
حجبت ضياء الصحْف عن ظلماته
ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)[3]
وأودعت تقرير الوداع مغامزًا
رأينا جفاء الطبع فيها مُجَسّدا
غمزت بها دين النبي وإننا
لنغضب إن أغضبتَ في القبر (أحمدا)
يناديك أين النابغون بعهدكم
وأي بناء شامخ قد تجددا

---

(١) إشارة إلى مصر والسودان.

(٢) مدينة تطل على البحر الأحمر، كانت عاصمة لإريتريا حتى نقلت العاصمة إلى أسمرة عام ١٩٠٠م، وقد ضمها الخديو إسماعيل إلى حكمه.

(٣) المؤيد جريدة مصرية أسسها الزعيم مصطفى كامل في ١ ديسمبر ١٨٨٩م، وتولى رئاسة تحريرها الشيخ علي يوسف إلى أن توقف صدورها. وقد اشتهرت بمعاداة الاحتلال، وهو ما دفع كرومر إلى حجبها غير مرة.

فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق
بأجدب من عهد لكم سال عسجدا
يناديك وَلَّيْتَ الوزارة هيئةً
من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من فتى
أبيٍّ إذا ما أصدر الأمر أوردا
بربك ماذا صدنا؟ ولوى بنا
عن القصد؟ إن كان السبيل ممهدا؟
أشرْتَ برأي في كتابك، لم يكن
سديدًا، ولكن كان سهمًا مسددًا
وحاولت إعطاء الغريب مكانةً
تجر علينا الويل والذل سرمدا
فيا ويل مصر يوم تشقى بندوة
يبيتُ بها ذاك الغريب مسودا
ألم يكفنا أنا سُلبنا ضِياعَنا
على حين لم نبلغ من الفطنة المدى؟
وزاحمنا في العيش كل ممارس
خبير، وكنا جاهلين ورُقَّدا
وما الشركات السود في كل بلدة
سوى شَرَكٍ يُلْقي به مَن تصيدا
فهذا حديث الناس، والناس ألسنٌ
إذا قال هذا صاح ذاك مفندا

ولـو كـنـتُ مـن أهـل الـسـيـاسـة بينهم

لـسـجـلْـتُ لـي رأيًـا وبـلـغـت مقصدا

ولـكـنـنـي فـي مـعـرض الـقـول شـاعـر

أضـافَ إلـى الـتـاريـخ قـولا مـخـلدا

فـيـا أيـهـا الـشـيـخ الجـلـيـل، تحية

ويـا أيـهـا الـقـصـر الـمُـنِـيفُ تَجَـلُّـدَا

لـئـن غـاب هـذا الـلـيـث عـنـك لـعلةٍ

لـقـد لـبـثـت آثـاره فـيـك شُـهَّـدَا

****

الحرب العظمى[1]

لاهُمَّ! إن الغرب أصبح شعلة
من هَوْلِها أُمُّ الصواعق تَفْرُقُ
العلم يُذْكِي نارَها، وتثيرها
مدنيّةٌ خرفاء لا تترفق
ولقد حسبت العلم فينا نعمة
تأسو الضعيف ورحمة تتدفق
فإذا بنعمته بلاءٌ مرهق
وإذا برحمته قضاء مطبق
عجز الرماة عن الرماة، فأرسلوا
كِسَفًا يموج بها دخان يخنق
تتعوذ الآفاق منه، وتنثني
عنه الرياح ويتَّقِيهِ الفيلق
وتنابلوا بالكيمياءِ فأسرفوا
وتساجلوا بالكهرباء فأغرقوا
وتنازلوا في الجو حين بدا لهم
أن البسيطة عن مداهم أضيق

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٦.

نفسوا على الحيتان واسع ملكها

فتفننوا في سلبه وتأنقوا

ملكوا مسابحها عليها، بعدما

غلبوا النسور على الجواء وحلقوا

إن كان عهد العلم هذا شأنه

فينا فعهد الجاهلية أرفق

****

فكتور هوغو[1]

أعـجـمـي كـاد يـعـلـو نجـمـه
في سـمـاء الـشـعـر نجـمَ الـعـربـي
صـاح فـي الـعـلـيـاء فـيـهـا والـتـقـى
بـالمـعـري فـوق هـام الـشـهـب
مـا ثـغـور الـزهـر - فـي أكـمـامـهـا
ضـاحـكـات مـن بـكـاء الـسـحـب
نَـظَـمَ الـوسـمـيُّ فـيـهـا لـؤلـؤًا
كـثـنـايـا الـغـيـد أو كـالحـبـب
عـنـد مـن يـقـضـي - بـأبـهـى مـنـظرًا
مـن مـعـانـيـه الـتـي تـلـعـب بي
بـسـمـت لـلـذهـن فـاسـتـهـوت نـهـى
مـغـرم الـفـضـلِ وصـبِّ الأدبِ
وَجَـلَـتْـهَـا حـكـمـةٌ بـالـغـةٌ
أعـجـزتْ أطـواقَ أهـل المـغـربِ
سـائـلـوا الـطـيـر إذا مـا هـاجـكـم
شـدوُهـا بـين الـهـوى والـطـرب
هـل تـغـنَّـتْ أو أرنَّـتْ بـسـوى
شـعـر (هـوغـو) بـعـد عـهـد الـعـرب

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج١ ص٣٨ - ٤٠.

كان مُرَّ النفس أَوْ تَرْضَى العلا

تظمأُ الأفلاكُ إن لم يَشرب

عاف في منفاهُ أن يدنو به

عفو ذاك القاهر المغتصب

بشروه بالتداني ونسوا

أنه ذاك العصاميُّ الأبي

كتب المنفيُّ سطرًا للذي

جاءه بالعفو فاقرأ واعجبِ

أبريءٌ عنه يعفو مذنبٌ؟

كيف تسدي العفوَ كفٌّ المذنب؟

جاء والأحلام في أصفادها

ما لها في سجنها من مذهب

طبع الظلم على أقفالها

بلظاه خاتمًا من رهب

أمعن التقليد فيها فغدت

لا ترى إلا بعين الكتب

أمر التقليد فيها ونهى

بجيوش من ظلام الحجب

جاءها (هوغو) بعزم، دونه

عزة التاج، وزهو الموكب

وانبرى يصدع من أغلالها

باليراع الحر لا بالقُضُب

هـــالـــه ألا يـــراهـــا حــرة

تمـتـطي فــي الـبـحـث مــتن الـكـوكـب

ســـــاءه ألا يـــرى فـــي قـومـه

ســيــرةَ الإســـلام فــي عــهــد الـنـبـي

قـلـتَ عـن نـفـسِـكَ قــولًا صــادقًــا

لــم تَــشُــبْــهُ شــائــبــاتُ الـكـذب:

أنـــا كــالـــمَـنـجـمِ تِـبْــرٌ وثَـــرًى

فــاطــرحــوا تُــربــي وصــونــوا ذهـبـي

****

حرب طرابلس[1]

طـمـع ألـقــى عــن الــغـرب الـلـثـامـا
فـاسـتـفـق يـا شــرق واحــذر أن تـنـامـا
واحــمــلـــي أيــتــهــا الــشــمــس إلـــى
كـل مـن يـسـكـن فــي الـشـرق الـسـلامـا
واشـــــهــــدي يـــــوم الــــتــــنــــادي أنــنـــا
فــي سـبـيـل الـحــق قـد مـتـنـا كـرامـا
مـــادت الأرض بــنــا حـــين انـتـشـت
مــن دم الـقـتـلـى حـــلالًا وحــرامــا
عــجــز الــطــلــيـان عـــن أبـطـالـنـا
فـــأَعَـــلُّــوا مـــن ذراريـــنـــا الـحـسـامـا
كـــبَّـــلــوهــم، قـــتــلــوهــم، مــثــلــوا
بـــذوات الـخـــدر، طـــاحـــوا بـالـيـتـامـى
ذبَّـــحـــوا الأشــيــاخ والـــزَّمْـــنَـــى، ولـــم
يــرحــمــوا طــفــلًا، ولـــم يـبـقـوا غـلامـا
أحــرقــوا الـــدور، اسـتـحـلـوا كــل مـا
حـــرَّمَـــتْ (لاهـــاي) فـــي الـعـهـد احـتـرامـا
بـــــارك المـــطـــران فـــي أعــمــالــهــم
فـــســلــوه بـــــارك الـــقـــومَ عـــلامـــا؟

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٦٦ - ٦٩.

أبـــهـــذا جــاءهـــم إنجــيـلُــهُـم
آمــرًا يـلـقـي عـلـى الأرض سـلامـا؟
كـشـفـوا عـــن نـيـة الـغـرب لـنـا
وجـلـوا عـن أفُــقِ الـشـرق الـظـلامـا
فــقــرأنــاهـــا ســـطـــورًا مـــن دم
أقـسـمـت تَـلْـتَـهِـمُ الـشـرق الـتـهـامـا
أطـلـقـوا الأسـطـول فـي الـبـحـر كـمـا
يـطـلـق الـزاجـل فـي الجـو الحـمـامـا
فـمـضـى غـيـر بـعـيـد، وانـثـنـى
يـحـمـل الأنـبـاء شـؤمًـا وانـهـزامـا
قــد مــلأنــا الــبــرَّ مــن أشـلائـهـم
فـدعـوهـم يمـلـئـوا الـدنـيـا كـلامـا
أعـلـنـوا الحـــرب، وأضــمـرنـا لـهـم
أيـنـمـا حـلـوا هـلاكًـا واحـتـرامـا
خـبـروا (فـكـتـور)[1] عـنـا أنـه
أَدْهَـــشَ الـعـالـم حـربًـا ونـظـامـا
أدهـــش الـعــالـم لمــا أن رأوا
جيشه يـسـبـق فـي الجـزْيِ الـنـعـامـا
لــم يـقـف فـي الـبـر إلا ريـثـمـا
يـسـلـم الأرواح أو يـلـقـي الـزمـامـا
حـــاتم[2] الـطـلـيـان! قـد قـلَّـدْتَـنَـا
مـنـةً نـذكـرهـا عـامًـا فـعـامـا

---

(١) فيكتور عمانويل الثالث (١٨٦٩-١٩٤٧م) آخر ملوك إيطاليا، (١٩٠٠-١٩٤٦م) خلع من العرش عقب استفتاء شعبي قضى بتحول البلاد إلى النظام الجمهوري. اقام اخريات حياته بالإسكندرية وتوفي ودفن بها.

(٢) إشارة إلى حاتم بن عبدالله الطائي جواد العرب الأشهر.

أنــــت أهـــديـــت إلـــيـــنـــا عـــدة
ولـــبـــاسًـــا وشـــرابًـــا وطـــعـــامـــا
وســـلاحًـــا كـــان فـــي أيـــديـــكـــم
ذا كـــلالٍ فـــغـــدا يَـــفْـــرِي الـــعـــظـــامـــا
أكـــثـــروا الـــنـــزهـــة فـــي أحـــيـــائـــنـــا
وَرُبَـــانـــا، إنـــهـــا تـــشـــفـــي الـــســـقـــامـــا
وأقـــيـــمـــوا كـــل عـــام مـــوســـمًـــا
يـــشـــبـــع الأيـــتـــام مـــنـــا والأيـــامـــى
لـــســـت أدري ! بـــت تـــرعـــى أمـــة
مـــن بـــنـــي (الـــتـــلـــيـــان) أم تـــرعـــى ســـوامـــا؟
مـــالـــهـــم - والـــنـــصـــر مـــن عـــادتـــهـــم -
لـــزمـــوا الـــســـاحـــل خـــوفـــا واعـــتـــصـــامـــا؟
أفـــلـــتـــوا مـــن نـــار (فـــيـــزوفَ) إلـــى
نـــار حـــرب لـــم تـــكـــن أدنـــى ضـــرامـــا
لـــم يـــكـــن (فـــيـــزوفُ) أدهـــى حـــمـــمًـــا
مـــن كـــراتٍ تـــنـــفـــث المـــوت الـــزؤامـــا
إيـــه يـــا (فـــيـــزوفُ) نم عـــنـــهـــم فـــقـــد
نَـــفَـــضَـــتْ إفـــريـــقـــيـــا عـــنـــهـــا المـــنـــامـــا
فـــهـــي (بـــركـــانٌ) لـــهـــم سَـــخَّـــرَهُ
مـــالـــكُ المـــلـــكِ جـــزاءً وانـــتـــقـــامـــا
لـــو دروْا مـــا خـــبـــأ الـــشـــرق لـــهـــم
آثـــروا (فـــيـــزوفَ) واخـــتـــاروا المـــقـــامـــا
تـــلـــك عـــقـــبـــى كـــل جـــبـــارٍ طـــغـــي
أو تـــعـــالـــى أو عـــن الـــحـــق تـــعـــامـــى

لـو درت (رومـــةُ) مـا قـد نـابـهـا
فـي (طـرابـلْـسَ) أَبَـتْ إلا انـقـسـامـا
وأبـى كـل اشـتـراكـيٍّ بـهـا
أن يـرى الـتـاج عـلـى رأس أقـامـا
أعـلـنـوا ضـم مـغـانـيـنـا إلـى
مـلـك (فـكـتـور) ولـم يـخـشـوا مـلامـا
أعـلـنـوا الـضـم، ولـمـا يـفـتـحـوا
قـيـدَ أُظْـفُـورٍ وراءً أو أمـامـا
فـاعـجـبـوا مـن فـاتـح ذي مِـرَّةٍ
يـحـسـب الـنـزهـة فـي الـبـحـر صـدامـا
ويـرى الـفـتـح ادعـاءً بـاطـلا
وافـتـراءً واحـتـجـاجًـا واحـتـكـامـا
أيـهـا الـحـائـر فـي الـبـحـر اقـتـرب
مـن حـمـى (الـبـسـفـور) إن كـنـت هـمـامـا
كـم سـمـعـنـا عـن لـسـان الـبـرق مـا
يـزعـج الـدنـيـا إذا الأسـطـول عـامـا
عـام شـهـريـن ولـم يـفـتـح سـوى
هـوةٍ فـيـهـا المـلايـين تـرامـى
دفـنـوا تـاريـخـهـم فـي قـاعـهـا
ورمـوا فـي إثـره المـجـد غـلامـا
فـاطـمـئـنـي أمـم الـشـرق ولا
تـقـنـطـي الـيـوم فـإن الجـد قـامـا
إن فـي أضـلاعـنـا أفـئـدةً
تـعـشـق المـجـد، وتـأبـى أن تـضـامـا

****

منظومة تمثيلية[1]

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك، وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، طبيب، ورجل عربي

الجريح:

(ليلايَ) ما أنا حي
يُرجى ولا أنا مَيْتُ
لم أقضِ حقَّ بلادي
و (ها أنا) قد قَضَيْتُ
شفيْتُ نفسي لو انّي
لما رُمِيتُ رَمَيْتُ
(بيروت) لو أن خصمًا
مشى إليَّ مشيت
أو داس أرضك باغٍ
لدستُهُ وبغيْتُ
أو حل فيك عدوٌّ
منازلٌ ما اتَّقَيْتُ

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٦٩ - ٧٥.

لـــكـــنْ رمـــــاك جـــبـــانُ

لـــو بـــــان لـــــي لاشــتــفــيــت

(لــــيـــــلايَ) لا تـحــسـبـيـنـي

عـــلــى الحــــيـــــاة بــكــيــت

ولا تــــظـــنـــي شَـــكَـــاتـــي

مـــن مـــصــرعـــي إن شــكــوت

ولا يُــخِـــيــفَـــنْــكِ ذكـــرى

(بـــــيــــروتُ) أنــــي ســلـــوت

(بـــــيـــــروت) مـــهـــد غـــرامـــي

فـــيــهـــا وفـــيـــك صـــبـــوت

جــــــــررتُ ذيـــــل شـــبـــابـــي

لــــهـــوًا وفـــيـــهـــا جـــريـــت

فـــيـــهـــا عـــرفـــتُـــك طـــفـــلا

ومــــــن هـــــــواك انـــتـــشـــيـــت

ومـــــن عــــيـــــون ربـــــاهـــــا

وعـــــذب فـــيـــك ارتـــويـــت

فـــيـــهـــا (لِــلَـــيْـــلَـــى) كِـــنَـــاسٌ

ولـــــي مـــــن الـــــعِـــزّ بـــيـــت

فـــيـــهـــا بـــنـــى لِـــيَ مـــجـــدًا

أوائـــــــلــــــي وبـــنـــيـــت

(لـــيـــلـــى): سِـــــراجُ حـــيـــاتـــي

خـــبـــا فـــمـــا فـــيـــه زيـــت

قـــد أطــــفـــأتْــــهُ كـــــراتٌ

مـــا مـــن لـــظـــاهُـــنّ فَـــوْتُ

رمى بهن بغاةٌ
أصبْنَنِي فَتَوَيْتُ

ليلي:

لو تُفْتَدَى بحياتي
من الرَّدَى لفديتُ
ولو وقاك وفيٌّ
بمهجة لوقيت
إن عشتَ أو مِتُّ إني
كما نويتَ نويتُ

الجريح:

(ليلايَ) عِيشي وَقَرّي
إذا الحمام دعاني
(ليلايَ) ساعاتُ عمري
معدودة بالثواني
فكفكفي من دموع
تفري حشاشة فان
ومهِّدي ليَ قبرًا
على ذرا (لبنان)
ثم اكتبي فوق لوح
لكل قاص ودانِ:
هنا الذي مات غدرًا
هنا فتى الفتيان

رَمَـــــــثْـــــهُ أيـــــدي جـنــــاةٍ
مـــــن جـــيـــرة الـــنـــيـــران
قـــرصـــان بـــحـــر تَـــوَلَّـــوا
مـــــن حـــومـــة المـــيـــدان
لـــم يـــخـــرجـــوا قـــيـــد شِـــبْـــرٍ
عـــن مـــســبـــح الحـــيـــتـــان
ولـــــم يـــطـــيـــقـــوا ثـــبـــاتًـــا
فـــي أوجـــــــه الـــفـــرســـان
فـــشـــــمـــــروا لانـــتـــقـــامٍ
مـــن غـــافـــل فـــي أمـــان
وســــــــوَّدوا وجـــــه (رومــــا)
بـــالـــكـــيـــد لـــلـــجـــيـــران
تـــبًّـــا لـــهـــم مـــن بـــغـــاةٍ
فـــــروا مـــــن الـــعـــقـــبـــان
لـــــو أنـــــهـــــم نـــازلـــونـــا
فـــي الـــشـــام يـــوم طـــعـــان
رأوا طـــرابُـــلْـــسَ تـــبـــدو
لـــهـــم بـــكـــل مـــكـــان
يـــا لـــيـــتـــنـــي لـــم أعـــاجـــل
بـــالمـــوت قـــبـــل الآوان
حـــتـــى أرى الـــشـــرق يـــســمـــو
رغـــم اعـــتـــداء الـــزمـــان
ويـــــســـــتـــــردَّ جـــــلالا
لــــــه ورفـــــعـــــة شـــــان

وليعلم الغربُ أنا
كأمة (اليابان)
لا ترتضي العيش يجري
في ذلة وهوان
أراهمُ أنزلونا
منازل الحيوان
وأخرجونا جميعًا
عن رتبة الإنسان
وسوف تقضي عليهم
طبائع العمران
فيصبح الشرق غربًا
ويستوي الخافقان
لأهُمّ جدد قوانا
لخدمة الأوطان
فنحن في كل صقع
نشكو بكل لسان
يا قوم إنجيل (عيسى)
وأمة القرآن
لا تقتلوا الدهر حقدًا
فالملك للديان

ليلى:

إني أرى من بعيد
جماعةً مقبلينا
لعل فيهم نصيرًا
لعل فيهم معينا

العربي:

هــــــــون عــــلــــيــــك، تمــــاســــك
إنــــــــي ســــمــــعــــت أنــــيــــنــــا
أظــــــــن هــــــــذا جــــريــــحًــــا
يــشــكــو الأســــــى أو طــعــيــنــا
بــــالـــلـــه ! مـــــاذا دهــــاه
يــــــا هــــــذه خــــبــــريــــنــــا؟

ليلى:

لــــقــــد دَهَــــتْــــهُ المــــنــــايــــا
مـــــن غــــــارة الخــــائــــنــــيــــنــــا
صُــــبُّــــوا عــــلــــيــــنــــا الــــرزايــــا
لــــم يــــتــــقــــوا الــــلــــه فــــيــــنــــا
فــــخــــفــــفــــوا مــــن أذاه
إن كــــنــــتُــــمُ فــــاعــــلــــيــــنــــا

العربي:

لا تــــيــــأســــي، وتجــــلَّــــدْ
أراك شــــهــــمًــــا ركــــيــــنــــا
أبــــشــــر فــــإنــــك تــــاجٌ
واصــــبــــر مــــع الــــصــــابــــريــــنــــا

الطبيب:

أواه! إنــــــي أراهُ
بــــالمــــوت أمــــســــى رهــــيــــنــــا

جـــــراحُــــــهُ بـــالــــغــــاتٌ

تُــغْــيِــي الـطـبـيـب الـفـطـيـنـا

وعــــــن قـــريـــب سـيـقـضـي

غـــــضُّ الــــشــــبــــاب حــزيــنــا

العربي:

أُفٍّ لــــقــــوم جــيــاع

قــــد أزعـــجــوا الـعـالـمـيـنـا

قِــــــراهُــــــمُ أيــــــن حــلــوا

ضــــــرب يــــقــــد الـمـتـونـا

عـــقـــوا الـمـــــــروءةَ، هـــدوا

مـــفـــاخـــرَ الأولـــيــــنــــا

عـــاثـــوا فـــســـادًا وفـــروا

يـسـتـعـجـلـون الـسـفـيـنـا

وألــبــســوا الــغــرب خــزيًــا

فـــي قـــرنِـــهِ الـعـشـريـنـا

وألــجــمــوا كــــل داعٍ

وأحـــرجــوا الـمـصـلـحـيـنـا

فـــيـــا (أُرُبَّــــــــةُ)! مـــهـــلا

أيــــن الــــذي تــدّعــيـنــا؟

مــــاذا تـــريـــديـــن مـــنـــا

والــــداء أمـــســـى دفـــيـنـــا؟

أيــــن الــحــضــارة؟ إنــــا

بــعــيــشــنــا قـــد رضــيــنــا

لم نؤذ في الدهر جارًا
ولم نخاتل خدينا

(مسرة) الشام! إنا
إخوانكم ما حيينا

ثقوا فإنا وثقنا
بكم وجئنا قطينا

إنا نرى فيك (عيسى)
يدعو إلى الخير فينا

قرَّبتَ بين قلوب
قد أوشكت أن تبينا

فأنت فخر النصارى
وصاحب المسلمينا

الجريح:

رأيت يأسَ طبيبي
وهمسَهُ في فؤادي

لا تندبيني، فإني
أَقضى وتحيا بلادي

****

إلى معتمد بريطانيا في مصر[1]

أَيْ (مِـكْـمَـهُـونُ)[2]! قَـدِمْـتَ بالـ
ـقـصـد الحـمـيـد وبـالـرعـايـةْ
مـاذا حـمـلـتَ لـنـا عـن الـ
ـمـلـك الـكـبـيـر وعـن (غـرايـه)؟
أوضِـخْ (لمـصـر) الـفـرق مـا
بـين الـسـيـادة والحـمـايـةْ
وأزِلْ شـكـوكًـا بـالـنـفـو
س تـعـلـقَـتْ مـنـذ الـبـدايـةْ
ودع الـوعـود؛ فـإنـهـا
فـيـمـا مـضـى كـانـت روايـه
أضـحـت ربـوع الـنـيـل سـلـ
ـطـنـةً، وقـد كـانـت ولايـه
فـتـعـهـدوهـا بـالـصـلا
ح، وأحـسِـنـوا فـيـهـا الـوصـايـةْ
إنـا لـنـشـكـو واثـقـيـ
ـن بـعـدل مـن يُـشـكِـي الـشـكـايـه
نـرجـو حـيـاةً حـرة
مـضـمـونـة فـي ظـل رايـةْ

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٢ - ٨٣.

(٢) السير آرثر هنري مكمهون المعتمد البريطاني بمصر خلال الحرب العالمية الأولى.

ونـــــــروم تـــعـــلـــيــمًــا يــكــو

ن لـــه مـــن الــفــوضـــى وقـــايـــه

ونـــــــود ألا تـــســمــعــوا

فـــيــنــا الــســعــايــة والــوشــايـــه

أنـــتــــم أطـــبـــاء الــشــعــو

ب وأنـــبـــل الأقـــــوام غـــايـــه

أنَّـــى حـــلـــلــتـــم فــــي الــبـــلا

د لـــكـــم مـــن الإصــــــلاح آيـــه

رســــخــــت بــنـــايـــة مـــجـــدِكُـــمْ

فــــوق الـــرويـــــة والـــهـــدايـــه

وعـــدلـــتُـــمُ فــمــلــكــتُــمُ الـــدْ

دُنـــيـــا، وفـــي الـــعـــدل الـكــفــايــه

إن تـــنـــصـــروا الــمــســتــضــعــفــيـ

ـــن فــنــحــن أضــعــفُــهُــمْ نــكــايــه

أو تـــعـــمـــلـــوا لـــصـــلاحـــنـــا

فـــتــــداركــــوه إلـــــى الــنــهــايــه

إنــــــا بـــلـــغـــنـــا رشــــدَنـــا

والـــرشـــد تـــســبــقُــهُ الــغــوايــه

لا تـــــأخـــــذونـــا بـــالـــكـــلا

م، فــلــيــس فـــي الــشــكــوى جــنــايــه

هـــذا (حــــســـــيـــنٌ)[1] فـــوق عـــر

ش (الـــنـــيـــل) تحـــرســـه الـــعـــنـــايـــه

هـــــو خـــيـــر مـــن يـــبـــنـــي لـــنـــا

فــــدعـــوه يـــنـــهـــض بـــالـــبـــنـــايـــه

****

(١) إشارة إلى السلطان حسين كامل (١٨٥٣ - ١٩١٧م) ثامن حكام مصر من أسرة محمد علي تولى العرش بعد عزل ابن أخيه الخديو عباس حلمي ١٩١٤م واستمر حكمه حتى عام ١٩١٧م.

إلى غليوم الثاني امبراذور ألمانيا[1]

لـــلـــه آثـــــــار، هـــنـــاك كـــريمـــةٌ
حَـــسَـــدَتْ روائـــع حسنـها (بــرلـــيُن)
طـاحــت بــهـا تـلـك الـمـدافـع تـــارةً
لمـــا أمَـــــرْتَ وتـــــارةً (زبــلـــــينُ)[2]
مــــاذا رأيـــت مـــن الـنـبـالـة والـعـلا
فــــي عــدمــهــن وكــلــهــنَّ عـــيـــونُ؟
لــو أن فـــي (بـــرلـــين) عـــنـدك مثلـها
لـعـرفـتَ كـيـف تُجِـلُّـهــا وتـصـــون؟
إن كـنـت أنــت هـدمـت (رِمْــــس) فـإنـه
أودى بـمـــجـدك ركـنـهـا المـوهـون
لــم يُـــغْـــنِ عـنـهـا مـعـبـدٌ خَـرَّبْـتَـهُ
ظـلـمًـا ولـــو يمـسـك عـنـانـك ديـــن
لا تـحـسـبن الـفـخـر مـــا أحــرزتـه
الـفـخـر بـالـذكـر الجـمـيـل رهـين
هـل شـدت فـي (بـرلـين) غـيـر مـعسكر
قـــامـت عـلـيـه مـعـاقـل وحـصـون؟

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٣ – ٨٥.
(٢) زبلن: اسم لمجموعة من المناطيد العملاقة استخدمها الألمان في الحرب العالمية الأولى سفن هواء حربية، وهي منسوبة إلى مخترعها الألماني، الكونت فرديناند فون زبلن (١٨٣٨-١٩١٧م).

وجمعتَ شعبك كلَّه في قبضة

إن لم تكن لانت فسوف تلين

نَظَمَتْ تجارتُك المدائنَ والقرى

(فالنيل) ناءَ بها وناء (السين)

فبكل أرضٍ من رجالك عصبةٌ

وبكل بحر من لَدُنْكَ سفين

تسري ونسرك أين لُحْنَ يظلها

لا الليث يزعجها ولا التنين

فالأمر أمرك، والمهند مغمدٌ

والنهي نهيك، والسرى مأمون

قد كان في (برلين) شعبك وادعًا

يستعمر الأسواق وهي سكون

فُتِحَتْ له أبوابُها، فسبيلها

وقْفٌ عليه، ورزقه مضمون

فعلام أرهقْتَ الورى وأثرتها

شعواء فيها للهلاك فنون؟

تالله لو نُصِرَتْ جيوشك لانطوى

أجلُ السلام وأقفرَ المسكون

سبعون مليونًا إذا وَزَّعْتَها

بين الحواضر نالنا مليون

ويلٌ لمن يستعمرونَ بلادَهُ

القحط أيسر خَطْبِهِ والهون

أكــثــرت مـــن ذكـــر الإلـــه تــورعًــا
وزعـــمـــتَ أنـــك مـــرسَـــلٌ وأمـــين

عـــجـــبًـــا! أتـــذكـــره وتمـــلأ كـــونـــه
ويـــلًا لـــيـــنـــعـــم شـــعـــبُـــك المـــغـــبـــون؟

وكـــذلـــك الـــقـــصـــابُ يـــذكـــر ربَّـــهُ
والـــنـــصـــل فـــي عـــنـــق الـــذبـــيـــحِ دفـــينُ

****

أحمد شوقي[1]

على قبر نابليون[2]

قف على كنزٍ بباريسَ دفينْ
من فريدٍ في المعالي وثمين
وافتقد جوهرةً من شرف
صدف الدهر بِتِرْبَيْها ضنين
قد توارت في الثرى حتى إذا
قَدُمَ العهدُ توارت في السنين
غربت حتى إذا ما استيأسَتْ
دَنَتِ الدارُ ولكن لات حين
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها
وأذابتْهُ تباريح الحنين

---

(١) أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥١هـ = ١٨٦٨ - ١٩٣٢م)، أمير الشعراء وأشهر أعلام الشعر العربي في العصر الحديث، سافر إلى غير واحد من البلدان الأوروبية، وطالت إقامته ببلدين منها أولهما - فرنسا التي ابتعثه إليها الخديوي محمد توفيق لدراسة القانون بمونبلييه وباريس (١٨٨٨ - ١٨٩٣م)، وقد أسهمت هذه الرحلة في تشكيل مرتكزات شوقي الفكرية والإبداعية إلى حد كبير، وثانيهما - إسبانيا حيث اقام بمدينة برشلونة (١٩١٥ - ١٩٢٠م) التي اتخذها منفًى اختياريًا له بعد أن أبعده الإنجليز عن مصر عقب خلع صديقه الخديو عباس حلمي الثاني، وإعلان الحماية على مصر في بداية الحرب العالمية الأولى. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٩٨/٢.

(٢) أحمد شوقي، ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح د. أحمد الحوفي. ط نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٠م: ج٢ ص ٥٦٤ - ٥٧٠.

لا تـلـومـوهـا؟ ألـيـسـت حـرةً
وهـوى الأوطـان لـلأحـرار ديـن؟
غـيـبـت بـاريـس نُخْـرًا ومـضـى
تـربـهـا الـقـيِّـم بـالـحـرز الـحـصـين
نـزل الأرض ولـكـن بـعـدمـا
نـزل الـتـاريـخ قـبـر الـنـابـغـين
أعـظُـمُ الـلـيـثِ تـلـقَّـاهـا الـثَّـرى
ورفـات الـنـسـر حـازَتْـه الـوكـون
وحـوى الـغـمـدُ بـقـايـا صـارم
لـم تـقـلِّـب مـثـلَـه أيـدي الـقـيـون
شـيـد الـنـاس عـلـيـه وبـنـوا
حـائـطَ الـشـكِّ عـلـى أسِّ الـيـقـين
لـسـتَ تُـحـصـى حـولـه ألـويـةً
أُسِـرَتْ أمـسِ ورايـاتٍ سُـبِـين
نـام عـنـهـا وهـي فـي سُـدَّتِـهِ
ديـدبـانٌ سـاهـرُ الـجـفـن أمـين
وكـأيٍّ مـن عـدو كـاشـحٍ
لـك بـالأمـس هـو الـيـوم خـديـن
وولـيٍّ كـان يـسـقـيـك الـهـوى
عـسـلًا قـد بـات يـسـقـيـك الـوزيـن
فـإذا اسـتـكـرمـت وُدًّا فـاتـهـم
جـوهـرُ الـودِّ وإن صـحَّ ظـنـين
مـرمـر أضـجـع فـي مـسـنـونِـهِ
حـجـرَ الأرضِ وضـرغـامَ الـعـريـن

جــلَّــلَــتْــهُ هــيــبــةُ الــثــاوي بــه

روعــة الحـكـمـة فـي الـشـعـر الـرصـين

هـــل درى المـــرمـــر مـــاذا تحـتَـهُ

مــن قـــوى نـفـسٍ ومـــن خـلـق مـتـين؟

أيــهـا الــغــالــون فــي أجـداثـهـم

ابحثوا في الأرض: هل عيسى دفين؟

يَمَّـــحِـــي المـــيْــتُ ويـبـلـى رمـسُـهُ

ويـــغـــول الـــربـــع مـــا غـــال القـطـين

حــصــنــوا مـــا شـئـتُـمُ مـوتـاكُـمُ

هل وراءَ المـوت مـن حـصـنٍ حصين؟

لـيـس فــي قـبـر وإن نـــال الـسـهـا

مــا يـزيـد المـيْـتَ وزنًـــا وَيَـــزِيـــن

فـــانـــزلِ الـتـاريـخ قـبـرًا أو فَـنَـمْ

فـي الـثـرى غـفـلًا كـبـعـض الـهـامـدين

واخـــدعِ الأحـيـاء مـا شـئـتَ فَـلَـنْ

تَجِـدَ الـتـاريـخ فـي الـمُـنْـخَـدِعِـين

وعـصـامـيًّـا حـوى المـجـد سـوى

فضلـةٍ قـد قُـسِّـمَـتْ فـي الـمُـغْـرِقِـين

أمُّــــكَ الــنَّــفــسُ قــديمًـــا أكـرمـت

وأَبُـــوكَ الـفـضـلُ خـيـر المـنـجـبـين

نـسـب الــبــدر أو الـشـمـس - إذا

جِـــيءَ بـالآبـاء - مـغـمـورٌ رَهِـــين

وأصـــول الـخـمـر مـا أذكـــى عـلـى

خُـبـثِ مـا قـد فـعـلـت بـالـشـاربـين

لا يـقـولـنَّ امـــرؤٌ أصْـلــي، فـمـا
أصـلُـهُ مـسـكٌ وأصـــلُ الـنـاس طـين؟
قــد تَــتَــوَّجْــتَ فــقــالــتْ أمَمٌ:
وَلَـــــدُ الـــثــورةِ عـــقُّ الـثـائـريـن
وتـــــزوجـــتَ فــقـــالـــوا: مـــا لـه
ولـحـــورٍ مـــن بــنـــات الـمـلْــكِ عــين؟
قـسـمًـا لــو قـــدروا مــا احـتـشـمـوا
لا يَــعِــفُّ الــنــاس إلا عـاجـزيـن
أرأيـــــت الخـــيـــر وافــــى أمـــة
لــم يـنـالـوا حـظـهـم فــي الـنـابـغـين؟
يــصــلــح الملـــك عــلــى طــائــفــةٍ
هــم جـمـال الأرض حـينًـا بـعـد حـين
مَـــــلأوا الـدنـيـا، عـلـى قِـلَّـتِـهِـم
وقـــديمًـــا مُــلِــئَــتْ بـالمـرسـلـين
يــخـسـن الــدهــر بِـهِـمْ مـا طـلـعـوا
وبــهـــم يــــزداد حـــسـنًـــا آفـلـين
قـــد أقـــامــوا قـــدوةً صـالحـةً
ومـــضـــوا أمــثــلـة لـلـمـحـتـذيـن
إنمــا الأســـوة - والـدُّنـيـا أسًـــى -
ســبــبُ الــعــمــرانِ نـظـم الـعـالمـين
يــا صــريــعَ المـــوت نَـــدْمــان الـبـلـى
كـــلُّ حـــيٍّ بــالـــذي ذقـــتَ رهـــين
كـــدتَ مـــن قــتـل المـنـايـا خـبـرةً
تَـــعْــلَـــمُ الآجــــال أيّــــان تحـين

يا مبيد الأُسْدِ في آجامها

هل أبادت خيلُكَ الدودَ المَهِين؟

يا عزيز السجن بالبابا إلى

كم تردى في الثرى ذل السجين؟[1]

رب يومٍ لك جَلَّى وانثنى

سائلَ الغُرَّةِ ممسوحُ الجبين

أحرز الغاية نصرًا غالبًا

لفرنسا وحوى الفتحَ الثمين

قيصرًا الأنسابِ فيه نَازِلا

قَيْصَرَ النفسِ عِصَامَ المالكين

مجلسَ التاجِ على مفرقِهِ

بيديهِ لا بأيدي المُجلسين

حول أسترليز كان الملتقى

واصطدام النَّسر بالمُسْتَنْسِرِين[2]

وضع الشطرنج فاستقبلْتَهُ

ببنانٍ عابثٍ باللاعبين

فإذا المَلْكان هذا خاضعٌ

لك في الجمع وهذا مستكين

صِدْتَ شاهَ الروسِ والنِّمْسَا معًا

من رأي شاهين صيدًا في كمين؟[3]

يا مُلَقَّى النصر في أحلامه

أين من وادي الكرى سنت هِلِين[4]؟

---

(١) هو البابا بيوس السابع (١٧٤٢-١٨٢٣م)، انتخب بابا للكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام ١٨٠٠م.

(٢) أوسترليتز مدينة تشيكية، وقعت فيها عام ١٨٠٥م أعظم انتصارات بونابرت على جيوش الروس والنمسا.

(٣) إشارة إلى الكسندر الأول (١٧٦٨-١٨٣٥م) قيصر روسيا، وفرانسو الثاني (١٧٧٧-١٨٢٥م) إمبراطور النمسا.

(٤) سانت هيلين: هي الجزيرة التي نفي إليها بونابرت للمرة الثانية عام ١٨١٥م وظل بها حتى وفاته سنة ١٩٢١م.

يا مُنِيلَ التاج في المَهْدِ ابنَهُ
ما الذي غَرَّكَ بالغيب الجنين؟
اتئد في أمة أرهقتها
إنها كالناس من ماء وطين
أتعب الريحَ مَدَى ما سَلَكَتْ
من سُهولٍ وأجازت من حُزون
من أديم يَهْرَأُ الدُّبَّ إلى
فَلَوَاتٍ تُنْضِجُ الضَّبَّ الكَنين
لك في كل مغارٍ غارةٌ
وعليها الدمعُ فيهِ والأنين
ومن المكر تَغَنِّيكَ بها
هل يُزَكّي الذَّبحَ غيرُ الذابحين؟
سُخِّرَ النَّاس وإن لم يشعروا
لقويٍّ أو غنيٍّ أو مُبِين
والجماعات ثنايا المرتقِي
في المعاني وجسور العابرين
يا خطيب الدهر هل مال البِلى
بلسانٍ كان ميزان الشؤون؟
تَرجحُ السِّلمُ إذا حركتَهُ
كِفَّةً أو تُرْجَحُ الحربُ الزَّبُون
خُطَبٌ لا صَوْتَ إلا دُونَها
في صداها الخيل تجري والسنين
من قصيرِ اللفظِ في مكر النُّهى
وطويلِ الرمحِ في كيد الوَتِين

غيـر وضَّــــاعٍ ولا واشٍ ولا

مُـنْـكِـرِ الـقـولِ ولا لَـغْـوِ الـيَـمِـين

سِــــرْنَ أمــثــالًا فـلـو لـم يُـحْـيِـهِ

سـيـفُـهُ أَخْـيَـنَـه فـي الـغـابـريـن

قـم إلـى الأهــرام واخـشـع واطَّــرِحْ

خِـيـلَـةَ الـصَّـيـدِ وَزَهْـــوَ الـفـاتـحـين

وتمَـــهــــل إنمــــا تمــشــى إلــى

حــرم الــدهــر ومــحــراب الــقــرون

هــو كـالـصـخـرة عـنـد الـقـبـط أو

كـالحـطـيـم الـطُّـهـر عـنـد المسـلـمـين

وتــســنَّــمْ مــنــبـرًا مــن حـجـرٍ

لــم يـكـن قـبـلـك حــظٌّ الخـاطـبـين

وادع أجــيــالًا تــولَّــتْ يـسـمـعـوا

لـك وابـعـث فـي الأوالــي حـاشـريـن

وأَعِــــدْهَـــا كــلــمــات أربــعًــا

قــد أحــاطــت بــالــقــرون الأربــعــين

ألــهـبـت خـيـلاً وحـضَّــت فـيـلـقًـا

وأحــالــت عــســلاً صــاب المــنــون

قـد عَـرَضْــتَ الـدهـر والجـيـش معًـا

غــايــةٌ قَــصَّــرَ عـنـهـا الـفـاتـحـون

مــا عـلـمـنـا قــائــدًا فــي مـوطـن

صَــفَـحَ الــدهــرَ وصــفَّ الـدارعـين

فــتــرى الأحــيــاء فــي مـعـتـركٍ

وتــرى المــوتــى عـلـيـهـم مُـشْـرفـين

عِظَةٌ قومي بها أولى وإن
بَعُدَ العهد، فهل يعتبرون؟
يا كثير الصَّيْد لِلصَّيد الغُلا
قم تأمل كيف صادتك المنون
قُمْ تَرَ الدنيا كما غادرتها
منزلَ الغدر وماءَ الخادعين
وتَرَ الحق عزيزًا في القنا
هيِّنًا في العُزَّلِ المُسْتَضْعَفين
وَتَرَ الأمر يدًا فوق يدٍ
وَتَرَ الناس ذئابًا وَضِئِين
وَتَرَ العِزَّ لسيفٍ نَزِقٍ
في بناء الملك أو رأي رزين
سنن كانت، وَنَظْمٌ لم يزل
وفسادٌ فوق بَاعِ المُصْلحين

****

غاب بولونيا[1]

يـــا غـــاب بـــولـــونِ وَلِـــي
ذِمَمٌ عـلـيـكَ ولـــي عـهـودْ
زمـــنٌ تَـــقَـــضَّـــى لـلـهـوى
ولـــنـــا بـظـلـكَ، هـــل يـعـود؟
حـــلـــم أريـــــد رجـــوعـــه
ورجـــــوع أحـــلامـــي بـعـيـد
وَهَـــــبِ الـــزمـــان أعـــادهـــا
هـــل لـلـشـبـيـبـة مـــن يُـعـيـد؟
يـــا غـــاب بـــولـــونِ وبـــي
وَجْـــدٌ مـــع الـــذكـــرى يـزيـد
خـــفـــقـــت لـــرؤيـــتـــك الـضـــ
ـــلـــوع وزُلـــزل الـقـلـب الـعـمـيـد
وأراك أقـــســـى مـــا عَـهِـدْ
تُ فـمـا تـمـيـل ولا تَمِـيـد
كـــم يـــا جـــمـــاد قـــســـاوةٌ
كـــم هـــكـــذا أبـــدًا جـــحـــود؟

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ص ٧٤ - ٧٥. وغاب بولونيا احد اكبر متنزهات باريس واشهرها

هـــلا ذكـــــرت زمـــــان كــنْـــ
ـــنَــا والـــزمـــان كـمـا نـريـد؟
نــطـــوي إلـــيــك دجـــى الـلـيـا
لـــي والـــدُّجـــى عــنـــا يـــذود
فـــنـــقـــول عـــنـــدك مـــا نـقـو
ل، ولـــيـــس غـــيـــرك مـــن يـعـيـد
نــطـــقـــي هـــــوى وصـــبـــابـــة
وحـــديـــثـــهـــا وَتَـــــــرٌ وعـــود
نـــســـري ونـــســـرح فـــي فـضـا
ئــك والـــريـــــاح بـــه هـجـود
والـــطـــيـــر أقـــعـــدهـــا الـــكـرى
والـــنـــاس نـــامـــت والـــوجـــود
فـنـبـيـتُ فـــي الإيـــنـــاس يـغـ
ـبـطـنـا بـــه الـــنـجـم الـوحـيـد
فــــي كــــل ركـــــن وقـــفـــة
وبــــكــــل زاويـــــــــة قـــعـــود
نَــشْــقِـــي وَنُـــشْـــقَـــى والـــهـــوى
مـــا بـــين أعـــيـــنـــنـــا ولـــيـــد
فـــمِـــنَ الـــقـــلـــوب تـمـــائـــمٌ
ومــــن الـجـــنـــوب لـــه مـــهـــود
والـــغـــصـــن يـــســـجـد فـــي الـفـضـا
ء وحـــبـــذا مـــنـــه الـــســجـــود

والـــنـــجـــم يـلـحـظـنـا بـعـيـ
ـــنٍ مـــا تحـــول ولا تحـيـد

حـــتـــى إذا دعــــت الـــنـــوى
فـــتـــبـــدد الـــشـــمـــل الـنـضـيـد

بـــتـــنـــا ومـمـــــا بـيـنـنـا
بـــحـــر ودون الـــبـــحـــر بـيـد

لـــيـــلـــي بـمـــصـــر ولـــيـــلـــهـــا
بـــالـــغـــرب وهـــو بـــهـــا سـعـيـد

****

الطيارون الفرنسيون[1]

قم سليمانُ[2]، بساطُ الريح قاما
ملك القومُ من الجو الزِّماما
حين ضاق البر والبحر بهم
أسرجوا الريح وساموها اللِّجاما
صار ما كان لكم معجزةً
آيةً للعلم آتاها الأناما
قدرة كنتَ بها منفردًا
أصبحتْ حِصَّةَ من جَدَّ اعتزاما
عين شمسٍ قام فيها مارد
من عفاريتك يدعى (شاتهاما)[3]
يملأ الجو عزيفًا كلما
ضرب الريح بسوط والغماما
ملك الجو تليه عصبة
جَمَعَتْ شهمًا وندبًا وهُماما
استووا فوق مناطيدهم
ما يبالون حياة أم حِمَاما

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص٥١٦ - ٥٢٠.

(٢) سليمان بن داود عليهما السلام.

(٣) شاتهام احد الطيارين المشار إليهم.

وقبورًا في السموات العلا
نزلوا أم حفرات ورَغَاما
مطمئنين نفوسًا كلما
عبست كارثة زادوا ابتساما
صهوة العز اعتلوا تحسبُهُم
جمع أملاك على الخيل تسامى
رفعوا لَولبَها فاندفعَتْ
هل رأيت الطير قد زَفَّ وحاما؟
شال بالأذناب كلٍّ ورمى
بجناحيه كما رُعْتَ النعاما
ذهبت تسمو فكانت أعقبًا
فنسورًا فصقورًا فحماما
تنبري في زرق الأفق كما
سبح الحوت بِدَأْمَاءٍ وعاما
بعضها في طلب البعض كما
طارد النسر على الجو القطاما
ويراها عالم في زحلٍ
أرسلت من جانب الأرض سهاما
أو نجومًا ذات أذناب بدت
تنذر الناس نشورًا وقياما
أترى القوة في جُؤْجُئِهِ
وهو بالجؤجؤِ ماضٍ يترامى؟
أم تراها في الخوافي خفيت
أم مقر الحول في بعض القدامى؟

أم ذنـــابـــاه إذا حَـــرَّكَـــهُ
يــزن الجـســم هــبــوطًـا وقــيــامـا؟
أم بــعــيــنــيــه إذا مــاجــالــتـا
تـكـشـفـان الجــو غـيـثًـا أم جَـهـامـا
أم بـــأظـــفـــارٍ إذا شَـبُّـكَـهَـا
نـفـدت فــي الـريــح دفـعًـا واسـتـلامـا؟
أم أمَـــدَّتْـــهُ بـــروحٍ أُمُّـــهُ
يــوم ألـقـتــه ومـــا جـــاز الـفـطـامـا؟
فـتـلـقـاه أبٌ، كـــم مـــن أبٍ
دونـــه فـــي الـنـاس بـالـولْـد اهـتـمـامـا
فـــلـــكـــيٌّ هـــو إلا أنـــه
لـم ينـل فـهـمًـا ولـــم يـعـطَ الـكـلامـا
طِـلْـبَـةٌ قـــد رامـــهـــا آبـــاؤنـــا
وابـتـغـاهـا مــن رأى الـدهــر غـلامـا
أســقــطــت إيـــكـــارَ فـــي تـجـربـة
وابـــن فــرنــاس فـمـا اسـطـاعـا قـيـامـا[1]
فـــي سـبـيــل المـجــد أودى نـفـرٌ
شـــهـــداءُ الـعـلـم أعـــلاهـــم مـقـامـا
خـلـفـاء الــرسْـلِ فـــي الأرض هُـــمُ
يـبـعـث الـلـــه بـهـم عـــامًـــا فـعـامـا
قـــطـــرة مـــن دمـــهـــم فـــي مـلـكـه
تمـــلأ المـلـــك جـــمـــالًا ونـظـامـا

(١) إيكار شاب فرنسي حاول مع والده جيبيل الفرار من سجن أحد معسكرات بالي المحصنة وذلك بتثبيت اجنحة من الريش على ذراعيهما بواسطة الشمع والهرب تحليقًا في الجو وقد عدل الوالد عن الفكرة إما إيكار فقد كان مسكونًا بحلم الطيران فسقط في البحر وأصبح أسطورة التحليق في الغرب.
وابن فرناس هو عباس بن فرناس القرطبي، عالم اندلسي عاش في القرن الثالث الهجري، وقيل إنه اول من ابتنى طائرة وطار بها غير انه لم يحسن الهبوط بها فسقط صريعًا.

رب إن كانت لخير جُعِلَتْ
فاجعل الخير بناديها لزاما
وإن اعتز بها الشر غدًا
فتعالت تمطر الموت الزؤاما
فاملأ الجو عليها رُجُمًا
رحمةً منك وعدلًا وانتقاما
يا فرنسا لا عدمنا مِنَنًا
لك عند العلم والفن جساما
لطف الله بباريس ولا
لقيت إلا نعيمًا وسلاما
رَوَّعَتْ قلبي خطوبٌ روّعتْ
سامرَ الأحياءِ فيها والنياما
أنا لا أدعو على سين طغى
إن (للسين) وإن جار زماما
لست بالناسي عليه عيشة
كانتِ الشُّهْدَ وأحبابًا كراما
اجعلوها رُسْلَكُم أهل الهوى
تحمل الأشواق عنكم والغراما
واستعيروها جناحًا طالما
شغف الصب وشاق المستهاما
يحمل المضنى إلى أرض الهوى
يمنًا حلَّ هواه أم شآما
أركب الليث ولا أركبها
وأرى ليث الشرى أوفى ذماما

غـــدرت جـــيــــرون[1] لـــم تحـفـل بـه

وبمـــا حـــاول مـــن فـــوز وراما

وقـــعـــت نـــاحـيـة فـــاحــتـرَقَـتْ

مثل قـرص الشمس بـالأفـق اضطراما

راضـــهـــا بـــالـيُـمـن مِـــن طـلـعـتِـهِ

خـيـر مـن حـج ومـن صـلـى وصـامـا

كـخـلـيـل الـلـــه فـــي حـضـرتـه

خـــرَّتِ الـنـار خـشـوعًـا واحـتـرامـا

مـا لـــ«ـروجـي»[2] صـاعـدًا مـا ينتهي؟

أتـــراه آثـــر الجـــو فـــرامـــا؟

كـلـمـا دار بـــه دورتَـــــهُ قـــد نـالـه

مـا هـبطت الأرض أرضـاهـا مقاما

هـــل تـــرى فـــي الأرض إلا حـسـدًا

وريــــاء ونـــزاعًــــا وخـصـامـا؟

مُــلْـكُ هـــذا الجـو فـــي مَـنْـعَـتِـهِ

طـالمـا لـلـنـجـم والـطـيـر استقاما

حـسـد الإنـــســـان سِــرْبَـيْـهِ بمـا

أوتـيـا فـي ذروة الـعـز اعـتـصـامـا

دخـــل الـــعـــش عـلـــى أنـــسـره

أتـــرى يغشى مـن الـنـجـم الـسـنـامـا؟

أيـــهـــا الـــشـــرق انـتـبـه مـن غـفـلـة

مـات مـن فـي طـرقـات الـسـيـل نـامـا

---

(١) جيرون: احد ضحايا الطيران.

(٢) روجي: اسم طيار.

لا تــقــولــنَّ عــظــامــيٌّ أنــا

فــي زمــان كــان لــلـنـاس عصاما

شــاقــت الــعــلــيــاء فــيــه خَــلَــفًــا

لــيــس يــألــوهــا طــلابًــا واغــتــنــامــا

كــل حــيــنٍ مــنــهــم نــابــغــةٌ

يَــفْــضُــلُ الــبــدر بــهــاءً وتــمــامــا

خــالــقَ الــعــصــفــورِ حــيــرتَ بــه

أُمَمًــا بــادوا ومــا نــالــوا الــمــرامــا

أفــنَــوُا الــنُّــقْــدَيــن فــي تــقــلــيــده

وهــو كــالــدرهــم ريــشًــا وعــظــامــا

****

ذكرى هيجو[1]

مـــا جـــل فـيـهـم عـيـدك المـــأثـــورُ
إلا وأنـــــت أجـــــل يــــا فـكـتـــورُ
ذكـــــروك بـــالمـئــة الـسـنـــين وإنــهـــا
عـمـرٌ لمثـلـك فـــي الـنـجـــوم قـصـيـر
سـتـدوم مـــا دام الـبـيـان ومـــا ارتـقـت
لـلـعـالـــين مـــــدارِكٌ وشـــعــــور
ولـئـن حُـجـبـت فـأنـت فـي نـظـر الـورى
كـالـنـجـم لـــم يُـــر مـنـــه إلا الـنـــور
لــولا الـتـقـى لـفـتـحـتُ قـبـرك لـلـمـلا
وســـألـــت أيـــن الـسـيـــد المـقـبـــور؟
ولـقـلـت يــا قـــوم انـظـروا إنجيلكم
هـــل فـيـه مـــن قـلـم الـفـقـيـد سـطـور؟
مَـــنْ بـعـــدَهُ مـلـكُ الـبـيـان فـعـنـدكـم
تــــاج فـــقـــدتم ربُّـــــهُ وســــريـــر
مــات الـقـريـض بمـوت هـوجـو وانقضى
مـلـك الـبـيـــان فـــأنـتـمُ جـمـهـور

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٤٦١ – ٤٦٢. وقد انشد القصيدة في ذكرى مرور مائة عام على ميلاد هوجو (١٨٠٢ – ١٨٨٥م).

مـــاذا يــزيــد الــعــيــد فـــي إجــلالــه

وجـــلالـــه بـــيــراعـــه مــســطــور؟

فَــقَــدَتْ وجــوهُ الــكــائــنــات مُــصَــوِّرًا

نـــزل الــكــلام عــلــيــه والــتــصــويــر

كــشــف الــغــطــاء لـــه فــكــل عــبــارة

فـــي طــيــهــا لــلــقــارئــين ضــمــيــرُ

لـــم يُــغْــنِــهِ لــفــظٌ ولا مــعــنًــى ولا

غـــرض ولا نــظــم ولا مــنــثــور

مُــسْــلِــي الــحــزيــن يَــفُــكُّــه مــن حــزنــه

ويـــــــرده لـــلـــه وهــــو قــريــر

ثـــار الـمــلــوك وظـــل عــنــد إبــائــه

يــرجــو ويــأمــل عــفــوه الــمَــثْــؤُور

وأعـــــار «واتـــرلـــو» جــلال يــراعــه

فــجــلال ذاك الــســيــف عــنــه قــصــيــر(١)

يــا أيــهــا الــبــحــر الـــذي غــمــر الــثــرى

ومـــن الـــثـــرى حــفــر لـــه وقــبــور

أنــت الــحــقــيــقــة إن تَــحَــجَّــبَ شــخــصــهــا

فــلــهــا عــلــى مـــر الـــزمـــان ظــهــور

ارفـــع حـــداد الــعــالمــين وعــد لــهــم

كــيــمــا يُــعَــيِّــدَ بــائــس وفــقــيــر

وانــظــر إلــى (الــبــؤســاء) نــظــرةَ راحــم

قـــد كـــان يــســعــد جــمــعــهــم ويــجــيــر

---

(١) واترلو: آخر معارك بونابرت بالقرب من بروكسل حيث هزم من الحلفاء عام ١٩١٥م وقبض عليه ونفي إلى سانت هيلينه.

الحـــال بـاقـيـة كـمـا صَـــوَّرْتَـــهَـــا
مــن عـــهـــد آدم مـــا بـــهـــا تـغـيـيـر
الـــبـــؤس والـــنـــعـــمـى عـلـــى حـالـيـهـمـا
والحـــــظ يـــعـــدل تـــــارةً ويـــجـــورُ
ومــن الـقـويّ عـلـى الـضـعـيـف مسيطرٌ
ومـــن الـغـنـــي عـلـــى الـفـقـيـر أمـيـر
والـــنـــفـــس عـــاكـــفـــة عـــلـــى شـــهـــواتـــهـــا
تــــأوي إلــــى أحـــقـــادهـــا وتـــثـــور
والـــعـــيـــش آمــــال تجـــد وتـنـقـضــي
والمــــوت أصــــدق والحـــيـــاة غُـــرور

****

الشاعر الموسيقي فردي[1]

فتى العقل والنغمة العاليهْ
مضى ومحاسنه باقيهْ
فلا سوقةٌ لم تكن أنسه
ولا ملكٌ لم تزن ناديَه
ولم تخل من طيبها بلدةٌ
ولم تخل من ذكرها ناحيه
يكاد إذا هو غنى الورى
بقافيةٍ يُنطق القافيه
يتيه على الماس بعض النحاس
إذا ضم ألحانه الغاليه
وتحكم في النفس أوتاره
على العود ناطقة حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارها
وتفشي سريرتها الخافيه
وكم آيةٍ في الأغاني له
هي الشمس ليس لها ثانيه

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٥٩٢ - ٥٩٣. فيردي جوزبي (١٨١٣ - ١٩٠١م) موسيقار إيطاليا الأشهر في القرن التاسع عشر وضع أوبرا عايدة بأمر الخديو إسماعيل أيام الاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م؛ ومثلت لأول مرة في دار الأوبرا بالقاهرة عام ١٨٧١م.

إذا ما تنادي بها العارفون

قل البرق والرعد من غاديه

فإن همسوا بعد جهرٍ بها

فخفقُ الحُليِّ على الغانيه

لقد شاب فردى وجاز المشيب

وَعَيْدًا شبيبتها زاهيه

تُمَثِّلُ مصر لهذا الزمان

كما هي في الأعصر الخاليه

ونذكر تلك الليالي بها

وننشد تلك الرؤى الساريه

ونبكي على عزنا المنقضي

ونندب أيامنا الماضيه

فيا آل فردى نعزيكُمُ

ونبكي مع الأسرة الباكيه

فقدنا بمفقودكم شاعرًا

يقل الزمان له راويه

****

شكسبير[1]

أعلى الممالك ما كرسيُّهُ الماءُ
وما دعامته بالحق شمّاء
يا جيرة (المنش) حلاكم أبُوَّتُكم
ما لم يطوِّق به الأبناءَ آباءُ
ملك يطاول ملك الشمس، عزته
في الغرب باذخة في الشرق قعساء
تأوي الحقيقة منه والحقوق إلى
ركن بناه من الأخلاق بنَّاء
أعلاه بالنظر العالي ونطْقَهُ
بحائط الرأي أشياخ أجلاء
وحاطه بالقنا فتيانُ مملكةٍ
في السلم زهر ربًا في الروع أرزاء
يستصرخون ويُرجى فضلُ نجدتهم
كأنهم عرب في الدهر عرباء
ودولة لا يراها الظن من سعة
ولا وراء مداها فيه علياء

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٣٥٠ - ٣٥٣.

عصماء لا سَبَبُ الرَّحْمَنِ مُطَّرِحٌ
فيها ولا رَحِمُ الإنسان قطعاء
تلك الجزائر كانت تحتهم رُكُنًا
وراءهن لباغي الصيد عنقاء
وكان ودهم الصافي ونصرتهم
للمسلمين وراعيهم كما شاءوا
دستورهم عجب الدنيا وشاعرهم
يد على خلقه لله بيضاء
ما أنجبت مثل (شيكِسْبِيرَ) حاضرةٌ
ولا نمت من كريم الطير غناء
نالت به وحده إنكلترا شرفًا
مالم تنل بالنجوم الكثر جوزاء
لم تُكْشَفِ النفس لولاه ولا بُلِيَتْ
لها سرائر لا تحصى وأهواء
شعر من النسق الأعلى يؤيده
من جانب الله إلهام وإيحاء
من كل بيت كآي الله تسكنه
حقيقة من خيال الشعر غراء
وكل معنى كعيسى في محاسنه
جاءت به من بنات الشعر عذراء
أو قصة ككتاب الدهر جامعةٍ
كلاهما فيه إضحاك وإبكاء

مهما تُمَثَّلْ تَرَ الدنيا ممثلةً
أو تَتْلُ فهي من الإنجيل أجزاء
يا صاحب العُصُر الخالي ألا خبرٌ
عن عالم الموت يرويه الألِبَّاء
أما الحياة فأمر قد وصفتَ لنا
فهل لما بعدُ تمثيلٌ وإدناء؟
بمن أماتك قل لي: كيف جمجمةٌ
غبراء في ظلمات الأرض جوفاء؟
كانت سماء بيانٍ غير مقلعة
شؤبوبها عسلٌ صافٍ وصهباء
فأصبحت كأصيصٍ غير مفتقَدٍ
جَفَتْهُ ريحانة للشعر فيحاء
وكيف بات لسان لم يدع غرضًا
ولم تفُتْهُ من الباغين عوراء؟
عفا فأمسي ذُنَابَيْ عقربٍ بليت
وسُمُّها في عروق الظلم مشَّاءُ
وما الذي صنعت أيدي البلى بيدٍ
لها إلى الغيب بالأقلام إيماء؟
في كل أنملة منها إذا انبجست
برقٌ ورعدٌ وأرواحٌ وأنواء
أمست من الدود مثل الدود في جدث
قُفَّازُها فيه حصباء وبَوْغاء

وأيــن تحـت الـثـرى قـلـبٌ جـوانـبـه
كـأنـهـن لـوادي الحـق أرجـاء
تـصـغـى إلـى دقـه أذن الـبـيـان كـمـا
إلـى الـنـواقـيـس - لـلـرهـبـان إصـغـاء
لـئـن تَمَـشَّـى الـبلـى تحت الـتـراب بـه
لا يـؤكـل الـلـيـث إلا وهـو أشـلاء
والـنـاس صـنـفـان مـوتـى فـي حـيـاتـهـم
وآخـرون بـبـطـن الأرض أحـيـاء
تـأبـى المـواهـب فـالأحـيـاء بـيـنـهـم
لا يـسـتـوون ولا الأمـوات أكـفـاء
يـا واصـف الـدم يـجـري هـاهـنـا وهـنـا
قـم انـظـر الـدم فـهـو الـيـوم دَأْمـاءُ
لامـوك فـي جـعـلِـكَ الإنـسـان ذئـبَ دمٍ
والـيـوم تـبـدو لـهـم مـن ذاك أشـيـاء
وقـيـل أكـثـر ذكـر الـقـتـل ثـم أتـوا
مـا لـم تـسـعـه خـيـالات وأنـبـاء
كـانـوا الـذئـابَ وكـان الجـهـل داءَهُـمُ
والـيـوم عـلـمُـهُـمُ الـراقـي هـو الـداء
لـؤم الحـيـاة مـشـى فـي الـنـاس قـاطـبـةً
كـمـا مـشـى آدم فـيـه وحـواء
قـم أيِّـدِ الحـق فـي الـدنـيـا ألـيـس لـه
كـتـيـبـة مـنـك تحـت الأرض خـرسـاء؟

وأيــن صــوتٌ تَمِــيدُ الــراسـيــاتُ لـه

كـمـا تمـايـد يــوم الــنــار سـيـنـاء؟

وأيــن مـاضـيـة فــي الـظـلـم قـاضـيـة

وأيـــن نــافــذة فـــي الــبــغــي نجــلاء؟

أيـتـرك الأرض جـانـوهـا ولـيـس بـهـا

صـحـيـفـة مـنـك فـي الجـانـين ســوداء؟

تـــأوي إلـيـهـا الأيـامـى فـهـي تـعـزيـة

ويـسـتـريـح الـيـتـامـى فـهـي تـأسـاء

****

ذكرى كارنا فون[1]

فــي المــوت مــا أعـيـا وفــي أسـبـابـه
كـل امــرئ رهـــن بِـطَـيِّ كـتـابِـهِ
أسَـــدٌ لـعـمـرك، مــن يمــوت بـظـفـره
عـنـد الـلـقـاء كـمـن يمـوت بـنـابـه
إن نـــام عــنـك فـكـل طــبٍّ نـافـعٌ
أو لــم يـنـم، فـالـطـب مــن أذنـابـه
داء الـنـفـوسَ وكـــلُّ داء قـبـلـه
هـــمٌّ نـســيـنَ مـجـيـأه بـذهـابـه
الـنـفـس حــرب المــوت إلا أنـهـا
أتـــت الحـيـاة وشـغـلـهـا مــن بـابـه
تـسـع الحـيـاة عـلـى طـويـل بلائـهـا
وتـضـيـق عـنـه عـلـى قـصـيـر عـذابـه
هــو مـنـزل الـســاري وراحـــة رائـح
كـثـر الـنـهـار عـلـيـه فـي إتـعـابـه
وشـفـــاء هـــذي الـــروح مــن آلامـهـا
ودواء هـــذا الجـسـم مــن أوصـابـه
مـــن ســـرَّهُ ألا يمـوت فـبـالـعـلا
خـلـدُ الـرجـال وبـالـفـعـال الـنـابـه

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٣٧٧ - ٣٨٢. وكارنافون هو صاحب البعثة الأثرية التي كشف رئيسها هوارد كارتر عن مقبرة الملك توت عنخ آمون سنة ١٩٢٢م.

ما مات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيا على آدابه
قل للمدل بماله وبجاهه
وبما يُجل الناس من أنسابه
هذا الأديم يصد عن حُضَّارِهِ
وينام ملء الجفن عن غُيَّابه
إلا فتًى يمشي عليه مجددًا
ديباجتيه معمرًا لخرابه
صادت بقارعة الصعيد بعوضةٌ
في الجو صائدَ بازِهِ وعُقابه
وأصاب خرطوم الذبابة صفحةً
خلقت لسيف الهند أو لذبابه
طارت بخافية القضاء ورأرأت
بكريمتيه ولامست بلعابه
لا تسمعن لعصبة الأرواح ما
قالوا بباطل علمهم وكذابه
الروح للرحمن جل جلاله
هي من ضنائن علمه وغيابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا
أوهام مغلوبٍ على أعصابه
ما آب جبار القرون وإنما
يوم الحساب يكون يوم إيابه
فذروه في بلد العجائب مغمدًا
لا تشهروه كأمس فوق رقابه

المستبد يطاق في ناووسه
لا تحت تاجيه وفوق وثابه
والفرد يؤمَنُ شره في قبره
كالسيف نام الشر خلف قرابه
هل كان (توتَنْخُ) تقمُّصُ روحَهُ
قمص البعوض ومستخَسٌّ إهابه؟
أو كان يجزيك الردى عن صحبة
وهو القديم وفاؤه لصحابه؟
تالله لو أهدى لك الهرمين من
ذهب، لكان أقل ما تجزى به
أنت البشير به، وقَيِّمُ قصره
ومقدم النبلاء من حجابه
أعلمْتَ أقوام الزمان مكانَهُ
وحشدتَهُمْ في ساحه ورحابه
لولا بنانك في طلاسم تربه
ما زاد في شرف على أترابه
أخنى الحمام على ابن همةِ نفسِهِ
في المجد، والباني على أحسابه
الجائب الصخر العتيد بحاجر
دبَّ الزمان وشب في أسرابه
لو زايل الموتى محاجرهم به
وتلفتوا لتحيروا كضبابه
لم يألُهُ صبرًا ولم يَنِ همة
حتى انثنى بكنوزه ورغابه

أفضى إلى خَتْم الزمان ففضه
وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقرَى حتى أتى
فرعون بين طعامه وشرابه
المَنْدَلُ الفَيَّاح عُودُ سريره
واللؤلؤ اللماح وَشْيُ ثيابه
وكأن راحُ القاطفين فرغن من
أثماره صبحًا ومن أرطابه
جدث حوى ما ضاق غُمدانٌ به
من هالةِ الملك الجسيم وغابه
بنيان عمرانٍ، وصرح حضارة
في القبر يلتقيان في أطنابه
فترى الزمان هناك قبل مشيبه
مثل الزمان اليوم بعد شبابه
وتحس ثَمَّ العلم عند عبابه
تحت الثرى والفن عند عجابه
يا صاحب الأخرى بلغت محلةً
هي من أخي الدنيا مناخ ركابه
نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى
من لا يفيق وَجَدَّ مِن تلعابه
نام العدو لديه عن أحقاده
وسلا الصديق به هوى أحبابه
الراحة الكبرى ملاكُ أديمه
والسلوة الطولى قوام ترابه

وادي الملوك بكت عليك عيونه
بمرقرق كالمزن في تسكابه
ألقى بياض الغيم عن أعطافه
حزنًا وأقبل في سواد سحابه
يأسى على حرباءِ شمسِ نهاره
ونزيلِ قيعتِهِ وجارِ سرابه
ويود لو أُلبِسْتَ من برديِّهِ
بُردين ثم دُفنت بين شعابه
نوَّهْتَ في الدنيا به ورفعته
فوق الأديم بطاحه وهضابه
أخرجت من قبرٍ كتاب حضارةٍ
الفنُّ والإعجاز من أبوابه
فَصَّلْتَهُ فالبرق في إيجازه
يبني البريد عليه في إطنابه
طلعا على لوزان والدنيا بها
وعلى المحيط وما وراء عبابه
جئت الشعوب المحسنين بشافع
من مثل متقن فنِّهِمْ ولبابه
فرفعت ركنا للقضية لم يكن
سحبان يرفعه بسحر خطابه[1]

****

(١) إشارة إلى سحبان وائل الخطيب العربي المشهور.

قسم الأزهار بباريس[1]

رزق الله أهل باريس خيرًا
وأرى العقل خير ما رزقوه
عندهم للثمار والزهر مما
تنجب الأرض معرض نسقوه
جنة تخلب العقول وروض
تجمع العين منه ما فرقوه
من يراه يقول قد حرموا الفر
دوس لكن بسحرهم سرقوه
ما ترى الكرْمَ قد تشاكل حتى
لو رآه السقاة ما حققوه
يسكر الناظرين كرْمًا ولما
تعتصره يد ولا عتقوه
صوروه كما يشاءون حتى
عجب الناس كيف لم يُنْطقوه
يجد المتَّقِي يد الله فيه
ويقول الجحود قد خلقوه

****

(١) أحمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص١١٩.

باريس[1]

جـهـدُ الـصـبـابـة مـا أكـابـد فـيـكِ
لـو كـان مـا قـد ذقـتُـهُ يـكـفـيـكِ
حـتـام هـجـرانـي وفـيـم تجـنُّـبـي
وإلام بـي ذل الـهـوى يـغـريـك؟
قـد مِـتُّ مـن ظـمـأ فـلـو سـامـحـتِـنـي
أن أشـتـهـي مـاء الـحـيـاة بـفـيـك
أجـد الـمـنـايـا فـي رضـاك هـي المنى
مـاذا وراء الـمـوت؟ مـا يـرضـيـك؟
يـا بـنـت مـخـضـوب الـصـوارم والـقـنـا
بـرئـت بـنـانُـك مـن سـلاح أبـيـك
فـخـضـاب تـلـك مـن الـعـيـون وقـايـة
وخـضـاب ذاك مـن الـدم الـمـسـفـوك
جـفـنـاك أيـهـمـا الجـريء عـلـى دمـي
بـأبـي هـمـا مـن قـاتـل وشـريـك
بـالـسـيـف والـسـحـر الـمـبـين وبـالـطـلـى
حَـمَـلا عـلـيَّ وبـالـقـنـا الـمـشـبـوك
بـهـمـا وبـي سـقـم ومـن عـجـب الـهـوى
عـدوان مـنـكـسـرٍ عـلـى مـنـهـوك

[1] احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص١٢٦ - ١٢٨.

رفـقـا بمسبلة الـشـؤون قـريـحـةٍ
تـسـلـو عــن الـدنـيـا ولا تـسـلـوك
أبـكـيـتِـهـا وقــعــدتِ عــن إنـسـانـهـا
يـا لـلـرجـال لـمُـغْـرَقٍ مـتـروك
ضـلـت كَـراهـا فـي غـيـاهـب حـالـكٍ
ضـل الـصـبـاح عـلـيـه صـوت الـديـك
رق الـنـسـيـم عـلـى دجـاه لِأنّـتـي
ورثــي لـحـالـي فـي الـسـمـاء أخـوك
قـاسـيـتـه حـتـى انـجـلـى بـالـصـبـح عـن
سـرِّي المـصـون ومـدمـعـي المـهـتـوك
سُـلَّـتْ سـيـوف الـحـي إلا واحـدًا
إفـرنـدُهُ فـي جـفـنـه يـحـمـيـك
جـردتِـهِ فـي غـيـر حـق كـالأُلـى
سـلُّـوا سـيـوفَـهُـمُ عـلـى أهـلـيـك
طـلـعـتْ عـلـى حـرم المـمـالـك خـيـلـهـم
نـارًا سـنـابـكـهـا عـلـى (الـبـلـجـيـك)
الـبـأس والـجـبـروت فـي أعـرافـهـا
والمـوت حـول شـكـيـمـهـا المـعـلـوك
غَـرَّتْ (لـيـاجَ) عـن الـحـصـون وجَـرَّدَتْ
(نـامـورَ) عـن فـولاذهـا المـشـكـوك[1]
تـمـشـي عـلـى خـط المـلـوك وخَـتْـمِـهِـمْ
وعـلـى مـصـون مـواثـق وصـكـوك
والـحـرب لا عـقـل لـهـا فـتـسـومـهـا
مـا يـنـبـغـي مـن خـطـةٍ وسـلـوك

---

(١) لياج ونامور: مدينتان بلچيكيتان، ولياج هي المعركة الافتتاحية في الحرب العالمية الأولي، وكانت بداية الغزو الألماني لبلجيكا عام ١٩١٤م.

دكَّت حصونَ القوم إلا معقلا

من نخوة وحمية وفتوك

وإذا احتمى الأقوام باستقلالهم

لاذوا بركن ليس بالمدكوك

ولقد أقول وأدمعي مُنْهَلَّةٌ

باريز لم يعرفْكِ من يغزوك

ما خِلْتُ جنات النعيم ولا الدمى

تُرمى بمشهود النهار سَفُوك

زعموك دار خلاعة ومجانة

ودعارة يا إفك ما زعموك!

إن كنت للشهوات ريًّا فالعلا

شهواتهن مروَّيَاتٌ فيك

تلدين أعلام البيان كأنهم

أصحابُ تيجانٍ ملوكُ أريكِ

فاضت على الأجيال حكمة شعرهم

وتفجرت كالكوثر المعروك

والعلم في شرق البلاد وغربها

ما حج طالبه سوى ناديك

العصر أنت جماله وجلاله

والركن من بنيانه المسموك

أخذت لواء الحق عنك شعوبه

ومشت حضارته بنور بنيك

وخزانة التاريخ ساعة عرضها

للفخر خير كنوزها ماضيك

ومن العجائب أن واديك الشَّرَى
ومراتع الغزلان في واديك
يا مكتبي قبل الشباب وملعبي
ومقيل أيام الشباب النوك
وَمَراح لذاتي ومغداها على
أفق كجنات النعيم ضحوك
وسماء وحي الشعر من متدفِّقٍ
سلسٍ على نول السماء محوك
لما احتملت لك الصنيعة لم أجد
غير القوافي ما به أجزيك
إِنْ لَمْ يَقُوكِ بكل نفسٍ حرة
فالله جل جلاله واقيك

****

الغواصة[1]

رأيــت عـلـى لـوح الخـيـال يتيمـةً
قضـى يـوم (لُوسِيَتانيـا) أبـواهـا
فـيـا لـكَ مـن حـاكٍ أمـينٍ مـصـدقٍ
وإن هـاج للنفس البكـا وشجاهـا
فـواهـا عليـهـا ذاقـت اليـتـم طفلة
وقـوض ركـنـاهـا وذل صبـاهـا
ولـيـت الـذي قـاسـت مـن المـوت سـاعة
كـمـا راح يـطـوي الـوالـديـن طـواهـا
كـفـرخ رمـى الـرامـي أبـاه فـغـالـه
فـقـامـت إلـيـه أمـه فـرمـاهـا
فـلا أبَ يـسـتـذري بـظـل جـنـاحـه
ولا أُمَّ يـبـغـي ظـلـهـا وذراهـا
ودبـابـةٍ تـحـت الـعُـبـاب بمكـمـنٍ
أمـين تـرى الـسـاري ولـيـس يـراهـا
هـي الـحـوت أو فـي الـحـوت منهـا مشابـه
فـلـو كـان فـولاذًا لـكـان أخـاهـا
أبَـتْ لأصـحـاب الـسـفـين غـوائـلا
والأمُّ نـابًـا حـين تـفـغـر فـاهـا

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص١٦٣ - ١٦٤. قالها شوقي بمناسبة نسف غواصة المانية للباخرة لوسيتانيا عام ١٩١٥م.

خـؤونٌ إذا غـاصـت، غـدور إذا طفت

مُـلَـعَّـنَـةٌ فـي سـبـحـهـا وسـراهـا

تُـبَـيِّـتُ سـفْـن الأبـريـاء مـن الـوغـى

وتجـنـي عـلـى مـن لا يـخـوض رحـاهـا

فـلـو أدركـت تـابـوت مـوسـى لسلطت

عـلـيـه زُبـانـاهـا وحـرَّ حُـمـاهـا

ولـو لـم تـغـيَّـب فـلـكُ نـوح وتحـتـجـب

لمـا أمـنـت مـقـذوفـهـا ولـظـاهـا

فـلا كـان بـانـيـهـا ولا كـان ركـبـهـا

ولا كـان بـحـر ضـمَّـهـا وحـواهـا

وأف عـلـى الـعـلـم الـذي تـدَّعـونـه

إذا كـان فـي عـلـم الـنـفـوس رداهـا

****

أسعد داغر[1]

وصف الحرب[2]

سمعت مقال نفسي فاعتراني
ذهول حرت فيه وضقت صدرا
وبعد تأمُّلي في ما ارتأتْهُ
شهدتُ لها بصحته مُقِرّا
وأيقظتُ القريحة من كراها
فلبتْني ولي لم تعص أمرا
وسالت واليراع يمد منها
ويرقم وحيها سطرًا فسطرا
عن الحرب التي دارت رحاها
فصار لها سواد الناس بُرّا
تدفق سيلها فطما عليهم
وأصبح غامرًا للأرض غمرا

(١) أسعد داغر (١٢٢٧ – ١٣٥٤هـ = ١٨٦٠ – ١٩٣٥م)، شاعر لبناني اقام بمصر فترات طويلة اشتغل بالتعليم، واشتهر بالترجمة وكتابة المقالات العلمية والاجتماعية. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٤٧١/٣.

(٢) أسعد داغر، تاريخ الحرب الكبرى شعرًا، ط مطبعة الهلال، القاهرة ١٩١٩م: ق٣ ص: ١٣-١٤.

وشب ضرامها فشوى البرايا
كما تشوي الأتاتين الأجرّا
ألمت بالوليد فشاب هولا
ولامست الحديد فذاب صهرا
ولست أرى لها وصفًا سوى ما
زهيرٌ قاله وكفاه فخرا
كأن الغيب صورها لديه
فأحكم وصفها فرواه شعرا
ولو كبرى حروب الأرض عدت
لما حسبت لديها غير صغرى

****

بداءة شبوبها[1]

أثـــار غــبــارهــا غــلــيــوم عــمــدًا
وأســـعـــر نـــارهـــا خــتــلًا وغـــدرا
تــأهــب فـــي الــخــفــاء فــكــان يــرخــي
عــلــى اســتــعــداده لــلــحــرب ســتــرا
ويـــبـــدي حـــبـــه لــلــســلــم جــهــرًا
ويــحــضــأ مـــارج الــهــيــجــاء ســـرا
وزيــــــن خـــوضـــهـــا لمحــالــفــيــه
وأغـــراهـــم بـــهـــا خـــبـــثًـــا ومــكــرا
وأغـــواهـــم كــمــا إبــلــيــس قــدمًــا
بـــصـــورة حـــيـــةٍ حـــــواء غـــــرًّا
وصـــيـــر مـــقـــتـــل ابـــن حــلــيــفِــهِ فــي
ســراجــيــفــو لــهــا ســبــبًــا وعـــذرا

(١) أسعد داغر، تاريخ الحرب الكبرى شعرًا: ق٤. ص: ١٤. (في ٢٣ يوليو ١٩١٤م أرسلت حكومة النمسا بلاغًا إلى الحكومة الصربية تطلب فيه أن تترضاها عن مقتل ولي عهدها وتشترط لذلك عشرة شروط بسطتها في البلاغ وأمهلتها ٤٨ ساعة. وعلى رغم توسط روسيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا وسعيهن في حمل النمسا على حذف الشرط المتعلق بتعرضها لشؤون الصرب الداخلية ظلت بإيعاز ألمانيا مصرة على كل ما طلبته. وإذ لم تجبها الصرب إليه شهرت عليها الحرب في ٢٨ يوليو وأخذت تطلق مدافعها على بلغراد من عبر الدانوب).

وقـــال لـــدولـــة الـنـمـسـا أغـيـري

علـى الـسـرب الـتـي وتـرتـك وتـرا

فـلـبـتـه وهـــبـــت مـــن قـيـنًّـا

تـذيـق بـنـي بِـلِـغْـراد الأمَـــرَّا

وهــــذا كـــان مـبـتـدأ الـرزايـا

ومـنـه شـرهـا اسـتـشـرى وأكـرى

****

فخري أبوالسعود(1)

ملوك الغرب(2)

لمناسبة احتفال الإنجليز بعيد ملكهم

تيهوا بعيدِ المليك المفرد العلمِ
وفاخروا بعلاه سائر الأممِ

ومجِّدوا فيه عنوانًا لمجدِكُمُ
ورمز ملك وطيدٍ ثابت الدعم

ملك حوى مشرق الدنيا ومغربها
لم يَرْوِ عن مثله التاريخ من قدم

تيهوا بني الغرب بين العالمين بما
بلغتم اليوم من مجد ومن عظم

ولتزدهوا بملوك في عروشكم
هم زينة الملك والأحكام والنظم

تأوى الشرائع منهم والحقوق إلى
حصن حصين وركن غير منهدم

---

(1) فخري أبوالسعود (١٣٢٨ - ١٣٥٩ هـ = ١٩١٠ - ١٩٤٠ م)، شاعر مصري تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣٠م، وأوفد في بعثة دراسية لإنجلترا (١٩٣٢ - ١٩٣٤م)؛ عمل بالصحافة والترجمة كما عمل بالتدريس. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٤/ ٤٩١.

(2) فخري أبوالسعود، مجلة الرسالة، عدد ٩٧، تاريخ ١٣/٥/١٩٣٥م: ص ١٣٩ - ١٤٠.

هم أول الحارسي الدستور من عبثٍ
والحافظين لما أولوه من ذمم
وهم مناط أمانيِّ البلاد وهم
أبوَّةُ الشعب في الأحداث والغمم
في كل يوم لهم في الشعب مأثرة
تغيث منه مكان الداء والألم
ملائك النور في سلم وفي دعة
وهم حماة الحمى في يوم ملتحم
وسادة الناس في علم وفي أدب
هُمُ وأوج كمال الخلق والشيم
نالوا من العز شأوًا لم يُنَلْ ولهم
محبةٌ في قلوب الشعب لم تُرَمِ
محبة الشعب ترعاهم وتحرسهم
لا الشاهقات من الأسوار والأُطم
محبة هي أغلى للمُدِلِّ بها
من منظرٍ فارهٍ أو مظهر سنم
توارثوا صولجان الملك في أمم
لا تبتغي بدلاً - لو خُيِّرَتْ - بهم
لا كالملوك الألى - بالأمس - إذ حكموا
ساقوا الرعية سوق الشاء والنعم
ولم يخالوا شعوبًا تحت رايتهم
سوى عبيد لرب التاج أو حشم
ولم يروا لَهُمُ جاهًا ولا حسبًا
في الناس حتى يُذلوا كل ذي شمم

يُقصى الأبيُّ ويشقى الحر عندهم
ويمرح المالق الأفاك في النعم
باسم المكارم أَغْلَوا ملكهم وهُمُ
حربٌ على كرم الأخلاق والهمم
عن حاجة الشعب باللذات في شُغُلٍ
كانوا وعن دعوة المهضوم في صمم
سيان إن سعدت في ظل دولتهم
رعية أو هوت في البؤس والوصم
لا يرقب الناس منهم فضل مكرمة
لكن يخافون منهم بطش محتكم
ذياك عهد تولّى غير مرتجعٍ
هيهات يبعثه باغ من العدم
وعاصرتنا ملوك في ممالكهم
هُمُ لمن حكموهُمْ أول الخدم
يشاطرون صروف الدهر قومهم
ويعطفون عليهم عطف ذي رحم
وهم على شعبهم في كل ما صنعوا
فيض من البر لا صوب من النقم
تسنموا الذروة العليا، وباسمِهِمُ
تزجى الحجافل في الوديان والأكم
وينزلون - إذا ما الجد جد - على
ما قاله قائلو السادات والعمم
ولا يرون لهم من دون أمتهم
مجدًا ولا دون حب الشعب من عصم

****

أعداء لا أضياف[1]

أمانا نُقرئ القوم السلاما
ويبغون العداوة والخصاما
ونكرمهمْ مجاملة وودًّا
ولم نر فيهِمُ الشيم الكراما
ونرعاهم بموطننا حلولا
ولم يرعوا لموطننا ذماما
ونمنحهم قِرَى العربيِّ جودًا
قعودًا بين أظهرنا قياما
وقد أمست عروبتنا لديهم
ونسبتنا إلى الأجواد ذاما
وندعوهم ضيوفًا في ذرانا
لهم حق النزيل إذا أقاما
وما للضيف حق من مضيفٍ
إذا نبذ الحياء والاحتشاما
ونزعمنا مضيفيهم وهذي
خديعة من تخادعَ أو تعامى
أمهما تُلقِ أوربا برذلٍ
إلى مصرٍ تطاول أو تسامى؟

(١) فخري ابو السعود، مجلة الرسالة، عدد ١٩٣٤/١٢/٢٦م: ص ٩٩ - ١٠١.

وندعوهم أخوّتنا ونبغي
لود الشرق والغرب الْتئاما
وهم يترفعون علاً ونبلا
وقد شطروا الورى آرًا وساما
فمهلاً معشر الدخلاء مهلا
إلامَ نسيغ كيدكُمُ إلاما
إلامَ نرى الدخيل لمصر حربًا
وما تُمسَى له إلا سلاما؟
لكم منا غدٌ صعب عصيب
وإن نلتم بيومكم المراما
فضولبون أنتم لا ضيوف
ثقلتم في منازلنا مقاما
مَنَنْتُمْ أن مَنحتم شعب مصرٍ
كساء أو شرابًا أو طعاما
وما رمتم بذلك غير مال
حلالًا نلتموه أو حراما
به أعليتُمُ في مصر دُورًا
وأحرزتم بها الضِّيَعَ الجساما
ولم تسعوا لها إلا ابتدارًا
إلى الفرص السوانح واغتناما
زعمتم ما لكم دم مصر يحيا
به أبناؤها عامًا فعاما
وما أموالكم إلا بلاء
تسرّب في دم الوادي سماما

وداء في مفاصِلِهِ عياءٌ
مشى يبري المفاصل والعظاما
مصاب النيل أنتم لو علمتم
وأول راشق فيه السهاما
ولولاكم لما أمسى أسيرًا
مهيضًا في الحوادث مستضاما
بني مصرٍ بغى اللؤماء بغيًا
علامَ نطيق بغيهمُ علاما
هم الأعداء لا الأضياف فينا
فلا نُخدع بمكذوب الأسامي
لئن لم نُسقهم مما سقونا
لنحن أحقُّ منهم أن نلاما
أخو الأفرنج إن تكرمه يشمخ
عليك وإن تُقَوِّمْهُ استقاما
يخال الجودَ في الأجواد ضعفًا
وأني شام بارقةً ترامى
فلا تنسوا مقالًا من حكيم
وقِدمًا أحكم العرب الكلاما
يحذر من أراد ندًى وبرًّا
عواقب برِّه القوم اللئاما
تجافَوْا من تجافى عن هوانا
ولا ترعوا لمصغرنا مقاما
أشِلُّوا عن تجارتنا يديهم
فقد ملكوا بها منا الزماما

وقـــدوا عــن مـعـاصـمـنـا امـتـيـازًا

يـكـبـلـنـا بـــه الـــقـــوم اهـتـضـامـا

حـــبـونـاهـم بـــه أمـــس اخـــتـيـــارًا

فـغـلـونـا بـــه الـــيـــوم الـتـــزامـــا

ولـــم أر مـثـلـه ذلًّا وعـــــارًا

وغـــبـــنـــا لـلـعـدالـة واخـتــرامـــا

كـــأنـــا مـــا تَـــشَـــرَّعْـــنَـــا وعـنـا

هُـــمُ قـبـسـوا الـقـضـاء والاحـتـكـامـا

جـــزونـــا عـــن قـــديـم الـفـضـل شـــرًّا

وجـــازونـــا عـــن الـــود انـتـقـامـا

****

وستمنستر أبي[1]

وستمنستر أبي من أفخم الكنائس بإنجلترا.. وهي كالبانتيون بفرنسا، يدفن فيها كبار الرجال في تلك البلاد.. وقد زارها الشاعر فأوحت إليه بهذه القصيدة.

هـنـا مـنـسـكٌ لـلـطـائـفـين ومـعـبـدُ
ومـثـوًى لأربـاب الخـلـود ومـرقـدُ

تـلاقـى جـلال الـديـن والملـك هـا هنا
سـمـا بـهـمـا الـصـرح المعلَّـى الممرد

هـنـا حـرم الخـلـد الـذي عـمَّ ذكـرُهُ
فـمَـلْـحـودُهُ فـي عـالـم الـذكـر يـولـد

حـوى مـجـد هـذا الملـك مـنـذ بـزوغِـهِ
ومـا زال يُـنـمـيـه قـديمًـا ويـتـلـد

سـجِـلٌّ لأحـقـاب الـعـصـور الـتـي مضت
تجـمَّـعَ فـيـه شـمـلـهـا المـتـبـدد

مـن الـعُـصُـرِ الخـالـي ومـن ذكـريـاتـه
عـلـيـه حـجـاب حـائـل الـلـون أربـد

إذا انـطـلـقـت فـيـه الـنـواقـيـس خلتها
صـدى الـعُـصُـرِ الخـالـي بـه يـتـردد

---

(١) فخري أبوالسعود، ديوان فخري أبوالسعود، جمع وتقديم وتحقيق علي شلش، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م: ص ١٦٥-١٦٧.

تـريـنُ عـلـيـه رهـبـة حـيـث أنـتـحـي
أصـــوِّبُ فـيـه مـقـلـة أو أُصَـعِّـدُ
فـــؤاديَ فـيـه بـين مـاضٍ وحـاضـرٍ
وبـــين المـنـايـا والحـيـاة مـشـرد
يـحـاور قـبـرٌ فـيـه قـبـرًا ويلـتـقـى
بـه جـلـمـدُ ضـخـمُ الـبـنـاء وجـلـمـد
ويـشـخـص تمـثـالٌ وتـنـظـر صـورة
ويـقـبـل بـعـد الـبـهـو بـهـوٌ مُـعَـمَّـدُ
تُحَـوِّمُ أمـلاك الـسـمـاء بـسقـفـه
وفــي كـل ركـن مـنـه لـيـثٌ مُـجَـسَّـدُ
وتمـضـي مـحـاريبٌ يـوشِّـي متونَـهـا
تـهـاويـلُ قـد دارت عـلـيـهـا وعـسـجـد
فـتـأتـي سـراديـبٌ عـوابـسُ لفَّـهـا
غـيـاهـبُ لا يـجـلـو دجـاهُـنَّ فـرقـد
كـأنـى أرى تـلـك الـشـخـوص مـريـغـة
خـطـابًـا لـو انَّ الـدهـر بـالـنطـق يسعد
ولـكـن عـلـيـهـا رُقـيـة المـوت لا فـمٌ
تَـفَـرَّى بمـا يـبـغـي ، ولا اخـتـلـجـت يـد
هـنـا يـرقـد الـصِّـيدُ الأُلـى شـيـدوا الحمى
يـضـمـهُـمُ هـذا الـبـنـاء المـشـيـد
هـنـا يـهـجـع المـلـك الـذي كـان بـاسمه
تُحَـلُّ جـلـيـلاتُ الأمـور وتُـعـقـد
وقـائـد جـيـشٍ أرهـب الخـصـمَ بـأسُـهُ
وعـز بـه لـلـقـوم مُـلْـك مـوطـد

وربـ بـيـان كـم روى سـحـره الـنـهـى
وما زال بين الناس يروى وينشد
وحبر إليه الدين قد فاء برهة
وللحق والديان ما كان يرصد
جفوا ها هنا ما كان بالأمس شغلهم
فلم يعنهم جد الشؤون ولا الدُّد
فلم يهف رب التاج يومًا لتاجه
حنينًا ولا شاق الكميُّ المهند
ورب القوافي غافل عن طروسه
وذو الدين أتقى منه أمْسِ وأزهد
ثَوَواْ في الثرى وانفضَّ عنهم دعاتهم
وكف عداة عن أذاهم وحُسَّدُ
هنا يلتقى الصُّيَّاب من كل حقبة
يُجَمِّعهم بعد التفرق ملحد
طوى بينهم بعد القصور وإنما
يفرقهم صرفٌ من الموت أبعد
هنا يخلد الأحرار من كل بلدةٍ
إذا كان إنسان على الأرض يَخلد
هنا ذكريات منهُمُ وبقية
ولكنه لا شيء للموت يصمد
وما الذكر للإنسان بعد وفاته
حياة، ولكن مأتم متجدد
يُشيد بنو الدنيا به وعظامُهُ
بها صممٌ عمن يذم ويحمد

إذا أغمض الجفنَ الحمامُ فقد طوى
صحيفةَ ماضٍ ما لرجعاه موعد
وبتَّ حبالَ الحمد والذم واستوى
علاء وخفض - كان - قبل - وسؤدد
وسيان مجهول من الجند في الثرى
وآخَرُ مشهود الوقائع مُفرد
لعمرك ما تغني الورودُ نثيرةً
ولا النُّصُبُ العالي ولا الذكر يُسرد
متى غيّبتني حفرة وصفائح
وروَّح عني تابعون وعُوَّدُ
فمن مبلغي من جانب القبر أنني
أُمَجَّدُ في أسفاركم وأخلد؟
ألا إنها أسباب دنيا يَسنُّها
بنوها ولم يدر الثَّوِيُّ الموسد
يسن بنو الدنيا الحياة لمتقدٍ
بِحَيٍّ يُحَيَّى أو بفان يمجد
ولكنما مجد الفتى مجده الذي
تسمّع أذناه وعيناه تشهد

****

مبارك جلواح العباسي[1]

في الغربة والهجرة
المسلم الأفريقي في باريس[2]

يـا لـيـل أيـن الالـتـجـا يـا لـيـل
الـريـح تـعـصـف والـعـهـاد يـسـيـلُ
والـبـرق يـلـمـع فـي الـسـحـاب ويـختـفـي
والـرعـد يـقـصـف والـغـصـون تـمـيـلُ
والـشـهـب وسـنـى حـيـث غـيَّـب نـورَهـا
لـلـسـحـب عـنـا فـي الـسـمـا مـنـديـل
وسـواجـع الأدواح لا يُـرجـى لـهـا
عـنـد الـصـبـاح تـرنُّمٌ وهـديـل
غـالَ الـريـاح وكـورهـنّ فـيـمـمـت
شـعـبًـا بـهـا قـد غـالـهـن الـسـيـل

---

(١) مبارك جلواح (١٣٢٦ - ١٣٦٢ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٤٣ م) شاعر جزائري أجبر على الالتحاق بالخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وشارك في الحرب العالمية الثانية. سافر إلى باريس للترويج لمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومات غرقًا في نهر السين. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٥/ ٣٠٩.

(٢) عبدالله الركيبي، الشاعر جلواح.. من التمرد إلى الانتحار، ط١ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦م: ص ٤٣٩ - ٤٤٢.

والساقيات حيالنا يعلو لها
كالشاكلات تأوُّهٌ وعويل
فيجيب نغمتها الشجية في الدجى
صوتٌ تذوب له القلوب ضئيل
صوت ترردده الشفاه ولفظه:
يا ليل أين الالتجا يا ليل
قد تاه ضعني في الحزون وضل بي
بين الخرائب والطلول دليل
ما لي ذرى آوى لها أو صاحب
أشكو له بعض الأسى وخليل
أبكي ومالي من يكفكف عبرتي
كلا ولا لي في الدجى قنديل
فالبطن يلذعه الطوى والقلب قد
يصلى لظًى منه الصميم غليل
والجسم عار والعظام نحيلة
والروح حيرى والدموع تسيل
والذهن فيه كل حين يجتلي
صور الأحبة والحمى تمثيل
تبدو كما كانت بسالف عهدها
لكن إليها لا ينال سبيل
فتهيج من شجن الفؤاد وشجوه
ما هو في حصن السكون نزيل
وكذا عهود الصفر تصبح إن مضت
رؤيا ولكن ما لها تأويل

يا ليل هل للصبح بعدك طلعة
أم ما لترك في الفضاء مزيل
قد أدبرَتْ عني الحياة وأقبلت
نحوي المنيةُ وامَّحَى التأميل
فذر الصباح يُقم ورائي مأتمًا
ويَطف بنعشي إن عراه رحيل
آه لمنكوب المظالم يلتوي
تحت الرفوف يشجه التهويل
يترحم الأنواء وهْي عواصف
ويلوذ بالجدران وهي تهيل
فلقد دنوت له فأنَّ وقال لي:
عجِّل بخطف الروح يا عزريل
قد طال نحوك شوقها وحنينها
فاصعد بها يصعد بك التبجيل
فأجبته: ما كنت عزريلاً سوى
أني كمثلك بائس وعليل
ماذا أصابك هل بقلبك لوعة
أم ناب شخصك في الورى تنكيل؟
فأجابني والبؤس يخبت صوته
ولدمعه فوق الخدود مسيل:
ذرني فلا تسأل فإن مصيبتي
عظمى وخطبي يا سمير جليل
إني عبرت البحر من أفريقيا
والكيس خاوٍ والإهاب نحيل

وبـهـا ورائـــي يـا سـمـيـري صـبـيـة
غــرثــى وأهـــل فـــي عَــنَــا وقـبـيـل
فـنـزلـت فـي بـاريـس أطـلـب أهـلـهـا
عــمــلًا يـخـفـف نـكـبـتـي ويـزيـل
فـــإذا ذوو الأعـــمـــال مـهـمـا جـئـتـهـم
قـــالـــوا: فـــإنـــك خـــائـــن ودخـيـل
اذهـــب لأرضـــك والـتـمـس لـك حـرقـةً
فـيـهـا فـحـظـك عـنـدنـا الـتـعـطـيـل
لا ذنـــب لـــي إلا لأنـــي مـسـلـم
أفـريـقـي أهـــوى الـعـــلاء نـبـيـل
رامـــوا بـــأن أرتـــد عـن ديـنـي وأن
أذر الـبــلاد يـسـومـهـا الـتـذلـيـل
وأنـــا الـوفــيُّ فـمـا لـقـلـبـي عـن هـوى
ديـنـي الـعـزيـز ومـوطـنـي تـحـويـل
فـلـكـل قـلـب فـي المحـبـة مـذهـب
ولـكـل حـب فـي الـقـلـوب مـقـيـل

****

زفرة منتحر على ضفة السين[1]

يا سينُ جئتُكَ في ذا الليل ملتمسًا
بعُرضِ لُجِّكَ إخمادًا لأنفاسي
خلِّ القِلى جانبًا وابسطْ إلى كبدٍ
حرَّى وقلبٍ مُعَنًّى راحةَ الآسي
فإنني لا أرى في غيرِ مائكَ ما
به تُطهَّرُ أوضاري وأرجاسي
ولا أرى في سوى تلك الموائجِ من
حِمًى به أحتمي من دهريَ القاسي
قد رام ذُلاً لرأسي في الورى ومتى
صفا البَقا للفتى في ذلَّةِ الراس
ورام أنْ أكُ وغدًا في الرجال وهل
يا سينُ يرضى بذا قوميَ أو ناسي؟
لا لا ومجدِك لا أرضى الهوانَ ولو
رضيتُ قبلاً بإملاقٍ وإفلاس
فابسطْ بهذي الدياجي الحالكاتِ يدًا
عذراءَ تنقذني من بُرثُنِ الياس
واحذرْ بأن تستقي تلك العزيزةُ ما
سقيتهُ فيك للمقدورِ من كاس

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٣١٠/١٥. عبدالله الركيبي، الشاعر جلواح.. من التمرد إلى الانتحار: ٤٤٩، ٤٥٠.

إنــــي لأرجـــو بــأن تسـقـي بمـدمـعِـهـا

بـعـضَ الـزهـور وتُـذْريـهـا بـأرمـاسـي

إذ إن فـي ذاك لـلـروحِ الـحـزيـنـةِ مِـن

بـعـد اغـتـرابـيَ عـنـهـا كـلَّ إيـنـاس

وقــلْ لـمـن زار هــذا الـقـبـرَ مـلـتـمـسًا

علمًا بِخطْبيَ من ذي الفضل في الناس

عــزاؤُكــم يــا كــرامٌ أن صـاحـبَـكـم

قـضَـى ضـحـيّـةَ إخــلاصٍ وإحـسـاس

****

عبدالله الزائد(١)

الشرق والغرب يلتقيان(٢)

يقولون إن الشرق والغرب ضدان
وليس لهم في ما ادعوا أي برهان
شقيقان مذ كانا قرينان دائمًا
هما في فنون العلم والدرس صنوان
لقد أصبحا بعد اختلاف وفرقة
عضيدين في دفع العُتُوِّ من الجاني
ولم يبخس الغربيُّ في الشرق حقَّهُ
فدع زور طليانٍ سخافٍ وألمانِ

☆☆☆☆

لكم شعَّ للإغريقِ في الشرق نيِّرٌ
فلم يجحدِ الشرقيُّ فضلًا ليوناني

---

(١) عبدالله الزائد (١٣١٧ - ١٣٦٥ هـ = ١٨٩٩ - ١٩٤٥ م) شاعر بحريني، قضى حياته متنقلاً بين البحرين والهند، وزار العراق ولبنان وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا، كان أحد مؤسسي النادي الأدبي بالمحرق عام ١٩٢٠م وتولى أمانة سره وكان له نشاط ثقافي وتعليمي بارز وهو أول من دعا إلى وحدة إمارات الخليج العربي. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٢/ ٥٧.

(٢) عبدالله الزائد، ديوانه، جمع وتحقيق مبارك الخاطر، ط١ الملتقى الثقافي الأهلي، البحرين١٩٩٦م: ص٢٣٤ - ٢٣٥. في عام ١٩٤٤م اشترك «الشاعر» بهذه القصيدة في مسابقة إذاعة لندن لشعراء الخليج، ولكن لم يقدر لها الفوز بالجائزة. وقد نشرت في جريدة «البحرين» العدد٢٦٤-٢٣/٣/١٩٤٤م.

ومـن بـعـدُ قـام الـشـرق يـقـضـي ديـونَـهُ

فـلـم يـتـجـاهـل حـقـه أي إنـسـان

فـلـو أن كـبـلـنـجَ طـوى الـدهـر لـلـورا

يـسـائـل عـن سـلـفـسـترٍ وشـرلمـان[1]

لـقـالا لـه قـولًا يـفـنـد حـكـمَـهُ

وقـولـهـمـا بـعـد الـبـلـى خـيـر سـلـطـان

☆☆☆☆

دعـوا الـيـوم مـا أمـسـى حـديـثَ خـرافـةٍ

فـمـا فـي تـلاقـي الـغـرب والـشـرق قـولان

فـكـم عـابـر شـقَّ الـفـضـاء مـحـلـقًـا

يـبـيـتُ بـأمـريـكـا ويـمـسـي بـبـغـدان

وكـم يـتـلـقـى الـعـلـم فـي جـامـعـاتـه

أوانـس لا تـحـصـى وأفـواج فـتـيـان

وكـم قـام فـي دور الـصـنـاعـة مـنـهـمـو

رجـال هـمـو فـي الـجـسـم كـالـشـرْيـان

☆☆☆☆

وكـم مـن جـنـود قـاتـلـت فـي صـفـوفـه

تـنـاضـل فـي حـزم وطـيـد وإيـمـان

يـعـدون لـلـبـاغـين لـقـمـةَ جـائـعٍ

وكـلـهـمـو فـي طـهـيـهـا مـتـفـانِ

---

(١) إشارة إلى روديارد كمبلنج (١٨٦٠-١٩٣٦م) الأديب البريطاني الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٧م؛ وشارلمان أو شارل العظيم (٧٤٢-٨١٤م) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (١٨٠٠-١٨١٤م). وسلفستر الأول، البابا الثالث والثلاثين للكنيسة الكاثولوكية (٣١٤-٣٣٥م).

فيحمون أعلام الحضارة والهدى

بحزم وإخلاص وحدٍّ سنان

وكم في ربوع الشرق من بعثاته

رجال لهم منه وفيه يدان

تفتش عن آثاره وكنوزه

وتاريخ أسلاف كرام أولي شان

☆☆☆☆

تهب شعوب الشرق خلف حليفةٍ

تجاهد حتى ينتفي كل طغيان

أواصر قربى للعروبة وُطِّدَتْ

مع الغرب والتاريخ أسطع برهان

تناصر أرباب الحضارة دائمًا

بحزم وإخلاص وفنٍّ وعرفان

لها في اتفاق الأطلسي مثابة

وذلك أمر بت فيه الزعيمان

هما علَّمَا العصر الحديث وصرحَه

ينالان فضل السبق في كل ميدان

قد انتقما بالحزم والجد والقوى

لسيل دماء قد أراق الدعيان

أتونٌ مِنَ الطغيان أضرم نارَهُ

ذئابٌ ولكن في جلابيب إنسان

☆☆☆☆

كـأنـا بـأنـوار الـسـلام مـضيئة

وطـيـر الـتـهـانـي صـادح فـوق أفـنـان

سـتعلو صـروح الحـق خـفاقـة الـلـوا

على الأرض في شـرق قـصـيٍّ وفـي دان

إذا كـان لـلـمـاضـين عـيـد بـنـصـرهـم

فـفـي نـصـرنـا فـي هـذه الحـرب عـيـدان

قـضـاء عـلـى الأعـداء فـي عـقـر دارهـم

ومـحـو لمـن يـزهـو بـجـنـس وألـوان

سـعـادتـنـا فـي الـسـلـم والـعـدل شـامـل

قـصـيَّـيْـنِ عـن بـاغٍ أثـيـم وعـن جـانِ

بـنـي الأرض إن الأرض دارٌ مشاعةٌ

فـلـيـس لـشـعـب أن يـنـكـل بـالـثـانـي

فـعـيـشـوا جميعـا ينـتـفـي الـشـر عـنـكـم

بـعـيـديـن عـن غـل وحـقـد وأضـغـان

****

خليل مطران[1]

لامارتين[2]

أنشدت في حفلة أقامها أدباء لبنان تكريمًا لذكرى ذلك الشاعر الفرنسي العظيم الذي تغنَّى بمحاسن جبلهم.

أُنْـــظُـــرْ إلـــى هـــذى الـنـجـو
مِ الـــــزاهـــــراتِ مُــخـــلَّـــدا
تـــــرَ نـــيِّـــرًا لألاؤُهُ
يــــــزدادُ مـــا بَـــعُـــدَ المـــدَى
هـــو نجـــمُ (لامَـــرْتـــينَ) أمْـــ
ـــعـــنَ فـــي الـــعُـــلاَ وتـــفـــرُّدا

(١) خليل مطران (١٢٨٩ - ١٣٦٩ هـ = ١٨٧٢ - ١٩٤٩ م) شاعر القطرين لبنان ومصر، هو رائد الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، ولد بلبنان وسافر إلى فرنسا هربًا من مطاردة الحكم العثماني، واستقر بمصر منذ عام ١٨٩٢م حتى وفاته. اتخذته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين علمًا على دورتها الثانية عشرة بسراييفو عام ٢٠١٠م وأصدرت معظم أعماله الأدبية شعرًا ونثرًا. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٤٨٠.

(٢) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة، جمعها ورتبها وقدم لها أحمد درويش، ط١ مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠١٠م: ج١ ص٣٩٠ - ٣٩١. الفرنسي دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩م) الكاتب والشاعر والسياسي الفرنسي الشهير، صاحب «رحلة إلى الشرق»، و «حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)»؛ اتخذته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري علمًا على دورتها العاشرة بباريس عام ٢٠٠٦م.

أنـــــــــوارُهُ تــــنْـــهَــــلُّ شــا
فــيـــةً كــمُــنــهــلٍ الـــنَّـــدى

يُـــوفـــى عـــلـــى الـــدُّنـــيـــا وقــد
شـــاقـــتْـــهُ بـــعـــد زِيـــالـــهـــا

إيــــفَــــــاء عـــــينٍ يـــلـــتـــقـــى
فـــيـــهـــا شـــتـــيـــتُ جـــلالـــهـــا

مِـــــنْ زاخـــــرات بِـــحَــــارهـــا
أو بـــــانـــخـــاتِ جِـــبـــالـــهـــا

وكـــــأنَّ (لُـــبْـــنـــانَ) الخُـــلا
صَـــــةُ فـــي بـــديـــع جَـــمـــالِـــهـــا

☆☆☆☆

يـــا نَجْـــــمُ هـــل يـــســـمـــو إلـــى
أســـمـــاعِ شـــاعِـــرِك الـــصَّـــدى؟

فَـــيَـــعُـــودَهُ رجْـــــعُ عَـــدا
هُ الـــشَّـــجْـــو ممَّـــا أنـــشَـــدا؟

ذاكَ الـــنـــشـــيـــدُ مـــضـــى بـــه
قَـــــرْنٌ وظَـــــلَّ مُــــــرَدَّدا

هـــوَ خَـــطْـــرةٌ خـــطَـــرتْ عـــلـــى
قَـــلْـــبٍ فـــعـــاشَـــتْ سَـــرْمَـــدا

****

نابليون الأول وجنديٌّ يموت[1]

أمــــاتَ أولــئــكَ الجُــنــدُ الــكــرامُ
ولــم يَــثْــبُــتْ لــهــم أثــرٌ مُــقــامُ؟
سِــوى قــولِ الــرُّواةِ حَــيُــوا لِــيقضُوا
مُــنَــى رجــلٍ كــبــيــرٍ ثــمَّ نــامُــوا
تــفــانَــوا فــي بــنــاء اســمٍ عــظــيمٍ
ومــا أســمــاؤهــم إلا الــرَّغــامُ
يُــسَــخِّــرُ ربُّــكَ الــدنــيــا لــفــانٍ
وفــي الــدنــيــا وفــيــهِ لــه مَــرَامُ
فــيُــلــقِــي مِــن مــحــبَّــتِــه عــلــيــه
وتُــوشِــكُ أنْ تُــوحِّــدَهُ الأنــامُ

☆☆☆☆

كــذاك أحــبَّ «نــابــلــيــونَ» جــنــدٌ
هُــمُ بِــفَــخَــارِهِ نــهــضــوا وقــامُــوا
أبــالــسُ لا تُــرَدُّ ولا تُــلاقَــى
مــلائــكُ لا تُــصَــدُّ ولا تُــضَــامُ
أعِــزَّةٌ يــومِ «أَسْــتِــرْلِــتْــسَ» كــانــوا
قــلــيــلاً والــعِــدى كُــثْــرٌ ضِــخَــامُ

(١) خليل مطران، الاعمال الشعرية الكاملة: ج٣ ص١٢٦٢ - ١٢٦٥.

تلاقَوا مقبلِينَ على اشتياقٍ
ولكنْ لا وِدادَ ولا سلامُ
وكانتْ قُبلةُ الأشواق فيهم
ضرامًا لا تَقَرُّ عليهِ هامُ
وطالَ وما شَفَى لهُمُ غليلاً
مِن الوَجْدِ التَّعانُقُ واللِّزَامُ

☆☆☆☆

فلم يَكُ مُجدِيَ الرُّوسِ التَّفانِي
ولا الحُلفاءِ بأسٌ واقتحامُ
ولا عَصَمَ الصقيعُ وكان منهُ
معاقلُ خَلْفَها لهُمُ اعتصامُ
وقُيِّضَ للفرنسيِّينَ نصرٌ
أتاهمْ فوق ما ظنُّوا وَرامُوا
فطابُوا في الغَبُوق به نفوسًا
وراقَ لهمْ مَعَ الظَّفَرِ المُدامُ
وحدَّثَ قومَهُ الصُّعلوكُ منهم
بما كانتْ وقائعُه الجِسامُ

☆☆☆☆

وكان فتًى له سِيمَا زعيمٍ
ينكِّرُه التَّفرُّدُ والظلامُ
عريضُ الجبهةِ الغرَّاءِ يبدو
بها شَعْرٌ كما رقَّ الغمامُ
حديدُ الناظرَيْنِ إذا أثيرَا
فمِصباحانِ مِلؤهما ضِرامُ

تَــــراه الــعــينُ جــبَّـــارًا عـظـيـمًـا
لـهَـيْـبـتِـه وإنْ قَــصُــرَ الــقَــوامُ

يمــرُّ بــهـم وقــد ثَـمِـلـوا افـتـخـارًا
وإعـــيـــاءً فــكــلُّــهــمُ نِــيــامُ

إذا تــعـبَ الجــنــودُ فـلـيس بِــدْعٌ
بـــأنْ لا يــتـعـبَ الــمَـلـكُ الـهـمـامُ

فـطـاف بـهِـم وبـالجَـرحـى افـتـقـادًا
وكـــان مــبــرَّةً مــنــه الــلِّــمـامُ

وفــارقَــهــم إلـــى حـيـث اسـتـقـرَّتْ
مِــن الـقـتـلـى الجـمـاجـم والـعـظـامُ

يـشـاهـدُ مــا جـنــاهُ قــريــرَ عــينٍ
ولا حَـــــرجٌ عــلــيـه ولا مـــلامُ

فـمـا اسـتـرعـاه إلا صــوتُ عــانٍ
بـجـانـبِـه يُـــصَـــارِعُـــهُ الحِــمــامُ

دنـــا لـيُـغِـيـثَـه فــأمـــال رأسًـــا
لــه عَــنَــتِ الـقـيـاصـرةُ، الـعِـظـامُ

وألـــقــى رُكْـبَـتَـيـه عـلـى صـعـيـدٍ
يُمــــازجُ تُـــرْبَـــهُ الـــدمُ والحُـطـامُ

غَـــتـــيٌّ مــــا جَــثـــا لـــلـــه إلا
ومَـــرْكَـــعُـــهُ عــلَــى عَــمَـدٍ يُـقـامُ

فـحـلَّ عـن الـفـتَـى ثـوبًـا خـضـيـبًـا
كــــأنَّ ثُــقُــوبَـــهُ فـيـه كِـــلامُ

وأبــصــرَ فــي تَــرائـبِـهِ صُــدوعًــا
عـلـى نَخَـــلٍ يَــعِــزُّ لـهـا الْـتِـئـامُ

فلمَّا ثابَ للعاني شُعورٌ
نفَاهُ الضَّعْفُ عنه والسَّقامُ
وأدركَ مَن بجانبِه تراءَى
بطَرْفَيْهِ الكليلَيْنِ اضْطِرامُ
أراد إبانةً عمَّا تنادَتْ
جوارحُهُ به فعصَى الكَلامُ
فغضَّ الطرفَ ثمَّ رَنا فألقَى
مُفاضَتهُ يُضيءُ بها وِسامُ
فجمَّعَ ما تَبَقَّى مِن قُواهُ
وأسعدَه على النُّطق الذِّمامُ
فصاح: «فداكَ يا مَلِكي حياتِي»
وماتَ وفي مُحَيَّاهُ ابتسامُ

****

إغريقية الخالدة أثناء محنتها بالحرب العالمية الثانية
أنشدت في حفل بالقاهرة ١٩٤٤م[1]

شجانا نوحُ شاديهَا
وتصويعُ بواديهَا
بلادٌ كانتِ النُّعمَى
تَراءَى في مغانيهَا
فماذا أنزلَتْ فيها
مِن البُؤسِ أعاديهَا؟
كوارِثُ أفحَشتْ فَتُهَيْـ
ـيبُ الأرقامُ محصِيهَا
رَمتْها النَّكبةُ الكُبرى
بجيشٍ من دواهِيهَا
جنودٌ لا عِدَادَ لها
بها غصَّتْ نواجِيهَا
فهبَّتْ للزِّيادِ ولمْ
يَرُعْها بأسُ غازِيهَا
يُجاهدُ كلُّ فِتْيَتِهَا
ويَجهدُ كُلُّ أهلِيهَا
فلمَّا استنفدَتْ أغلَى
قُراها في تَفانِيهَا

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٤ ص١٨٧٣ - ١٨٧٤.

ثَوَى أبطالُها وأبَى
حياةَ الذُّلِّ باقِيهَا
نفوسٌ حُرَّةٌ صدَقَتْ
على الجُلَّى معالِيهَا
لئن جُلت مصائِبُها
فما انحلَّتْ أواخِيهَا
ولم تشلل عزائِمُها
ولم تفلَلْ مواضِيهَا
وما عَدِمَتْ مواساةً
مفاخرُها تواسِيهَا
لقد عَظُمَتْ بحاضِرها
كما عَظُمَتْ بماضِيهَا
فنحن اليومَ في ذِكرَى
بطولتها نحيِيهَا
ونصفيها مَودَّتَنا
وخيرُ الرَّاحِ صافِيهَا
ونذكرُ كُلَّ عارفةٍ
لها بالشُّكرِ نَقْضِيهَا
إذا ظلَّت إلى حينٍ
فعَدْلُ الله حامِيهَا
ستبقى الدُّهرَ ما بَقِيَتْ
فَضائلُ قومِها فِيهَا
ويأتي النَّصرُ وفْقَ مُنى
تمنيها فيُرضِيهَا

****

فتاة

أمها عربية وأبوها فرنسي[1]

جَـــمــــالُـــكِ زادَ رَوْعَـــتَـــهُ
مِـــــزاجُ الــشَّـــرقِ والـــغَـــرْبِ
وزانَــــــــتْ فِــتــنــةُ الإفْــــرِنْــــ
ـــجِ فِـــيـــهِ عـــفَّـــةَ الـــعُـــرْبِ

****

(١)خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٥ ص٢١٧٩.

أجمل امرأة في باريس
فازت بهذا اللقب حسناء مشبهة بالزمردة [1]

يـا مَـــنْ تجـلَّـتْ فـالـعـبـادُ عِـبَـادُهـا
لــلــه مــا فَــعَــلَــتْ بـهــم عــيْـنَــاكِ
شـبّـهْـتِ نـفْـسَـكِ بـالـزُّمُـرُّدِ فـازدَهـى
بـــينَ الحُــلِـــيِّ بـــأنّـــهُ حـــاكَـــاكِ
فـيـه مـخـايـلُ مــن سَـنَــاكِ بـعـيـدةٌ
فـــإذا دنَــــوْتِ فـمَــنْ لــهُ بـسَـنَـاكِ
شـهِـدَ الــعُــدُولُ بـأنـكِ الأُولـــى ومَـا
قـــالـــوا ســـوى حـــقٍّ فـــأنْـتِ كـــذَاكِ
رِيـعُـوا بـوَجْـهِ الـشـمـسِ جلَّلهُ الدُّجَى
يـفـتـرُّ ثـغـرًا عــنْ نــدًى ضـحَّـاكِ
فُـتِـنُـوا بِـسِـرٍّ فـي ابـتـسـامِـكِ سـاحـرٍ
لــمْ يـجْـلُـهُ لـلـنـاظـريـنَ سِــــوَاكِ
وجـــدُوا بــه رُوحَ الـجـمـالِ وأدركـــوا
مـعـنـى هـــوًى يـسْـمُـو عــنِ الإدراكِ

****

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٥ ص٢٣٦٩.

علي الجارم[1]

برنادوت[2]

حـسـرتـا لـلـكـونـت بِـرْنَـا
دُوت لــو تـنـفـع حــسـرَهْ!
رام أن يَـسْـتَـنْـقِـذَ الـكـو
ن ويـسـتـأصـلَ شــره
قَـتْـلُـهُ جُـبْـنٌ وخُـذْلا
نٌ ولـؤمٌ ومـعـره
طـلـب الـكـفَّ عـن الحـر
ب، فـمـن نَـفَّـذَ أمـره؟

(١)علي الجارم (١٣٠٠ - ١٣٦٩ هـ = ١٨٨٢ - ١٩٤٩ م) شاعر مصري كبير، تخرج في دار العلوم عام ١٩٠٨م، فاوفد إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية، حيث قضى عامًا في مدينة نوتنجهام، التحق بعدها بكلية المعلمين في مدينة إكستر التي قضى فيها ثلاثة أعوام تلقى خلالها علوم التربية والمنطق وعلم النفس، ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩١٢م ليتدرج في وظائف التعليم إلى أن انتقل إلى كلية دار العلوم وتولى عمادتها حتى بلوغه سن التقاعد عام ١٩٤٢م. كما كان عضوًا بارزًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٢٧٥.

(٢)علي الجارم، ديوان علي الجارم، ط٢ دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠م: ج٢ ص ٤٨٨. وبرنادوت هو الكونت فولك برنادوت (١٨٩٥ - ١٩٤٨م) أحد أفراد العائلة المالكة السويدي، ترأس الصليب الأحمر السويدي كان له نشاط دبلوماسي بارز، وقدم عدة اقتراحات من اجل السلام في فلسطين أثارت حفيظة الجانب الصهيوني فاغتالته بالقدس جماعة ارغون بزعامة مناحم بيجن وجماعة شنتيرن برئاسة إسحاق شامير.

خـــــرق الـــــهــــدنـــــة أبـــنـــا

ء يـــــهــــوذا ألـــــــفَ مــــره!

وهـــــــو لا يــــؤمـــــن حــتــى

ســـلـــبــــوه الـــــــروح جـــهـــره

أتـــــــــــرى آمــــــــــن لمـــا

خـــــرق الأنـــــــــذال صـــــــدره؟

ربمـــــــا يــــحـــفـــر ذو الآ

مـــــــال بـــــــالآمـــــــال قـــبــــره

****

ضحك القدر[1]

أبصرت أعمى في الضباب بلندنٍ
يمشي فلا يشكو ولا يتأوهُ
فأتاه يسأله الهداية مبصرٌ
حيران يخبط في الظلام ويعمه
فاقتاده الأعمى فسار وراءه
أنى توجه خطوه يتوجه
وهنا بدا القدر المعربد ضاحكًا
ومضى الضباب ولا يزال يقهقه!

****

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٧٧.

حنين طائر[1]

طـــائـــر يـــشـــدو عـــلـــى فــــنَنِ
جَـــدَّدَ الـــذكـــرى لـــذي شَـــجَـــنِ
قـــام والأكـــــــوام صـــامـــتـــةٌ
ونـــســـيـــم الـــصـــبـــح فـــي وهـــن
هـــاج فـــي نـــفـــسـي وقـــد هـــدأَتْ
لـــوعـــةٌ لـــــولاه لـــم تـــكـــن
هـــــزه شـــــوق إلـــــى ســـكـــنِ
فـــبـــكـــى لـــلأهـــل والـــســـكـــن
ويـــك لا تـــجـــزع لـــنـــازلـــةٍ
مـــا لـــطـــيـــر الـــجـــو مـــن وطـــن
قـــد يـــراك الـــصـــبـــح فـــي حـــلـــبٍ
ويـــــراك الـــلـــيـــل فـــي عـــدن
أنـــت فـــي خـــضـــراءَ ضـــاحـــكـــةٍ
مـــن بـــكـــاء الـــعـــارض الـــهـــتن
أنـــت فـــي شـــجـــراء وارفـــةٍ
تـــاركٌ غـــصـــنًـــا إلـــى غُـــصُـــن
عـــابـــث بـــالـــزهـــر مـــغـــتـــبـــطٌ
نـــاعـــم فـــي الـــحـــل والـــظـــعَـــن

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٨٢ - ٨٩.

فـــي ظــــلال حــولـــهـــا نـــهَـــرُ
غـــيـــر مـــســـنـــون ولا أســـن
فـــي يـــديـــك الـــريـــح تـــرســـلـــهـــا
كـــيـــفـــمـــا تـــهـــوى بـــلا رســـن

☆☆☆☆

يـــا ســـلـــيـــمـــان الـــزمـــان أفـــقْ
لـــيـــس لـــلـــذات مـــن ثـــمـــن
وابـــعـــث الألـــحـــان مـــطـــربـــة
يـــا حـــيـــاة الـــعـــيـــن والأذن
غـــن بـــالـــدنـــيـــا وزيـــنـــتـــهـــا
ونـــظـــام الـــكـــون والـــســـنن
وبـــقـــيـــعـــان هـــبـــطـــت بـــهـــا
وبـــمـــا شـــاهـــدت مـــن مـــدن
وبـــأزهـــار الـــصـــبـــاح وقـــدْ
نـــهـــضـــت مـــن غـــفـــوة الـــوســـن
وبـــقـــلـــب شـــفـــه ولـــهُ
حـــافـــظٍ لـــلـــعـــهـــد لـــم يـــخـــن
كـــل شـــيء فـــي الـــدنـــا حـــسنٌ
أي شـــيء لـــيـــس بـــالـــحـــســـن
خـــالـــق الأكـــوان كـــالـــئـــهـــا
واســـع الإحـــســـان والمـــنن

☆☆☆☆

كـــان لـــي إلـــف فـــأبـــعـــدهُ
قـــدر عـــنـــي وأبـــعـــدنـــي

أنـــا مـــدُّ الـــدهـــر أذكـــرهُ

وهـــو مـــدُّ الـــدهـــر يـذكـرنـي

قـــد بـنـيـنـا الـــعـش مـــن مـهـجٍ

غُـسـلـتْ مـــن حـــوبـــة الـــدرن

مـــن لـــدُنْـــه الـــود أخـلـصـهُ

والـــوفـــا والـــطـهـــر مـــن لـدنـي

كـــانـــت الأطـــيـــار تحـســدهُ

جـــنـــة المـــأوى وتحـســدنـي

وظـــنـــنـــا أن نـــعـــيـــش بـــهِ

عـيـشـة المـسـتـعـصـم الأمـــن

فـــرمـــت كَـــفُّ الـــزمـــان بـــهِ

فـــكـــأن الـــعـــش لـــم يـكـن

طـــار مـــن حـــولـــي وخـلَّـفـنـي

لـــلـــجـــوى والـــبـــث والحـــزن

ونـــأى عـــنـــي ومـــا بـــرحَـــتْ

نـــازعـــات الـــشـــوق تـطـرقـنـي

ومـــضـــى والـــوجـــد يـسـبـقـهُ

ودمـــــوع الـــعـــين تـسـبـقـنـي

☆☆☆☆

إن تـــزر يـــا طـــيـــر دوحـــتـــه

بـــين زهـــر نـــاضـــر وجَـــنِـــي

وشـــهـــدت «الـــتَّـــمْـــسَ» مـضـطـربًـا

واثـــبًـــا كـــالـــصـــافـــن الأرن

عبثتْ ريحُ الشمال بهِ
فطغى غيظًا على السفن
فانشد الأطيار واحدها
في الحُلى والحسن والجَدَنِ
وتريثْ في المقال لهُ
قد يكون الموت في اللسن
صف له يا طير ما لقِيَتْ
مهجتي في الحب من غبن
صف له روحًا معذبةً
ضاق عن آلامها بدني
صف له عينًا مقرحة
لأبيٍّ الدمع لم تصُن

☆☆☆☆

يا خليلي والهوى إِحَنٌ
لا رماك الله بالإحن
إن رأيت العين ناعسة
فترقب يقظة الفتن
أو رأيت القد في هيف
فاتخذ ما شئت من جنن
قد نعمنا بالهوى زمنًا
وشقينا آخر الزمن

****

ذكرى الغرب[1]

يــا دار فـاتـنـتـي حُـيِّـيـتِ مــن دارِ
سَـيَّـرْتُ فـيـكِ وفــي مَــنْ فـيـكِ أشـعـاري
رحـلـت عـنـهـا ولـلأشـجـان مـا تـركَـتْ
فــي الـعـين والـقـلـب مـن مـاء ومــن نـار
كــانـت مـجـال صـبـابـات لــهـوت بـهـا
ومـسـتـراضَ لـبـانـاتٍ وأوطـار
أسـائـل الـطـيـر عـنـهـا لـو تـنـبـئـنـي
أو تـنـقـل الـطـيـر عـنـهـا بـعـض أخـبـار
يـنـسـى بـهـا كـل نـائـي الـدار مـوطـنَـهُ
ومـا تـجـشـم مـن بـيـنٍ وأسـفـار
يـلـقـى بـهـا أيـنـمـا ألـقـى عـصـاه بـهـا
أهـلاً بـأهـل، وأصـهـارًا بـأصـهـار
وفـتـيـة كـرمـاح الـخـط إن خـطـروا
فـديـت بـالـنـفـس مـنـهـم كـل خـطَّـار
بـيـضَ الـوجـوهِ مـسـامـيـحَ الأكـفِّ مَـنًـا
جِـيـدَ الـصـريـخ سـراةً غـيـرَ أغـرار
لا يـنـزل الـضـيـف صـبـحًـا عـقـرَ دارِهـمُ
إلا ويـمـسـي عـشـاء صـاحـب الـدار

(1) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج1 ص ٢١٧.

قد آمنوا بإله الحب وارتقبوا
آياته بين إجلال وإكبار
وصوروه فتى أعمى إذا رشقتْ
يداه بالنبل أصمى كل جبار
عريان إن مسه برد الشتاء فما
له سوى زفرات الوجد من نار
يغشى الفتاة ولم ترقب زيارته
وخدرُها بين أغلاق وأستار
فطرفها خاشع من بعد زورتِهِ
وقلبها نهبُ أوهامٍ وأفكار
تشكو إلى أمِّها ضيفًا ألمَّ بها
والأمُّ إن تستطع باحت بأسرار
ويصرع الفارسَ المغوارَ إن لعبَتْ
كفاه بالسيف أردى كل مغوار
فلا تراه سوى شاك لساجعة
أو نادب إثر أطلال وآثار
ويطرق الشيخ في المحراب قد فنيت
عظامه، وبرتْهُ خشية الباري
فلم تكن لَمْحَةٌ إلا لِيَفْتِلَهُ
من الصلاة ومن ترتيل أذكار
☆☆☆☆
يبرزن في الليل مثل الشهب ساطعة
ما بين سيارة تجري لسيار
من كل خمصانة الكشحين ناصعة
كأنها درة في جوف زخار

تسعى إلى أَغْيَدٍ ما طَرَّ شاربهُ
كأنما صفحتاه وجه دينار

☆☆☆☆

أرض كأن إله الأرض أودعها
بدائع الحسن من عون وأبكار
ألقوا خدود العذارى في حدائقها
ولقبوها بأثمار وأزهار
وجردوا كل حسن من قلائده
فصرن حصباء في سلسالها الجاري
لو كان في عنصري صلصال طينتها
ما راعني الدهر في يوم بأكدار
أو كنت أظفر في الأخرى بجنتها
غسلت بالدمع آثامي وأوزاري

****

الحرب[1]

مــن سـلـب الأعـــين أن تـهـجـعـا؟
وبَـــزَّ ذات الـطـوق أن تـسـجـعـا؟
ومــن رمــى بـالـشـوك فـي مضـجـعي
فـبـتُّ مـكـلـوم الحـشـا مـوجـعـا؟
روعــنـــي والـلـيـل فــي زيـه
مــن مـرجـفـات الخـطـب مـا روعـا
طـاحـت بـأهـل الـغـرب نـار الـوغـى
وهـبَّـتِ الـريـح بـهـم زعـزعـا
طـاف عـلـيـهـم بـالـردى طـائـفٌ
فـاخـتـرم الأنـفـس لمـا سـعـى
وصــاح فـيـهـم لـلـتـوى صـائـحٌ
فـصُـمَّـتِ الأسـمـاع مـذ أسـمـعـا
فـي الـبـر، فـي الـبـحـر، ومـن فـوقـهـمْ
لـم يـتـركِ المـوتُ لـهـم مـوضـعـا
يـجـمـعـهـم جـبـارهـم عـنـوةً
وإنـا لـلـمـوت مـن جـمـعـا
يـحـسـو دم الـقـتـلـى، فـأظـمِـئْ بـهِ
ويـنـهـش الـلـحـم، فـمـا أجـشـعـا

---

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

لم يكفِهِ رمح ولا مرهفٌ
فاتخذَ المنطاد والمدفعا

وخَبَّ فيها راكبًا رأسهُ
للشر ما خَبَّ وما أوضعا

قد غصّت الأرض بأشلائهمْ
وأصبح البحر بها مترعا

وأن للعقبان أن تكتفي
وأن للحيتان أن تشبعا

صواعق المنطاد لا تُتَّقى
وصولة الألغام لن تدفعا

أطلق عزرائيلُ من قِدِّهِ
يرتع أنى شاء أن يرتعا

تطربه الحرب بأزجالها
ويستبيه السيف إن قعقعا

كأنما في صدرهم غلةٌ
أبت بغير الموت أن تنقعا

كأنهم سربُ قطا عُطَّشٍ
صادفن من ورد الرَّدَى مشرعا

كأنهم والنار من حولهمْ
جنٌّ تألَّوا أن يبيدوا معا

صاروا من العنبر في ظلمة
لا تبصر العين بها الإصبعا

☆☆☆☆

كم فارس يمرح في سرجهِ
يهتزُّ كالغصن وقد أينعا
كأنه الصمصام إذ ينتضي
وعامل الرمح إذا أُشرعا
ما ضنَّ بالرفد على وافدٍ
ولا لوى حقًّا ولا ضيعا
تمشي بنات الحي في إثرهِ
يرشقنه بالزهر إذ وُدِّعا
من كل بيضاء الطلى طفلةٍ
أسطعَ من بدر الدجى مطلعا
تكف غرب الدمع أن يُرتأى
وتحبس الزفرات أن تُسمعا
لج به الموت فأودى به
وحزَّ منه اللِّيت والأَخْدَعا
مات فلا قبرٌ له ماثلٌ
ولا بكى الباكي ولا شيعا

☆☆☆☆

سل «ليج» ما حل بأرجائها
فقد غدت أرجاؤها بلقعا
واسأل «نمورا» ما دهى أهلها
فقد نعاها البرق فيما نعى
وسائلِ الروض ذوى نبته
وسائلِ الأطلال والأربعا

☆☆☆☆

باريس! والعسرى إلى يسرة

وغاية العارض أن يقشعا

أعزك الخطب بأوجاله؟

وكنتِ عش النسر أو أمنعا

كنت لطلاب الهدى معهدًا

وكنتِ روضًا للهوى ممرعا

ما أحسن «السين» وجيرانهُ

وأحسن المصطاف والمربعا

أُريعَتِ الحسناء في خدرها؟

نعم، دعاها الذعر أن تهلعا

عهدي بها كانت نؤومَ الضحى

ملولةً ناعمةً رعرعا

ما خطبُها والنار من حولها

والموت لم يترك لها مفزعا؟

☆☆☆☆

ضراغمَ الماء، ثِبوا وثبةً

آن لهذا الغيل أن يُمنعا!

دعاكم الجار فكنتم إلى

دعائه من صوته أسرعا

وسرتُمُ للموت في جحفلٍ

ما ضَمَّ رعديدًا ولا إمعا

من كل شعشاع خفيف الخطا

ذي مِرَّةٍ منجردٍ أروعا

لـــو مـــــادت الأجـــبــــال مـــن تحتـه
أو خـــــرت الأفـــــلاك مـــا زُعــزعــا
سـلـوا بـحــار الأرض عــن مـجـدكم
إنَّ بـــهـــا ســــــرًّا لـــكـــم مـــودعـــا
كـــانـــت ولا زالـــــت لـــكـــم ســاحــة
تـــبــنــون فـــيــهــا الـــشـــرف الأفـــرعـــا
تـــهــــوى طـــيـــور المـــــاء أعــلامــكـم
فــتـقـتـفـيـهـا حُـــــوَّمًـــا وُقَّـــعَـــا
قـد طـاف «نـلـسـن»[1] حـول أسطولكم
مـسـتـصـرخًـا غـضـبـان مُـسْـتَـفْـزَعَـا
يُـغــضــبــه يـــا خـــيـــر أشــبـــالـــه
أن يـبـلـغ الـــقـــرن بـكـم مـطـمـعـا
☆☆☆☆
يـــا خـــالـــق الـــنـــاس، طـغـى شـرهـم
فـاهـد الـحـيـارى واكـشـف الـمَـهْـيَـعَـا
لـــم يـشـبـهـوا الإنـســـان فـــي خـلـة
وأشـــبـــهـــوا الـحـــيَّـــاتِ والأسـبـعـا
قـــد رُفـــع الإحـــســـان مـــن بـيـنـهـم
وأوشـــــك الإيمـــــان أن يُــرفــعـــا
لــــولا ســـنـــا هـــديـــك فـــي بـعـضـهـم
لـــدُكَّـــتِ الأرضُ بـــهـــم أجـــمـــعـــا
****

(١) الجنرال نيلسن من أبطال البحرية الإنجليزية وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية.

يوم السلام[1]

داعـــبِ الــشــرقَ بـاسـمًـا وسـعـيـدا
وائـتـلـق يـا صـبـاح لـلـنـاس عـيـدا
نـسـيَـتْ لحـنَـهـا الـطـيـورُ فـصـوَّرْ
لِـبـنـاتِ الـغـصـون لحـنًـا جـديـدا
فَـزَّعَـتْـهَـا عـن الـريـاض خـفـافيـ
ـش تـسـد الـفـضـاء غـبـرًا وسـودا
ألـفَـتْ مـوحـش الـظـلام فـودت
أن تـبـيـد الـدنـيـا وألا يـبـيـدا
فـاسـجـعـي يـا حـمـامـة الـسـلـم للكو
ن، وهـــزي أعـطـافـه تـغـريـدا
غـــردي فـالـدمـوع طـاح بـهـا الـبشـ
ـر، وأضـحـى نـوح الـثـكـالى نشـيـدا
واسـمـعـي! إن فـي الـسـمـاء لحـونًـا
أَسَـمِـعْـتِ الـتـرتـيـل والـتـرديـدا؟
كـلـمـا اهـتـز لـلـمـلائـك صـوت
رجـعـتـه أنـفـاسـنـا تحـمـيـدا
رنـة الـنـصـر فـي الـسـمـاوات والأر
ض، أعـادت إلـى الـوجـود الـوجـودا

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٢٨ - ٣٢.

مـــولـــد لـــلـــزمـــان ثـــــانٍ شـــهـدنـــا
هُ، فـيـا مــن رأى الــزمـــان ولـيـدا
سـكـن الـسـيـف غـمـده بـعـد أن صـا
ل عـنـيـفًـا مُــنـــاجِـــزًا عـربـيـدا
مـــا احـــمـــرار الأصـــيـــل إلا دمـــاءٌ
بـقـيَـتْ فـــي يـــد الـــســـمـــاء شـهـودا
طـائـــرات تـــرمـــي الـصـــواعــق لا تـخـ
ـشـــى إلـــهًـــا، ولا تـــخـــاف عـبـيـدا
أجـهـدت فـــي الـــســـرى خـــوافــق عـزيـ
ــل فــرفـــت مـــن خـلـفـهـن وئـيـدا
كـــلـــمـــا حـــلـــقـــت بـــأفـــق مـــكـــانٍ
تـــركـــت فـــيـــه كـــل شـــــيء حـصـيـدا
كـــم ســمـعـنــا عـــزيـفـهـــا مـــن قــريـــبٍ
فـــغـــدا الــــرأي والــــســــداد بـعـيـدا
يـلـفـح الـشـيـــخ والـــغـــلام لـظـاهـــا
ويـصـيـب الـشـجـــاع والـرعـديـدا
كـــم وحـــيـــد بـــين الـــرجـــام بـكـى أُمْــ
ــمًـــا، وأمٌّ بـكـت فـتـاهـا الـوحـيـدا
مـــدنٌ كُـــنَّ كـــالمحـــاريـــب أمـــنًـــا
تـــرك الـخـســـف دورهـــن سـجـودا
وقـــصـــور كـــانـــت مـــلاعـــب أنـــس
أصـــبـحـــت بـــعـــد زهـــوهـــن لحـــودا

☆☆☆☆

لـهـف نـفـسـي عـلـى دمـــاءٍ زكـيـا
تٍ كـقـطـر الـغـمـام طـهـرًا وجـودا
سِـلْـنَ مـن خـد كـل سـيـف نُـضـارًا
بـعـدمـا حـطـم الـحـديـد الـحـديـدا
لـهـف نـفـسـي عـلـى شـبـاب تـحـدَّى
عَـذَبَـاتِ الـفـردوس زهـرًا وعـودا
لـهـف نـفـسـي والـنـار تـعـصـف بـالـجـيـ
ـش فـتـلـقـاهُ فـي الـريـاح بـديـدا
ذكَّـرتْـنَـا جـهـنـمًـا كـلـمـا أُلْـ
ـقـيَ فـوجٌ صـاحـت تـريـد المـزيـدا
كـالـبـراكـين إن تـمـشَّـتْ، وكـالـبـ
ـحـر إذا جـاش بـالـحـمـيـم صـهـودا
وإذا المـــاء كـــان نـــارًا فـمـن يَـرْ
جـو لـنـار إذا اسـتـطـارت خـمـودا
أممٌ تـلـتـقـي صـبـاحًـا عـلـى المـو
ت لـتـسـتـقـبـل المـسـاء هـمـودا
وفـريـق لـلـفـتـك يـلـقـى فـريـقًـا
وحـشـود لـلـهـول تـلـقـى حـشـودا
كـم حـطـام فـي الأرض كـان عـقـولا
ورمـاد فـي الجـو كـان جـهـودا
وأمـان ونـشـوة وشـبـابٌ
ذهـبـتْ مـثـل أمـسـهـا لـن تـعـودا
قُـبـلات الحـسـان مـا زلـن فـي الخـدْ
ـدِ، فـهـل عَـفَّـرَ الـتـراب الخـدودا؟

ووعـــود الـــغـــرام مـــاذا عـــراهـــا
أغــدت فــي الــثـرى الخـضـيـب وعـيـدا؟
كــم دمـــوع، وكـــم دمـــاء، وكـــم هَـــوْ
لٍ، وكـــم أنـــة، تـــفـــتُّ الـــكـــبـــودا
إنمـــا الحـــرب لـعـنـة الـلـه فـي الأر
ض، وشـــرٌّ بمـــن عـلـيـهـا أُريـــدا
صَـــدَّقَـــتْ مـــا رأى المـلائـك مـــن قـبـ
ـــل، ومـــا كـــان قـولـهـم تـفـنـيـدا
إن لـــلـــه حــكــمــة دونـــهـــا الــعــقــ
ـــل فـــخـــلِّ المـــراء والـــتـــرديـــدا
كـيـف نـصـفـو ونـحـن مـن عـنـصـر الـطـ
ـــين، فـــســـادًا وظـلـمـة وجـمـودا؟
ذهـــب المـــوت بـالحـقـود فـمـاذا
لـــو مـحـوتم قـبـل المـمـات الحـقـودا؟
شـــهـــوات تـــدمـــر الأرض كـــي تحـــ
ـــيـــا، وتجـــتـــاح أهـلـهـا لـتـسـودا
وجـــنـــون بـالمـلـك يـعـصـف بـالـدنـــ
ـــيـــا، لـكـي يمـلـك الـقـبـور سـعـيـدا
يـذبـح الـطـفـلَ أغـصَـلَ الـنـاب شيطا
نًـــا، ويـحـسـو دم الـنـسـاء مـريـدا
ويـــســـوي جـمـاجـم الـــنـــاس أبـــرا
جًـــا، ليبغي إلـى الـسـمـاء صـعـودا
قـــد رأيـــنـــا الأُسُـــودَ تـقـنـع بـالـقـو
ت، فـلـيـت الـرجـال كـانـت أســودا
☆☆☆☆

قُـتِـلَ الـعـلـم، كـيـف دبــر لـلـفتـ
ـك عـــتـــادًا، ولــلــدمـــار جـنـودا
فـهـو كـالـخـمـر تـنـشـر الـشـر والإثـ
ـمَ وإن كــان أصــلـهـا عـنـقـودا
أبـــدع الــمـهـلـكـات ثــم تـــوارى
خـلـفـهـا يـمـــلأ الـــورى تـهـديـدا
مـــادت الــراسـيـات ذعـــرًا وخـفَّـتْ
مــن أفـــانـــينِ كـــيــدِهِ أن تمـيـدا
وقـــلـــوب الــنــجــوم تــرجــف أن يـجـ
ـتـاز يـومًـا إلـــى مـداهـا الحـــدودا
مـحـدثـات عـــزَّتْ عـلـى عـقـل إبـلـيـ
ـس فـعـض الـبـنـان فـدمًـا بـلـيـدا
عـــالـــم فـــي مـكـانـه يـنـسـف الأر
ض، وثـــانٍ يـحـز مـنـهـا الـوريـدا
حـسـرتـا لـلـحـيـاة مـــاذا دهـاهـا؟
أصـــبـــح الــنـــاس قـــاتـــلاً وشـهـيـدا

☆☆☆☆

أصـحـيـح عـــاد الـســلام إلـــى الـكـو
ن، وأضـــحـــى ظــــلًّا بـــه ممـــدودا؟
ورنـــين الأجـــراس يـصـدح بـالـنصـ
ـر، فـيـا بِـشْـرَهُ صـبـاحًـا مجـيـدا
ســايـرَتْـهـا قـلـوبُـنـا ثــم زدنـا
فـأضـفـنـا لـشـدوهـن الـقـصـيـدا

رددي رددي تـرانـيـمَ إسـحـا

قَ، وهــزي الحـسـان عِـطـفًـا وجـيـدا

أنـــت صُــــورُ الحـيـاة قــد بـعـث الـنـا

س، وكـانـوا جـمـاجـمًـا وجـلـودا

قــد سـئـمـنـا بــالأمــس صـفــارة الإنـــ

ــذار والــويــل والــعــذاب الـشـديـدا

رددي صـــوتَـــك الـحـنــون طـويــلا

وابــعــثــي لـحــنـك الــطــروب مـديـدا

واهـتـفــي يــا مـــآذن الــشـــرق بـالـلــ

ـــه ثــنـــاء، وبـــاســـمـــه تـمـجـيـدا

واسـطـعـي أيـهـا المـصـابـيـح زهـــرًا

واجـعـلـي شـوقـنـا إلـيـك وقـــودا

قـــرَّت الـنـفـس واطـمـأنـت وكـانـت

أمـــــلاً حــائــر الــطــريــق شــريــدا

☆☆☆☆

لـيـت شـعـري مـاذا سـنـجـنـي مـن الـنـصـ

ــر وهـــل تَـصـدق الـلـيـالـي الـوعـودا

وهـــل «الأربـــــع الــــروائــــع» كــانــت

حُــلُــمًــا، أو مـواثـقًــا وعـهـودا

وهــــل انـــقــــادت المـمـالـك لـلـعـد

ل، فــلا سـيـدًا تـــرى أو مـسـودا

وهـــل الحـــق صـــار بـالـسـلـم حـقًّــا

وأذابــــت لـظـى الحــــروب الـقـيـودا

وهـــل الـــعُـــرْبُ تـســتـرد حـمـاهـا

وتـنـاجـي فـردوسـهـا الـمـفـقـودا

وتـــرى فـــي الـســلام مــجـدًا طـريـفًـا

جـاء يُـحـيـي بـالأمــس مـجـدًا تـلـيـدا

بــذلَــتْ مـصـر فـوق مـا يـبـذل الـطـو

ق، وقـــد يـسـعـف الـنـديـد الـنـديـدا

فـــي فـيـافـي صـحـرائـهـا لـمـع الـنـصـ

ـر، وولـــى «رومــيـــل»[1] يـغـدو طـريـدا

فــهــي إذ تـنـثـر الـــورود تـنـاغـي

أمـــلًا ضـاحـكًـا يـفـوق الـــورودا

وهـــي تـرجـو، لا، بـل تـريـد، وأَجْـــدِرْ

بـابـنـة الـنـيـل وحـدهـا أن تـريـدا

****

(١) روميل: قائد الماني مشهور لقب بثعلب الصحراء وهو قائد قوات المحور في معركة العالمين الشهيرة ١٩٤٢م التي كانت حدًّا فاصلاً في الحرب العالمية الثانية.

باريس[1]

عـــرسٌ أقـيـم عـلـى الـــدم المـسـفـوكِ
أأرددُ الألحـــــان أم أبـكـيـكِ؟
بـــاريـــسُ حـيَّـرْتِ الـقـريـض، فـمـرةً
يـشـدو، وحـيـنًـا والـهًـا يـرثـيـك
نَـهَـكَـتْـكِ داهـيـةُ الخـطـوب فـلـم تـدع
لـلـفـوز غـيـر حـشـاشـة المـنـهـوك
إنْ كـان مـا تـعـنـي الحـيـاةُ تنفسًا
«فـالـعـيـش خـيـر فـي ظـلال الـنـوك»
لـهـفـي عـلـيـك ولـهـف شـعـري مـا الـذي
لاقـيـت مـن جـبـريـة وفـتـوك
مـا بـين ظـلـم كـالمـنـون مُـحـجَّـبٍ
عـاتٍ وظـلـم كـاسـمِـهِ مـهـتـوك
ألـقـيـتِ نـفـسَـكِ لـلـطـغـاةِ غـنـيـمـةً
ومـضـى الـقـضـاء فـعـز مـن يـنـجـيـك
جـرح الـهـزيـمـة لا تجـف دمـاؤهُ
وتجـف دامـيـة الـقـنـا المـشـكـوك
نـاديـت لا «بـيـتـان» فـي تـسـعـيـنـهِ
مُـصـغٍ ولا «لا فـالُ» بـين ذويـك[2]

---

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج٢ ص ٥٣٥ - ٥٣٩.

(٢) بيتان، ولافال: قائدان فرنسيان بجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ولقيت من عسف العدو وكيدهِ
دون الذي لاقيت من أهليك
وَلَّى الحماةُ فما أجابوا دعوةً
لما دعاهم للردى داعيك
تركوك للموت الزؤام وأدبروا
يا ليتهم للموت ما تركوك
ومضوا حيارى ذاهلين فما رأوا
كفيك ضارعة، ولا سمعوك
قذفوا السلاح فصبَّهُ أعداؤهمْ
غلًّا فكاد حديده يرديك
ونعيت للدنيا فشبَّتْ لوعةً
أصلى القلوبَ بحرها ناعيك

☆☆☆☆

ويل الشباب من النعومة إنها
أعراض سُمٍّ للشعوب وشيك
ما أتعس الزمن الجديد بفتيةٍ
قتلوه في التصفيف والتدليك
قلب كقرط الغانيات مُفَزَّعٌ
وإرادة من حيرة وشكوك
عاشوا صعاليك الحياة وليتهمْ
فازوا بصدق عزيمة الصعلوك
أبقت ليالي الأنس من أخلاقهمْ
فزع النعامة وازدهاء الديك

☆☆☆☆

باريس هالتْكِ الدماءُ غزيرةً

فسقطت بين نصال جزاريك

خفت القذائف أن تهدَّ معالمًا

فتهدم التاريخ في أيديك

ما كان أحرى لو دككْتِ إلى الثرى

وتركتِ ذكرًا ليس بالمدكوك

ما برج «إيفل» حين يسلم مانعٌ

همسًا يطن غدًا بأذن بنيك

لو طال صبرك في المكاره ساعةً

لرأيت أن الموت قد ينجيك

إن الذي خلق الكرامة صانها

بالسيف يمحو رأى كل أفيك

بين المهانة والمعزة خطوةٌ

فإذا ضللتِ فقلّ من يهديك

شتان بين فتًى يموت مجالدًا

وفتى يموت بجرعة «الفينيك»

شتى أساليب الحياة، ولا أرى

للمجد غير طريقه المسلوك

سر البطولة في الشدائد جرأةٌ

سيان: تُفري الخطب أم يفريك

قد كنت في «السبعين» أكرمَ موقفًا

والغانيات بشعرها تفديك

☆☆☆☆

بـاريــس، قــد ضـــرب الـثـبـاتُ بـلـنـدنٍ

مـــثـــلًا إلـــــى أمـــثـــالـــه يـــدعـــوك

عبست لهم «دنـكـركُ»[1] فاقتحموا الـردى

ومـــشـــوا بـــوجـــه لـلـمـنـون ضـحـوك

واسـتـقـبـلـوا نـــوب الـزمـان ضـراغـمًـا

لـمـا تـخـلـف عـــاهـــلُ «الـبـلـجـيـك[2]»

جـعـلـوا الـهـزائـم سـلَّـمًـا. فـتـسـلـقـوا

لـلـنـصـر فـــوق جـمـاجـم وتـــريـــك

أصـلـتـهـم الـهـيـجـاءُ نـــارَ جـحـيـمـهـا

فـتـخـلـصـوا كـالـعـسـجـد المـسـبـوك

لـــو أنـــهـــم وهـــنـــوا لـــزالـــت ريـحُـهـمْ

وقـــضـــوا عـبـيـد الـــذل والـتـفـكـيـك

ولـمـا رمـى «شَـرْ بُـرْجَ»[3] منهم جحفلٌ

فـــي مـــأزق كـفـم الـلـيـوث ضـنـيـك

ولـــمـــا رأت «رومـــــا» طـــلائـــع نـجـدةٍ

تـــشـــرى المـحـامـد بــالــدم المـسـفـوك

ولـــمـــا مـضـى «رومـيـل» يـلـعَـق جـرحـهُ

ويـــجـــر ذيــــل الـــعـــاثـــر المـفـلـوك

ولـمـا جـــرت فـــي الـبـحـر تـخـطـر سفْـنـهـمْ

مـن آخــر «الـهـادي» إلـــى «البـلـطـيـك»

☆☆☆☆

---

(١) دانكرك: مدينة ساحلية بفرنسا شهدت معركة مشهورة انسحبت فيها قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية من إنجلترا إلى فرنسا.

(٢) ليوبولد الثالث (١٩٠١-١٩٨٣م)؛ جلس على العرش عام ١٩٣٤م، عقب وفاة والده البير الأول واضطر للتنحي عن العرش عام ١٩٥١م، بعد اتهامه بالتعاون مع النازيين.

(٣) شر برج: أحد قادة الألمان في الحرب العالمية الثانية.

باريس - والذكرى جحيمٌ - فانظري
نحو السماء لعلها تنسيك
وتذكري ماضيك فهو مجادةٌ
قد كان أستاذ الورى ماضيك
يا أم «هوجو» كلُّ شعر يرتجى
لو كان يلقى وحيُهُ من فيك
أشعلتِ مصباح الفنون فأشرقَتْ
بضيائه الأيام بعد حلوك
فيك الثقافة بالمجانة تلتقي
ماذا أقول وكل شيء فيك
يا كعبة الدنيا، ويا نادي الهوى
الآن كيف الحال في ناديك
أترى البلابل لا تزال صوادحًا
أم راعها الغربان في واديك
والغانيات؟ أفُزِّعَتْ أسرابها
وتفرق السُمَّار عن شاديك
طلعت عليك مع الصباح فوارسٌ
ومشى الغريم لحقه المتروك
طاحوا بقيدك في الهواء، وكم لهم
مِنَنٌ على المأسور والمملوك
وجنودك الأحرار تستبق الخطا
لتردَّ صفعَتها إلى غازيك
فتفرقَ الأعداءُ عنك بدائدًا
والطعن فوق قفاهم المصكوك

سبحان من لا حكم إلا حكمه

يُمضي إرادتَه بغير شريك

عودي إلى ظل السلام وأشرقي

كالشمس تعلو الأفق بعد دلوك

واستقبلي الدنيا جديدًا واعلمي

أن الأسى والحزن لا يجديك

قدرُ الإله إذا كرهتِ لقاءهُ

فلعل في عقباه ما يرضيك

****

علي محمود طه[١]

جزيرة العشاق[٢]

ليالي الصيف في كَبْرِي[٣]
أم الفتنة في البحرِ
وجنّيّات بحر الرو
مِ أم دنيا من السحر
على شط من الأحلا
م والأنغام والزهر
تنفس جوه عطرًا
يفضضه سنا البدر
أريج البرتقال بهِ
ونفح العنب النضر

(١) علي محمود طه (١٣١٩ - ١٣٦٩هـ = ١٩٠٢ - ١٩٤٩م)، شاعر مصري كبير، وأحد أعلام الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، وواحد من رواد جماعة ابوللو ومؤسسيها. سافر إلى اوروبا بعد صدور ديوانه الأول «الملاح التائه» عام ١٩٣٤م لقضاء الصيف والسياحة، وكان لهذه الرحلة اثر كبير في شعره. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٤/١٩.

(٢) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه، ط دار العودة، بيروت ١٩٨٦م: ص ٢٩١-٢٩٢.
ذكريات رحلة في سبتمبر ١٩٣٨م قضاها الشاعر بين بركان فيزوف وجزيرة كابري والجروتا المشهورة بإيطاليا.

(٣) كابري: جزيرة إيطالية ساحرة تقع في خليج نابولي.

أم الآلهة العشا
ق بين الموج والصخر
أهَلُّوا تحت أشرعةٍ
تقل عرائس الشعر
نشاوى الحسن والنورِ
وبعض النور كالخمر
تنهد حين أبصرَهمْ
محبٌّ موغَرُ الصدر
أقام الدهر موتورًا
من الحرمان والهجر
بأنفاس تضيء الأفـ
ـق بركانية الجمر
قصدناه على الليلِ
وجزناه مع الفجر
فلم تغمض له عينٌ
تصيب النجم بالذعر
وبات الموج في فرٍّ
حواليه، وفي كر
فقالوا: قد دنا الموعـ
ـد أو آذن بالثأر
فعدنا مثلما جئنا
من العِبْر إلى العِبْر
ويممنا بجوف الصخـ
ـر دهليزًا من التبر

سرى زورقنا في ما
ئه الغافي سُرَى السَّرِّ
ترامى حولنا الأضوا
ء أطواقًا من الدر
فمن زُرقٍ، إلى صفرٍ،
إلى خضر، إلى حمر
كأن الشمس حين رأتْ
صباها أول الدهر
زهاها العُزْيُ فاستحيت
عيون الناس في البَر
فجاءته محجبةً
على تياره تسري
ونضَّت من غلائلها
وألقتها على الصخر
وخانت عينَها سنةٌ
فنامت، وهي لا تدري

****

لحن من فيينا[1]

ولأول مرة بعد الحرب الأخيرة، قدمت من فيينا فرقة موسيقية إلى ربوع سويسرا، أسمعتنا بمصاحبة مغنيتها البارعة، لحن الفالس الكبير، وقصص من غابة فيينا، ولحن الدانوب الأزرق، وزهرات من الشرق، بين مظاهر البهجة والتأثر:

فـــي اهـــتـــزاز الـــعـــصـــب الـــثـــا
ئـــر والـــــروح الـــمُـــعَـــنَّـــى
طـــالـــعَـــتـــهُ بـــالـــهـــنـــاء الــــ
ــلـــيـــلـــةُ الأولــــى فـــغـــنَّـــى
ورأى مـــن حـــولـــه الأر
ض ســـلامًـــا فـــتـــمـــنـــى
لـــيـــس يـــدري، أشـــدا مـــن
فـــرَحٍ أم نـــاح حـــزنـــا
قـــلـــت: مِـــنْ أيِّ بـــلادٍ؟
قـــيـــل: لحـــنٌ مـــن فـــيـــيـــنـــا

☆☆☆☆

يـــا فـــيـــنَّـــا سلـــسلـــي الأنـــغـــام ســـحـــرًا
فـــي حـــنـــايـــا الـــنـــفـــس لا جـــوّ الـــمـــكـــان
أوَ حـــقًّـــا أنـــت ذي؟ أم أنـــت ذكـــرى
أم رؤى تـــمـــرح فـــي دنـــيـــا الأغـــانـــي؟

---

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ٣٦٨-٣٦٩.

وبـــنـــانٌ هـــزت الأوتـــــار ســكــرى

أم شــفــاه لــمــســتْ روح الــزمــان؟

☆☆☆☆

يـــا فـــيـــنّـــا جـــــدي الآ

ن مــــســـــرات الــلــيــالــي

روحــــــك الـــراقـــص لـــم يحـ

ــفــل بـــــأرض وقـــتـــال

طـــريًـــا مـــا زال يـــشـــدو

بـــــين مـــــوج وجـــبـــال

بـــأســـاطـــيـــرَ، وأحـــلا

مٍ، وفــــنٍّ، وخـــيـــال

هـــو روح الـــنـــغـــم الـــهـــا

ئـــم فـــي دنـــيـــا الجـــمـــال

☆☆☆☆

يـــا فـــيـــنّـــا هـــل عـــلـــى غـــا

بـــك لـــلـــشـــمـــل اجـــتـــمـــاعُ

أم عـــلـــى فـــجـــرك نـــاي

فـــيـــه لـــلـــراعـــي ابـــتـــداع

أم عـــلـــى أفـــقـــك مـــن نـــو

ر الـــعـــشـــيـــات الْـــتـــمـــاع

أم عـــلـــى مـــائـــك تحـــت الـ

ـــلـــيـــل لـــلـــحـــب شـــراع

آه مـــن أمـــــسٍ! ومـــا جـــرْ

ـــرَ عـــلـــى الـــنـــفـــس الـــــوداع

☆☆☆☆

يـا فـينّا أسـمـعي الـدنـيـا وهـاتـي

قـصـة الـغـابـة والـفـلـس الـكـبـيرِ

أيـن بـالـدانـوب شـدو الـذكـريـات

وصـدى الـعـشـاق فـي الـلـيـل الأخـير

رحـلـوا عـنـك بـأحـلام الـحـيـاة

غـيـر قـلـب فـي يـد الـحـب أسـير

****

أغنية الجندول في كرنفال فينسيا[1]

«صيف ١٩٣٨م»

أيــن مــن عـيـنـيَّ هـاتـيـك المـجـالـي
يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـالِ
أيــن عـشـاقـك سـمـار الـلـيـالـي
أيــن مــن واديــك يـا مـهـد الجـمـال
مـوكـب الـغـيـد وعـيـد الـكـرنـفـال
وسـرى الجـنـدول فـي عـرض الـقـنـال
بـين كـأسٍ يـتـشـهَّى الـكـرْمُ خـمـرَهْ
وحـبـيـبٍ يـتـمـنـى الـكـأسُ ثـغـره
الـتـقـتْ عـيـنـي بـه أولَ مـره
فـعـرفـتُ الحـبَّ مـن أول نـظـره
أيــن مــن عـيـنـيّ هـاتـيـك المـجـالـي
يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

مـر بـي مُـسـتـضـحـكًـا فـي قـرب سـاقـي
يَمْـــزُجُ الـــرَّاح بـــأقـداح رقـــاقِ
قــد قـصـدنـاه عـلـى غـيـر اتـفـاقِ
فـنـظـرنـا، وابـتـسـمـنـا لـلـتـلاقـي

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ١١٩-١٢٢.

وَهْــو يستهدي علـى المـفْـرقِ زهـرهْ

ويـــســـوِّي بـيـد الـفـتـنـة شـعـره

حـين مـسـت شـفـتـي أول قـطـره

خـلـتُـهُ ذوَّبَ فــي كـأســيَ عـطـره

أيــن مــن عـيـنـيّ هـاتـيـك المـجـالـي

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

ذَهَــبـيُّ الـشَّـعـر، شَـرْقـيُّ الـسـمـاتِ

مــــرِحُ الأعــطــاف، حـلـو الـلـفـتـاتِ

كـلـمـا قـلـت لــه: خــذ قــال: هــات

يـا حـبـيـب الــروح يـا أنـس الحـيـاة

أنــا مــن ضـيـع فــي الأوهـــام عـمْـرَهْ

نـسـيَ الـتـاريـخ أو أُنـســي ذكــره

غـيـر يــوم لــم يـعـد يـذكـر غـيـره

يـــوم أن قــابـلــتــه أول مــره

أيــن مــن عـيـنـي هـاتـيـك المـجـالـي

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

قـــال: مــن أيـــن؟ وأصـــغـى وَرَنَــا

قـلـت: مــن مـصــر، غــريــب هـهـنـا

قـــال: إن كــنـت غــريـبًـا فــأنـا

لــم تـكـن فـيـنـيـسـيـا لـــي مـوطـنـا

أيــن مـنـي الآن أحـــلامُ الـبـحـيـرهْ

وســمــاء كـسَـتِ الـشـطـآنَ نَـضْـره

منزلي منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من فارسوفيا[1] تلك المجالي
يا عروس البحر، يا حلم الخيال

☆☆☆☆

قلت، والنشوة تسري في لساني:
هاجت الذكرى، فأين الهرمانِ؟
أين وادي السحر صداح المغاني؟
أين ماء النيل؟ أين الضفتان؟
آه لو كنت معي نختال عبرَهْ
بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروي الموج في أرخم نبره
حلْم ليل من ليالي كليوبتره
أين من عيني هاتيك المجالي
يا عروس البحر، يا حلم الخيال

☆☆☆☆

أيها الملاح قف بين الجسور
فتنة الدنيا وأحلام الدهور
صفق الموج لولدان وحور
يغرقون الليل في ينبوع نور
ما ترى الأغْيَدَ وضاء الأسره؟
دق بالساق وقد أسلم صدره
لمحب لف بالساعد خصره؟
ليت هذا الليل لا يُطلع فجرَه!

(١) فارسوفيا اسم يطلق على مدينة وارسو عاصمة بولندا.

أيـــن مـــن عـيـنـي هـاتـيـك المـجـالـي

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

رقــص الجــنــدول كـالـنـجـم الـوضـيِّ

فـاشْـدُ يـا مــلاح بـالـصـوت الـشـجـيِّ

وتــــرنم بــالــنـشـيـد الــوثــنـيِّ

هـــذه الـلـيـلـة حـلـمُ الـعـبـقـريِّ

شـاعـت الـفـرحـة فـيـهـا والمـســره

وجـلا الحـب عـلـى الـعـشـاق سـره

يـنـة مِـلْ بـي عـلـى المـاء ويُـسـره

إن لـلـجـنـدول تحـت الـلـيـل سـحـره

أيـن يـا فـيـنـيـسـيـا تـلـك المـجـالـي؟

أيـــن عـشـاقـك سـمـار الـلـيـالـي؟

أيـن مـن عـيـنـي يـا مـهـد الجـمـال؟

مـوكـب الـغـيـد وعـيـد الـكـرنـفـال؟

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال!!

****

مصرع الرُّبان[1]

قاهر الموت

يـا قـاهـر المـوت كـم للـنفـس أسـرارُ
ذل الحديد لها، واسْتَخْذَتِ النارُ

وأشفق البحر منها، وهو طاغيةٌ
عاتٍ على ضربات الصخر، جبار

حواكَ أحدوثةً مُثْلَى وتضحيةً
لم تحوها سيرٌ أو تروِ أخبارُ

رماك في جنبات اليم محتربٌ
خافي المقاتل عند الروع فرَّار

ترصَّدتك مراميه ولو وقعتْ
عليه عيناك لم تنقذه أقدار

يدبُّ في مسبح الحيتان منسربًا
والغور داج وصدرُ البحر موار

كدودة الأرض نور الشمس يقتلها
وكم بها قُتلت في الروض أزهار

هوى بك الفُلْك إلا هامةً رُفعتْ
لها من المجد إعظام وإكبار

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه : ص ١٣٤-١٣٥. وهو ربان حاملة الطائرات (كارجيس) التي اغرقتها غواصة المانية في بداية الحرب العالمية الثانية.

واستقبل البحر صدرًا حين لامسهُ
كادت عليه جبال الموج تنهار
وغاب كل مشيد، غير قبعةٍ
ذكرى من الشرف العالي وتذكار
ألقيتُها، فتلقى الموج مَعقدها
كما تلقى جبين الفاتح الغار
ولو يرد زمان المعجزات بها
لانشق بحر لها، وارتد تيار
كأنها خطبة راعتْ مقاطعها
لها العوالم سمَّاع ونظَّار
تقول: لا كان لي رب ولا هتفتْ
بذكرِهِ الحرب، إن لم يؤخذ الثار
يا ابن البحار وليدًا في مسابحها
ويافعًا يؤثر الجُلَّى ويختار
ما عالم الماء؟ يا ربان، صِفْهُ لنا
فما تحيط به في الوهم أفكار
وما حياة الفتى فيه؟ أتسليةٌ
وراحةٌ؟ أم فُجاءاتٌ وأخطار؟
إذا السفينة في أمواجه رقصتْ
على أهازيجَ غناهنَّ إعصار
وأشجتِ السحب موسيقاه، فاعتنقتْ
وأُسْدلت من خدور الشهب أستارُ
وأنت ترنو وراء الأفق مبتسمًا
كما رنا نازح لاحت له الدار

غـرقـان فـي حـلـمٍ عـذب تـسلسلهُ
مـن ذروة الـلـيل أنـواء وأمـطـار
يـا عـاشـق الـبـحـر، حـدِّثْ عـن مفاتنهِ
كـم فـي لـيـالـيه لـلـعـشـاق أسـمـار؟
مـا لـيلـة الـصيف فـيـه؟ مـا روايـتـهـا؟
فـالـصـيف خـمـر، وألـحـان، وأشـعـار
إذا الـنـسـائـم مـن آفـاقـه انـحـدرتْ
وضـوّأت مـن كُـوى الـظـلـمـاء أنـوار
وأقـبـلـت عـاريـات مـن غـلائـلـهـا
عـرائـس مـن بـنـات الجـن أبـكـار
شـغـل الـربـابـنـة الـسـاريـن مـن قـدمٍ
تُجـلـى بـهـن عـشـيـات وأسـحـار
يـتـرعـن كـأسـك مـن خـمـر مـعـتـقـةٍ
الـبـحـر كـهـف لـهـا، والـدهـر خـمـار
وأنـت عـنـهـن مـشـغـول بـجـاريـةٍ
كـأن أجـراسـهـا فـي الأذن قـيـثـار
صـوت الحـبـيـبة قـد فـاضـت خـوالجـهـا
ورنـحـتـهـا مـن الأشـواق أسـفـار
وا لَـهْـفَ قـلـبِك لمـا انـدكَّ شـامـخـهـا
والـنَّـوْءُ مـصـطـرع والمـوج هـدار
بـوغـتَّ بـالـقـدر المـكـتـوب فـانـسـرحـت
عـيـنـاك تـقـرأ، والأمـواج أسـطـار
نـزلـتـمـا الـبـحـر قـبـرًا، حـين ضـمَّـكـما
رفَّـت عـلـيـه مـن المـرجـان أشـجـار

نــام الـحـبـيـبـان فــي مــثــواه واتّــسـدا

جنبا لجـنـب، فــلا ذل ولا عــار!!

☆☆☆☆

مــصـــارعٌ لـلـفـدائـيــين يـعـشـقـهـا

مستـقـتـلـون وراء الـبـحـر أحــرار

مـنـيـةٌ كـحـيــاة، كـلـمـا ذُكــرت

تجـــددتْ لـك فــي الأجــيــال أعـمــار

هــيَ الـفــخــار لـشـعـب مــن خـلائـقـه

خُـلْـقُ الـرجـال إذا هـاجـتـه أخـطـار

لـه الـبـحـار بـمـا اجـتــازت شـواطـؤهـا

ومـــا أجَــنَّــتْــهُ خـلـجـان وأغــوار

رواقُ مَـجْـدِ عـلـى جـدرانـه رُفـعـت

لـلـخـالـديـن أمـــاثـيـل وآثـــار

دخـلـتُ مـن بـابـه، واجـتـزتُ سـاحـتَهُ

وســرتُ فـيـه عـلـى آثـار مـن سـاروا

يَـتِـيـهُ بـاسـمـك فـي أقـداسـه نـصـبٌ

رخـامُــهُ الـدهـر، والـتـاريـخ حـفـار

****

بحيرة كومو[1]

هَيِّئي الكأس والوترْ
تلك كومو مدى النظرْ
واصدحي يا خواطري
طُويتْ شُقَّة السفر
ودنت جنة المنى
وحلا عندها المقر
قد بُعثنا بها على
موعد غير منتظر
في مساء كأنَّهُ
حلُم الشيخ بالصغر
البحيرات والحبا
ل توشحن بالشجر
وتنقبن بالغما
م وأسفرن بالقمر
والبرونات غادةٌ
لبست حلة السهر

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ١٤٤-١٤٧. وبحيرة كومو هي أجمل البحيرات الثلاث التي ينفرد بها إقليم اللمباردي الإيطالي وهي من أجمل مفاتن أوروبا التي تغنى بها الشعراء، وقد أهدى الشاعر هذه القصيدة إلى أديبة أمريكية صحبته عند زيارة هذه البحيرة متنقلاً بين شواطئها ومدنها وأروع جبالها المسمَّى بالبرونات.

نـــثـــرت فـــوقـــهـــا الـــديـــا
ر كـــمـــا يـــنـــثـــر الـــزهَـــر
وعـــبـــرنـــا رحـــابـــهـــا
فـــأشـــارت لـــمـــن عـــبـــر
هـــاكـــهـــا قـــبـــلـــة، فـــمـــن
رام فـــلـــيـــركـــب الـــخـــطـــر
فـــســـمـــوْنـــا لـــخـــدرهـــا
زُمَـــرًا تـــلـــوهـــا زمـــر
فـــي زجـــاج مـــحـــلـــقٍ
لا دخـــانٌ ولا شـــرر
يـــتـــخـــطـــى بـــنـــا الـــفـــضـــا
ء عـــلـــى الـــســـنـــدس الـــنـــضـــر
ســـلّـــمٌ يـــشـــبـــه الـــصِّـــرا
ط تـــســـامـــى عـــلـــى الـــبـــصـــر
فـــإلـــى الـــنـــجـــم مـــرتـــقًـــى
وإلـــى الـــســـحـــب مـــنـــحـــدر
وحـــلـــلـــنـــا بـــقـــمـــة
دونـــهـــا قـــمـــة الـــفـــكـــر
بـــهـــج فـــي كـــنـــوزهـــا
لـــلـــمـــحـــبـــين مـــدخـــر
بـــابـــل؟ أم بـــحـــيـــرة؟
أم قـــصـــور مـــن الـــدرر؟
أم رؤى الـــخـــلـــد فـــي الـــحـــيـــا
ة تـــمـــثـــلـــن لـــلـــبـــشـــر؟

حـــــبــــــذا أمــســـيــــاتـــهـــا
وحـــنـــيـــنًـــا إلـــــى الـبـكــر
ونـــــزوعًـــــا إلـــــى الـسـفـيـ
ــــن تـــهـــيـــأن لـلـســفــر
نـــســـيـــت شـــغـــلـــهـــا الـقـلـو
ب وهـــلـــلـــن لـلـســمــر
أوجـــــــــهُ مـــثـــلـــمـــا رنـــثْ
زهــــرة الــصــيــف لـلـمـطـر
أُضْـــحِـــيـــانِـــيَّـــةُ الـسِّـمـا
ت هـــلالـــيـــة الـــطـــرر
يـــتـــوهـــجـــن بـــالــشــبــا
ب ويـــنـــديـــن بـــالـخــفــر
طـــلـــعـــةٌ تـــســـعـــد الـشـقـيْ
يَ وتـــعـــطـــي لـــه الـعـمُـر
تمــــنـــح الـحـــــظ مـــن تـــشـــا
ء، وتُــبــقـــي، ولا تـــذر
إنمــــــا تـــنـــظـــر الـســمــا
ء إلـــــى هـــــذه الـصـــور
لـــتـــرى الـــلـــهَ خـــالــقًــا
مـــبـــدعًـــا، مـــعـــجـــز الأثـــر
شـــاعـــر الـــنـــيـــل طـــف بـهـا
غـــنِّـــهـــا كـــــلُّ مـبـتـكـر
الــــثـــلاثـــون قـــــد مـضـت
فـــي الـــتـــفـــاهـــاتِ والـــهـذر

فتزودْ من النعيـ

ـم لأيامك الأخر

أين وادي النخيل أم

قاهريَّاته الغرر؟

لا تقل أخصب الثرى

فهنا أورق الحجر

ههنا يشعر الجما

د ويوحي لمن شعر

آه لولا أحبةٌ

نزلوا شاطئ النهر

ورفات مطهر

وكريم من السير

لتمنيتُ شرفةً

ليَ في هذه الحُجر

أقطعُ العمر عندها

غير وانٍ عن النظر

فلقد فاز من رأى

ولقد عاش من ظفر

☆☆☆☆

يا ابنة العالم الجديـ

ـد صِلِي عالمًا غبر

في دمي من تُرَاثِهِ

نفحةُ البدو والحضر

وأغـــــــــانٍ لمــــــن شــــدا
ومـــــعـــــــانٍ لمـــــن فـــخـــر
مـــا تُـــسِـــرِّيـــنَ؟ أفـــصـــحـــي!
إن فـــي عـــيـــنـــك الـــخـــبـــر
الـــــغـــــريـــــبـــــان هـــهـــنـــا
لـــيـــس يـــجـــديـــهـــمـــا الحـــذر
نـــحـــن روحـــــــان عـــاصـــفـــا
ن وجـــســـمـــان مـــن ســـقـــر
فـــاعـــذري الـــروح إن طـــغـــى
واعـــــذري الجـــســـم إن ثـــأر
نـــضـــبـــت خـــمـــر بـــابـــل
وهـــــوى الـــكـــأس وانـــكـــســـر
وهـــنـــا كـــرمـــة الخـــلـــو
د فـــطـــوبـــى لمـــن عـــصـــر
فـــيـــم، والـــنـــبـــع دافـــق،
يـــشـــتـــكـــي الـــظـــامـــئ الـــصَّـــدِر؟
ولمـــــن هـــــذه الـــعـــيـــو
ن تَـــغَـــمَّـــرن بـــالحـــور؟
بـــــتن يـــلـــعـــبن بـــالـــنـــهـــى
لَـــعِـــبَ الـــطـــفـــل بـــالأُكـــر
هـــن أصـــفـــى مـــن الـــشُّـــعـــا
ع وأخـــفـــى مـــن الـــقـــدر
ولمـــــن تـــــوشـــك الـــثُّـــدَى
وثـــبـــة الـــطـــيـــر فـــي الـــســـحـــر؟

كـــــل إلـــــف لإلـــفــــه
هـــمَّ بـــالــصـــدر وابـــتــدر
عـــض فـــي الـــثـــوب واشـــتـكـى
وطـــــأة الخـــــز والـــوبـــر
ســـمـــة الـــطـــائـــر المـــعـــذْ
ذَب فـــي قـــيـــده نـــقَـــر
ولـــــن رفــــــت المـــبـــا
ســـم واســـتــرســـل الـــشـــعـــر؟
ثـــمـــر نـــاضـــج الجـــنـــي
كـــيـــف لا نـــقـــطـــف الـــثـــمـــر
مـــــا أبـــــى الخـــلـــد آدم
أو غـــــوى فـــيـــه أو عـــثـــر
زلـــــة تـــــورث الـحـجـــى
وتُـــــري الـــلـــه مـــن كـــفـــر
كـــأسُـــنَـــا ضـــاحـــكُ الحـــبـــا
ب، مـــصـــفًّـــى مـــن الـــكـــدر
فـــاســـكـــبـــي الخـــمـــر وارشـــفـــيـــ
ـــه عـــلـــى رنـــــة الـــوتـــر
وإذا شـــئـــت فـــاســـقـــنـــيـــ
ـــه عـــلـــى نـــغـــمـــة المـــطـــر
فـــغـــدًا يـــذهـــب الـــشـــبـــا
ب وتـــبـــقـــى لـــنـــا الـــذكـــر

****

خمرة نهر الرين[1]

كـــنـــز أحـــــلامِـــــك يـــــا شـــا
عـــــرُ فـــــي هــــــذا المـــكـــانِ
ســـــحـــــرُ أنـــــغـــامـــك طـــــوّا
فٌ بـــهـــاتـــيـــك المـــغـــانـــي
فـــــجـــــر أيـــــامـــــك رَفًّـــــا
فٌ عـــلـــى هــــذي المحـــانـــي
أيـــهـــا الـــشـــاعـــر، هــــذا الــــزْ
رَيْـــــــنُ، فـــاصـــدح بـــالأغـــانـــي

☆☆☆☆

كـــــل حــــــي وجــــــمـــــاد هـــهـــنـــا
هـــاتـــف، يـــدعـــو الحـــبـــيـــب المحـــســـنـــا
يـــا أخـــا الـــــروح، دعـــا الـــشـــوق بـــنـــا
فـــاســـقـــنـــا مـــن خـــمـــرة الـــريـــن، اســـقـــنـــا

☆☆☆☆

عـــــالـــــم الـــفـــتـــنـــة يـــــا شـــا
عـــــــرُ؟ أم دنـــــيـــــا الخـــــيـــــالِ؟

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص١٧١-١٧٢. نهر الرين من أشهر أنهار أوروبا ينبع من سويسرا ويمر بين فرنسا وألمانيا مخترقًا هولندا حتى مصبه في بحر الشمال، أهدى الشاعر قصيدته إلى صديقة سويسرية التقاها في ذلك الجو الساحر.

أمـــــــروج عـــلـــقـــتْ بـيـــ

ـــن ســحـــاب، وجـــبـــالِ؟

ضـــحـــكـــت بـــين قـــصـــور

كـــأســاطـــيـــر الــلـــيـــالـــي

هـــــذه الجـــنـــة، فـــانـــظـــر

أي ســحـــر وجـــمـــال؟

☆☆☆☆

يـا حـبـيـب الـــروح يـا حـلـم الـسـنـا

هـــذه ســاعــتــنـــا، قـــم غـنـنـا

ســكـــر الــعـــشـــاق إلا أنـــنـــا

فـاسـقـنـا مــن خـمـرة الــريــن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

لـيـلـــة فـــوق ضـــفـــاف الـــرْ

رَيْـــن حـــلـــم الـــشـــعـــراء

ألـــيـــالـــي الـــشـــرق يـــا شـــا

عــــر؟ أم عـــرس الـــســمـــاء

الــــدجـــى ســـكـــران، والأنـــــ

ـــجـــم بـــعـــض الـــنـــدمـــاء

أنـــصـــت الـــغـــاب وأصـــغـــى الـنْـ

ـنَـــهـــر مـــن صـــخـــر ومـــاء

☆☆☆☆

فـاسـمـع الآن الـبـشـيـر المـعـلـنـا

حـــانـــت الـلـيـلـــة، والـفـجـر دنـــا

فـامـلأ الأقـــداح مــن هـــذا الجـنـى

واسـقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

هــا هـــم الــعـــشـــاق قـــد هـبْـ

ــبُـــوا إلـــى الــــوادي خـفـافـا

أقـــبـــلـــوا كـــالــضـــوء أطـيـا

فًـــا وأحـــــلامًــــا لـطـافـا

مـــــلأوا الـــشـــاطـــئ هـمـسًـا

والـــبـــســـاتـــين هـــتـــافـا

أيـــهـــا الـــشـــاعـــر! هـــذا الـــرْ

رَيْـــــن! فـاسـتـوحِ الـضـفـافـا

☆☆☆☆

الـصـبـا، والحـسـن، والحـب هـنـا

يـــا حـبـيـبـي هـــذه الــدنـيـا لـنـا

فـامـلأ الـكـأس عـلـى شـدو المـنـى

واسـقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

يـــا ابـــنـــة «الآر» حـــديـــث الـــ

أمـــس مـــا أعـــذب ذكـــره

كـــان حـلـمًـا أن نـــرى الـــريـــ

ـــن وأن نـــشـــرب خـــمـــره

وشـــربـــنـــا فـــســكـــرنـــا،

وأفـــقـــنـــا بـــعـــد ســـكـــره

ووقفنا للوداع،

وافترقنا بعد نظره

☆☆☆☆

أين أنت الآن؟ أم أين أنا؟

ضربت أيدي الليالي بيننا

غير صوت طاف كالحلم بنا:

اسقنا من خمرة الرين، اسقنا

****

ليلة عيد الميلاد[1]

اسـمـعـي أيـتـهـا الـرو
ح! أفـي الـكـون غـنـاءُ؟
وانـظـري.. هـل فـي نـواحـي الـ
أرض بـالـلـيـل ضـيـاء؟
لا تـراعـي إن يـكـن قـصْـ
ـصَـر عـنـك الـبـشـراء
فـالـنـواقـيـس الـتـي حـيْـ
ـيَـتـك أشـجـاهـا الـقـضـاء
الـشـجـى رجـع صـداهـا
والأسـى والـبـرحـاء
والـتـراتـيـل مـن الـبـيـ
ـعـة نـوح وبـكـاء
رددتـهـن الـثـكـالـى
والـيـتـامـى الـشـهـداء
والـمـصـابـيـح الـتـي كـا
ن بـهـا يـزهـى الـمـسـاء

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ٢٧٥-٢٧٧.

خـنـقـتـهـا قـبـضـة الــشـرْ
ــــرِ فـمـا فـيـهـا ذمـاء
صـبـغـوهـا بـســوادٍ
فـهـي والـلـيـل ســواء
مـأتم لـلـنـور قـام الـ
ـويـل فـيـه والـشـقـاء
تحـت لـيـل مـا لـه بـد
ء، ولا مـنـه انـتـهـاء
أيـهـا المـبـعـوث، لا ضـنْـ
ـنَـت بـرجـعـاك الـسـمـاء
انـظـر الأرض.. فـهـل فـي الـ
أرض حـبٌّ وإخـاء
نـسـيَ الـقـوم وصـايـا
ك وضـلـوا وأسـاءوا
وكـمـا بـاعـوك يـا مـنـ
ـقـذ بِـيـعَ الأبـريـاءُ
لـيـلـة المـيـلاد، والـدنـ
ـيـا دمـوع ودمـاء
فـي ربـوع كـان فـيـهـا
لـك بـالـسـلـم ازدهـاء
بـاسـمـه يـشـدو المـغـنـو
ن ويـشـدو الـشـعـراء
أيـن ولَّـت هـذه الـفـر
حـة؟ أم أيـن الـصـفـاء؟

لـــم تـــصـــافـــحـــك مــــن الأطـــــ
ـــــفـــال أحــــــلام وضــــاء
رقـــــــدوا غـــيـــر عـــيـــونٍ
ريــــع مــــنــــهــــنَّ الــــفــضــاء
تـــرقـــب الآبـــــــاء، هـــل عــا
دوا؟ وهــــل حـــان الــلــقــاء؟
بــــين أيــــــدي أمـــــهـــــاتٍ،
بــــــتن، والـــلـــيـــل جــفــاء
فــــي طــــوايــــا الـــنـــفـــس يـبـكـيـ
ــــــن وقـــــد عـــز الـــرجـــاء
ويـــحـــهـــم أيـــــن تـــــراهــــمْ،
هــــــؤلاء الأشـــــقـــيـــــاء؟
هــــم وراء الــلــيــل أجـســا
دٌ وأرواح هــــبــــاء
ووجــــــــوه رســـــم الـــرعـــــ
ــــب عـــلــيــهـــا مـــا يـــشـــاء
خـــنـــدقـــوا فــــي مـــــأزق المـــو
ت ومــــــا مــــنـــــه نجــــاء
بــــين مــــوج مـــــن ســـعـــيـــرٍ
يــــتــــوَقَّـــاه الـــفـــنــــاء
وجـــبـــال مــــن ركــــام الـــثْـــ
ــثَـــلـــج يـــرســـيـــهـــا الـــشـــتــاء
وحـــــديـــــدٌ طـــــائــــر يـــحــــ
ـــــذر مــــســـــراه الـــهـــــواء

وعـــجـــيـــبٌ فـــيـــم لـــلـــمـــو
ت يـــســـاق الـــتـــعـــســـاء؟
فـــي ســبــيــل الـخــبــزِ؟ والخـبـ
ـــزُ اكـــتـــســـاب ورضـــاء
فـــي ســبــيــل الـحـــق؟ والحـــقْ
ـــقُ لـــدى الـــقـــوم طـــلاء
فـــي ســبــيــل المـــجــد؟ والمـــجـ
ـــد مـــن الـــبـــغـــي بـــراء
أوَ فـــي المـــجـــزرة الـــكـــبـ
ـــرى تـــنـــال المـــجـــد شـــاء؟
كـــذب الـــبـــاغـــي ولـــلـــســيـ
ـــف بـــكـــفَّـــيْـــهِ مـــضـــاء
وخـــــداعٌ كـــــل مـــا قـــا
ل، وزور وافـــتـــراء
أيـــهـــا الـــشـــرق الـــذي خـصْـ
ـصَـتْـهُ بـــالـــروح الـــســمـــاء
هـــذه الـــروح الـــتـــي شِـــيـ
ـــد بـــكـــفـــيـــهـــا الـــبـــنـــاء
والـــتـــي مـــن نـــورهـــا الـــعـا
لَـــمُ يُـــجـــلَـــى ويـــضـــاء
يـــا أبـــا الـحـكـمـة، لا هـا
ن عـــلـــيـــك الـحـكـمـاء

نـــــــادِ أوربـــــــا فـــقـــد يـنــ
ـــفـعــهـــا مـــنــك الــــنـــداء

حـــانـــت الـــســـاعـــة يـــا أخــ
ــتـــاه أم حـــق الجـــــزاء؟

دنـــــــت بــــالــــقـــوة حـــتـــى
صـــرعـــتـــك الـــكـــبـــريـــاء

ارقـــصـــي فـــي الـــنـــار، أنـــت الــ
ــيـــوم لـــلــــنــــار غـــــذاء

واشـــربـــي فـــي حـــانـــة الـشـيــ
ــطـــان مـــا فـــاض الإنـــاء

حـــانـــة لــــلــمـــوت فـيـــهـا
مـــن دم الـقـتـلـى انـتـشـاء

نـــادمـــي مـــن شـــئـــت فـيـــهـا،
فـــالمـــنـــايـــا الـــنـــدمـــاء

وارفـــعـــي الـــكـــأس وغـــنـــي
وعـــلـــى الـــدنـــيـــا الـــعـــفـــاء؟

☆☆☆☆

يـــا قـــويًّـــا لـــم يـــهـــن يـــو
مًـــا عـــلـــيـــه الـضـعـــفـــاء

وضـــعـــيـــفًـــا واســـمـــه يَـــفـــ
ـــزع مـــنـــه الأقـــويـــاء

وأنـــــا المـــســـلـــم لا يَـــجـــ
ـــحـــد عـــنـــدي الأنـــبـــيـــاء

أنـــت فـــي الـــقـــرآن حـــبٌّ

وجــــمـــــال ونــــقـــــاء

عـــجـــبٌ فِـــدْيَـــتُـــكَ المـــثـــ

ـــلـــى وفـــي الـــقـــول عـــزاء!

ألـــهـــذا الـــعـــالـــم الـــشـــرْ

رِيـــر؟ قـــد ضـــاع الـــفـــداء!

****

محنة باريس[1]

سألوني عن بياني وقصيدي
أسفًا.. باريس! قد مات نشيدي
شهد الحب ذَكَرْنَاك ولمْ
أنس نجواك ولم أخفر عهودي
أنا لا أنسى لياليَّ على
روضك الرفاف بالزهر النضيدِ
ثمر الفكر ومجني نورهِ
ومراح العين والقلب العميد
خطرة عابرة عدت بها
عودة الغواص بالدر الفريد
فاعذري المزهر في كفي إذا
أخرستْهُ ضجة الرزء الشديد
يوم قالوا جلل القيد يدًا
حطمتْ بالأمس أصفاد العبيد
حملتْ مشعل حرياتهمْ
في شراة من شباب المجد صيد
كيف يا باريس بالله هوى
ذلك النجم من الأفق البعيد؟

(١) علي محمود طه، مجلة الرسالة، عدد ٣٦٩، تاريخ ٢٩/٧/١٩٤٠م: ص ١٢٢٢.

إن ينل منك المغيرون فما
فتحوا غير تخوم وحدود

لست بنيانًا، ولا أرضًا، ولا
غاب آساد، ولا جنة غيد

أنت معنى عالم الفكر بهِ
يتحدى قبضة الباغي المريد

كعبة الأحرار هذي محنةٌ
راعت الأحرار في أكرم عيد

صرع النور به وانحسرتْ
جبهة الشمس عن النور الشهيد

وأتى الليل، ومن أهوالهِ
أن تُرى بين ظلام وقيود

أين من فرساي[1] أفقٌ ضاحكٌ
مشرق عن أمل الشعب السعيد

وعلى كل طريق موكبٌ
صادح الأبواق خفاق البنود

لكأني اليوم ألقى مأتمًا
وأرى الكنكرد[2] كالقبر الحريد

حال شدو الماء في أحواضهِ
نفثة الغرقى ببحر من صديد

وقفت مصر به صامتةً
تتقرى الغيب، طلْسَمَ الوجود

غلبَتْها حكمة الدهر ولوْ
نطقَتْ لم تأتِ بالمعنى الرديد

(١) قصر فرساي العظيم من اشهر القصور الملكية في اوروبا.
(٢) ميدان الكونكورد المشهور بباريس.

ساحة الباستيل[1] حان الملتقى
وتعالت صرخة الفجر الوليد
أين أبطالك؟ ماذا أترى
ضرب الليل عليهم بالوصيد؟
أغمدوا أسيافهم؟ وَيْحَ وما
عَوَّدوا أسيافهم حبس الغمود
ويحهم قد شيعوا أعيادهمْ
بين عصف النار أو قصف الحديد
فوق أرض صُبغت من دمهِمْ
وتحدثْ كل جبار عنيد
فوق أحجارك صرعى أمسهِمْ
فلذات كتبت سفر الخلود
فاذكريهم بالذي مر بهِمْ
واقرئي تاريخهم، ثم أعيدي

☆☆☆☆

أيها العائد من غاراته
راقدًا تحت قباب (الأنفليد)[2]
تلك راياتك، فانظر أترى
من سيوف تحتها أو من جنود؟
أين من برلين أو آفاقها
جيشك الظافر بالحشد البديد
تطأ الأرض إلى مشرقها
موغلًا في أثر الدب الشريد

---

(١) الباستيل: السجن الفرنسي المشهور الذي اصبح هدمه من ابرز إنجازات الثورة الفرنسية.
(٢) الأنفليد: قبر نابليون.

لـفـرنـسـا هـمـة لا تـنـثـنـي
أمـشـت فـي الـنـار أم تحـت الجـلـيـد
بـالـقـلـيـل الجـمـع مـن أبـنـائـهـا
تـنـزع الـنـصـر مـن الجـمـع الـعـديـد
أمـم تـرسـف فـي أحـقـادهـا
دِنْـتَـهـا بـالـصـفـح والـصـنـع الحـمـيـد
لـم تـسـيِّـر فـوقَـهـا دبـابـة
أو تـبـاغـتـهـا بـطـيـر مـن حـديـد
يـقـتـل الـولـدان والـشـيـب ولا
يـرحـم المـرضـى وربـات المـهـود
شـرف الحـرب كـمـا لُـقِّـنْـتَـهُ
مـلـتـقـى سـيـفـين فـي ظـل الـبـنـود
فـاعـذر الـيـوم فـرنـسـا إنـهـا
وثـقـت بـالـعـهـد فـي دنـيـا الجـحـود
قـرعـت لـلـنـصـر كـأسًـا ويـحـهـا
صَـرَعَـتْـهـا خـمـرةُ الـنـصـر الـتـلـيـد
رقـدت عـن غـدهـا وانـتـبـهـتْ
حـيـث لا يـنـفـع صـحـو مـن رقـود
أسـفـرت سِـدَّان[1] عـن مـأسـاتـهـا
وتـهـاوى حـجـر الحـصـن المـشـيـد
ثـغـرة أُنْـفـذ مـنـهـا خـنـجـرٌ
قـد تـلـقـتـه عـلـى حـز الـوريـد

(١) مدينة سِدّان: انهزم جيش نابليون الثالث في ساحاتها وانهارت إمبراطوريته وقامت الجمهورية الثالثة. وهزم فيها الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية وانهارت الجمهورية الرابعة.

شـهـد المـجـد لـهـا بـاسـلـةً
خـضـبـت بـالـدم مـن نـحـر وجـيـد
فـابـعـث الـعـزة مـن تـاريـخـهـا
وتـألـق بـسـنـاه مـن جـديـد
واطـلَـعِ الـيـوم عـلـيـهـا سـيـرة
وَكُـنِ الـشـاعـر واهـتـف بـالـقـصـيـد
... أيـهـا الـفـاتـح لا يـغـررك مـا
سِـرْتَ فـيـه مـن حـصـون وسـدود
لـك فـيَّ الـعـبـرة المـثـلـى فـلا
تـأمـن الـزلـة فـي أوج الـصـعـود
☆☆☆☆
ربـة الـنـور سـلامًـا كـلـمـا
هـتـف الـشـعـر بمـاضـيـك المجـيـد
لـك فـي كـل خـيـال صـورةٌ
بـرئـت مـن وصـمـة الـعـصـر الجـديـد
غـيـر ذكـرى يـرجـع الـفـكـر بـهـا
لـلـيـال مـن عـصـور الـظـلـم سُـود
لـهـف نـفـسـي لـدمـشـق وَلِـمَـنْ
خـرَّ فـيـهـا مـن جـريـح وشـهـيـد
مـن شـواظ يـقـذف المـوت عـلـى
رُكَّـعٍ فـي سـاحـة الـلـه سـجـود
فـأنـا الـشـرقـي لا أنـسـى الـذي
حـاق مـن حـكـمـك بـالـشـرق الـعـتـيـد
المـسـاواة الـتـي أعـلـنـتِـهـا
أعـلَـنَـتْـهُ بـنـذيـر ووعـيـد

والإخاء الحر ما كان سوى
مدفعٌ يرمي بمُزْدٍ ومبيد
وطني الروحي، إن أغضَبْ لهُ
فلآباء كرام وجدود
وتراث خالد من أدبٍ
أنا فاديه بروحي ووجودي
كفرَتْ ثورتُك الكبرى بهِ
وهو المحسن يُجْزَى بالكنود
سار بالإسلام نورًا، وهدى
بسنا عيسى خطى الحق الطريد
النبيون همو ثوارهُ
حاملو الشعلة، أعداء القيود
فخذي بالحق والروح الذي
هز بالثورة أركان الوجود
وابعثيها ثورة أخرى فما
يعرف الأحرار معنى للجمود

****

عزيز فهمي[1]

أيا جارة السين[2]

هـوى الـنـسـرُ[3] وارتـــدَّتْ إلـيـه مـخـالـبُهْ
وضـاقـت بـه الأجــواء إذ هـيـض جـانـبـه
تــرنَّــحَ مــطـويَّ الـجـنـاحـين قـابـضًـا
مـن الـذعـر أنـفـاسًـا دِرَاكًــا تـجـاذبـه
تــأمــلْ! فـهـذا الـنـضـو أشــلاء كـاسـرٍ
تـحـدى بـسـاط الـريـح والـسـحـب واثـبـه
رأى (الـريـن) أدنـى مـن مـسـارح طـرفـهِ
وأيــســر مــمــا تـشـتـهـيـه رغـائـبـه
فـخـف إلــى (الــســين) الـقـريـب كـدأبـهِ
وهــيــهــات أن تـقـضـى بـــريءٍ مــآربـه
وطــار إلــى (الـمــانـش) الـبـعـيد مـخـلـفًـا
عـلـى (الـتـبـر) أجـنـادًا وحـلـفًـا يـراقـبـه

---

(١) عزيز فهمي (١٣٢٧ - ١٣٧٢ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٥٢ م)؛ شاعر مصري حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٣١م؛ ثم سافر إلى فرنسا وحصل على الدكتوراة في القانون من جامعة السوربون عام ١٩٣٨م. اشتغل بالمحاماة وكان عضوًا بحزب الوفد وعضوًا بمجلس النواب. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٩٤.

(٢) عزيز فهمي، ديوانه، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٢م: ص٩٠ - ٩٣.

(٣) إشارة إلى شعار ألمانيا في عهد هتلر.

وود لو اجتاح الشمال مجازفًا
إلى القطب أو يعنو الشمال وصاحبه
وأوغل في روسيا وروع دبُّها
فما راعه إلا هزبرٌ يغالبه
وطوَّفَ حتى شارف النيل لاهثًا
ولولا عيون الله حلت مصائبه
ولو عبَّ أمواه المجرة ما ارتوى
وأنى له الإشباع والداء كالبه!
أدل على السامي بجنس وسحنةٍ
ولم ير في الآريِّ جنسًا يقاربه
ولم أر كالنسر اعتزازًا بجنسهِ
وإن كنت لا أدري لماذا أعاتبه
فخرنا بميراثٍ وفضلِ حضارةٍ
وباهى بجيش لا تفل قواضبه
فيا ليت شعري كيف بات مجندلا
وكيف أصابت مقلتيه مضاربه
وسبحان من لو شاء راش جناحَهُ
ولو شاء جاب الشرق والغرب جائبه
وسبحان من أملى وأرداه عاثرًا
ولو شاء ما أعيت عليه مذاهبه

☆☆☆☆

وقائع أيام شهدْت صروفها
نزيلًا بغاب قد تجاسر غاصبه
أباحت له الأقدار يومًا عرينَهُ
بليل بهيم أبطأته ثواقبه

فـإن أنـس لـن أنسى حياتي جحفلا
تـهـجـم كـالمحـمـوم والجــوع كـاربـه
رأيــت بـعـيـنـي مـا يُـكـذِّبُ خـاطـري
كـأنـي أرى وحـشًـا تـدلـت غـبـاغـبه
فـلـم يـبـقَ فـي بـاريـس إلا مـشـتـتٌ
يـبـيـت عـلـى الـغـبـراء والـلـيـل نـاكـبه
ولــم يـبـق إلا جـائـع جـف حـلـقـهُ
وآخـــر تـبـدو مــن نـحـول تـرائـبـه
أرامـل يـرصـدن الـسـمـاء عـلى الـطـوى
ويـرعـشـن فـي لـيـل تـوالـت سـحـائـبه
إذا هـن أرضـعـن الـولـيـد تـحـلـبـتْ
مــن الـثـدي أمـشـاج وبـات يـداعـبه
عـصـارة جـسـم شـفـه الجـوع والـضـنـى
وســؤر ومـمـا قـد يـلـين حـلائـبه
ومـا راعـنـي إلا نـحـيـب يـتـيـمـةٍ
تـصـيـح: أبـي ويـلاه! والـدم خـاضـبه
يمـد إلـيـهـا سـاعـديـن تـعـودا
حـمـايـتـهـا والجـرح يـنـزف سـاكـبه
عـشـيـة طـافـوا فـيـلـقًـا بـعـد فـلـيـقٍ
بـسـاحـة قـوس الـنـصـر والـذل ضـاربه
ورف عـلـى قـوس الـشـهـيـد صـلـيـهـم
يـشـيـر إلـى نـصـر... وهـذي كـتـائـبه
وضـج شـهـيـد فـي ثـراه مـغـيـبٌ
ومـادت بـقـبـر «الأنـفـلـيـد» جـوانـبه

كـأنـي بـنـابـلـيـون يـصـعـق سـمـعَـهُ
زئـيـر شـهـيـد والـشـهـيـد مـعـاتـبـه
هـو الـفـاتـح الـغـازي وشـعـبـك حـاشـدٌ
يـزمـجـر مـن غـيـظ ويـغـضـي مـحـاربـه
فـلـلـه يـوم جـل عـن وصـف نـاظـرٍ
وقـصَّـر شـعـري والـبـيـان وطـالـبـه
وبـشـراك يـا بـاريـس بـشـرى مـهـنئ
يـشـاطـرُك الأفـراحَ والـشـوقُ غـالـبـه
يـزف عـذارى الـشـعـر مـا دف مـوكـبٌ
بـعـرس ومـا حـنـت إلـيـك ركـائـبـه
أهـنِّـيـك والـجـار الـشـقـيـق مـصـافـحٌ
ورُب غـريـمٍ عـاد خـلًّا وصـاحـبـه
عـتـبـت وجـاري مـنـك أولـى بـشـفـعـةٍ
ومـن عـاتـب المـحـبـوب راح يـغـاضـبـه

☆☆☆☆

أيـا جـارة الـسـين اذُكـرت شـبـيـبـتي
وشـبَّـه لـي أمـسـى فـجـئـت أخـاطـبـه
وأيـكًـا نـعـمـنَـا حـول وارف ظـلـهِ
زمـانًـا ولا عـينٌ هـنـاك تـشـاغـبـه
ويـوم تـلاقـيـنـا عـلـى غـيـر مـوعـدٍ
بـبـولـون فـي لـيـل تـهـاوى كـواكـبـه
ومـنـا نـشـاوى مـن رحـيـق مـراشـفٍ
يـنـاويـنـي كـأسًـا وكـأسًـا أنـاويـه
فـيـا أيـهـا الـطـيـف الـحـديـد ألا اتـئـذْ
مـكـانـك لا تـبـرح فـإنـي مـجـاويـه

أعـنـدك أن الـشـوق جـاوز حـدَّهُ
فـعـاد جـحـيـمًا لا تـطـاق نـوائـبـه
حـنـانـك لا تـبـرح مـكـانـك واتـئـد
فـعـنـدك قـلـبـي والـشـبـاب وسـالـبـه
أعـيـدُكِ يـا بـاريـس أم عـيـد عـالـمٍ
يـلـوح لـه فـجـرٌ تـلـوح عـواقـبـه
ذكـرنـا بـهـذا الـنـور فـجـرًا مـمـاثـلا
تـبـلـج فـي كـون تـمـوج غـيـاهـبـه
ذكـرنـا بـه الـبـاسـتـيـل يـوم حـطـمـتِهِ
فـدك مـن الـظـلـم الأسـاس ونـاصـبـه
وكـنـت مـنـارًا لـلـشـعـوب وهـاديًـا
أمـيـنًـا تـجـوب الـعـالمـين جـوائـبـه
فـكـيـف أديـل المـلـك وانـهـار ركـنـهِ
ونـاحـت عـلـى الـصـرح الأشـم نـوادبـه
سلي (الدوتش)[1] عن روما وأطراف ملكها
وهـل قـضـيـت (لـلـدوتـش) فـيـك مـطـالـبـه
قـصـاص مـن الأقـدار حـل بـغـادرٍ
وبـئـس مـصـيـر طـل بـالـغـدر كـاسـبـه
أَعـيـدك هـذا أم بـشـيـر وفـرحـةٌ
وفـجـر عـلـى الـدنـيـا تـطـل مـواكـبـه؟

****

(١) الدوتش لقب موسوليني طاغية إيطاليا إبان الحرب العالمية الثانية.

فتح برلين[1]

تنفس الصبح إذ لاحت بوادرُهُ
وودع الليل بعد السهد ساهرُهُ
جلاه في غلس الأسحار كوكبهُ
لما انجلى الليل وانجابت دياجره
أناف بين دخان كان منعقدًا
على ظلام كأن الحشر آخره
شخصت فارتدَّ طرفي عنه من وهجٍ
وجدد الوجد ما أذكت بشائره
ليس المجوس على شيء وقد كفروا
فهل درى الكفر من منا معاصره
لم تُعبد النارُ إلا في هياكلنا
ولا الحديد الذي تغلى مجامره

☆☆☆☆

أهلٌ لله عند الفجر ناظرُهُ
وغض جفنيه لما شاع باهره
تلك الدماء تراءى لونها شفقًا
تأمل الأفق وانظر ما يخامره!

---

(١) عزيز فهمي، ديوانه: ص١١٥ – ١٧٧.

أسال هذا البادي على فلقٍ
في حمرة الأفق لما فاض زاخره؟
أم غاض فانعكست حُمرًا سبائكهُ
ونم عما بجوف الأرض ظاهره!
أصابها وابلٌ عزريل صوَّبَهُ
فهل رواها نجيع جف باكره؟
وهل ترامى إلى الأثباج صيبهُ
فذاب في شفق الآفاق مائره؟

☆☆☆☆

سبحان من يرث الدنيا وأهلها
جرى القضاء بما أملت مقادره
دوى من الغرب ناقوسٌ يجلجلهُ
وهلَّل الشرق واهتزت منابره
تداول القدَرُ الأيام واختلفتْ
على العباد كما شاءت دوائره
وإنما نحن والأقدار ساخرةٌ
على شفا جُرُفٍ هارٍ نجاوره
ليس الشجاع وإن أبلى على أملٍ
حتى يتاح له حظ يضافره
صحا من الحلم نشوانٌ ومنتصرٌ
وعز بعد بساط الراح ناصره
لم يدر من نبش الغبراء ساعدُهُ
أي المقابر خطَّتها أظافره

عصى الأسير ولم تقبل شفاعتهُ

وآب بالقيد بعد الأسر آسره

☆☆☆☆

جن أغاروا على (البلجيك) واندفعوا

كالسيل ينسف ما يلقاه غامره

سرعان ما جرف (الألزاس) زاحفهُ

إلى الشمال وعبر (المانش) قاهره[1]

فارتد كالبرق طوفانًا وصاعقةً

وصب في الشرق ما ضبت زواخره

أدال ربك من ملك أحاق بهمْ

منه العذاب ولم تسلم حواضره

هم أضرموها وشنوها عشوزنةً

لم يدر مُضرِمُها ماذا يخاطره

في كل حاضرة قبر لحاضرهمْ

وكل مقبرة فيها مقابره

أين الأسود الضواري؟ أين غيلهُمُ؟

هذا العرين... فهل زالت قساوره؟

وأين برلين هل عفَّت معالمها

صواعق الجو أصلتها أعاصره؟

أم زلزلت ومحت آثارها سقرٌ

يحمومها الليل لولا ما يساوره

(١) الألزاس إقليم شرق فرنسا عاصمته ستراسبورج، كانت تاريخيًا محل نزاع مع ألمانيا والمانش، كما يسميه الفرنسيون، أو القناة الإنجليزية كما يسميها البريطانيون جزء من المحيط الأطلسي يربطه ببحر الشمال ويفصل بين إنجلترا وفرنسا.

فالشهب طالعة فيها إذا استعرتْ
والليل منهتك لولا ستائره
والخيل صافنة شُلَّتْ حوافرها
على أديم من الأشلاء سائره
حارت أتحجم والإقدام يمنعها
وكيف تسبح في سيل تحاذره؟
مال الرغام بأطلال يحركها
دم يفيض من الأشلاء هامره
لم يغن (سيجفريد)[1] عنها يوم نكبتها
ولا حماهم من النيران ساتره
كأنما جيفُ القتلى ودائرها
بحر يموج وما يطفو مواخره
هزيمة غَشِيَتْهُمْ في معاقلهم
فانهار (سيجفريد) واندكت مخافره
وأين ملكٌ عريضٌ عزٌّ جانبُهُ
لو شاء ربك ما طارت عساكره
طاروا شعاعًا وزالوا عن كتائبهمْ
كما تطاير عن عهن غفائره

☆☆☆☆

نعاك (برلين) برق جل موقعُهُ
في العالمين ولم تشفق مصادره
وخفف الحزن عنا ما يحققُهُ
نصر الحليف وما زلنا نؤازره

---

(١) سيجفريد: خط دفاع حصين أنشأه الألمان ضمن خط هيندينبرج ما بين عامي ١٩١٦ و١٩١٧م ليحمي حدودهم الغربية، وهو يحمل اسم أحد الأبطال الأسطوريين في الأدب الألماني، وقد نجحت قوات الحلفاء في اختراقه أواخر الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤، ١٩٤٥م.

أمـانـة حـمـلـتْـهـا مـصـرُ راضـيـةً

والسـيـف مـنـصـلـتٌ والمـوت شـاهـره

لـولا الـعـنـايـة لـم تـسـلـم عـواقـبـهـا

والـفـأل نـحـس عـلـى الحـلـفـين طـائـره

☆☆☆☆

يـا عصبة الحلف مـاذا فـي كنانتكمْ

مـن الـذبـيـح ومـن فـي الـسـلـم نـاحـره؟

أوردتمـوه سـرابًـا مـن سـلافـتـكـمْ

فـعـلـه الـوهـم مـن وهـم يـحـاوره

وزدتمـوهـا نـواة مـن مـوائـدكـمْ

عـلـى خـوانٍ قـد ازدانـت مـظـاهـره

الـيـوم تـقـضـون إن عـدلًا وإن سـفـهًا

والسـيـف أعـدل فـي الحـالـين آمـره

قـاضـي الـقـضـاة إذا أفـتـى بـحـجـتهِ

الحـق فـي الـغـمـد إمـا صـال عـاذره

ولـيـس يـنـهـض مـلـك لا يـؤيـدهُ

حَـقٌّ وإن حـمـيـت حـيـنًـا بـواتـره

****

أحمد زكي أبوشادي[1]

وطن الضباب[2]
(إنجلترا)

عــــدُوكِ دار الــضــبـــابِ
ولـــذتـــي فـــي ضــبـــابِــكْ
قـــد كـــان شـــبـــه ســيـــاجٍ
إلا لـــدى أصـــحـــابــك
مـــا ضـــاق صـــدريَ مـــنـــهُ
بـــل ضـــاق بـــعـــد احـــتـــجـــابـــك
وكـــنـــتُ فـــي الأســـر حـــرًّا
والآن رهـــنٌ بـــبـــابـــك
مـــن عـــاب لـــم يـــدر مـــعـــنـــى
عـــلاك أو آدابـــك

---

(١) أحمد زكي أبوشادي (١٣١٠ - ١٣٧٥هـ = ١٨٩٢ - ١٩٥٥م)، شاعر وطبيب مصري مشهور، سافر إلى إنجلترا لإتمام دراسته في الطب، و اسس بعد عودته جماعة أبوللو الشعرية وكان وكيلًا لها تحت رئاسة شرفية لشوقي ومن بعده مطران. وضمت الجماعة تحت لوائها شعراء الرومانسية العرب في العصر الحديث، وأصدرت مجلتها الذائعة التي حملت اسمها «أبوللو» واشرف عليها أبوشادي. هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦م. وأقام بنيويورك حتى وفاته. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦١٣/٢.

(٢) أحمد زكي أبوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة، ط دار العودة، بيروت ٢٠٠٥: ١١٢- ١١٣.

الحسن فيك عزيزٌ

متوج بهضابك

والمجد فيك أصيلٌ

في الناس مثل ترابك

بناك خلق أبيٌّ

يصون سحر شبابك

فكان عيشي صلاةً

لديك في محرابك

و (التمز) ديوان شِعْرٍ

مخضب بخضابك

والريف مرآة طهرٍ

ممثل في كعابك

يروي النفوس حبورًا

كَريِّهِ من سحابك

والغرس فيك شموخٌ

أليس من أحبابك؟

وكل ما فيك حي

لأنه من كتابك

من مبدلي شمس (مصرٍ)

بنفحة من ضبابك؟!

****

بلاسكو إيبانز[1]

(١٨٦٧هـ - ١٩٢٨م)[2]

(بلاسكو)! تموت اليوم في النفي بينما
تعيش بدنيا قد مَلَكْتَ وأوطان
وترثيك ألاف العقول التي نمتْ
بنورك في ليل من الخوف لهفان
ويسكن هذا الصدر بعد اعتيادهِ
طليق الهواء الصفو في قرب غدران
عنت رئتاك اليوم للموت بعد ما
تعوَّدَتَا حريةً دون إيذان
فيا أسفي للحر يمضي كعبدهِ
ويا ألم العقبان في موت غربان
وإن كان في موت العظيم مهابةٌ
يحس بها النائي ويلمحها الراني
ويذهل في تكييفها كل باحثٍ
ذهول جبان عند وثبة طعان
تموت ممات الخلد وهْو خرافةٌ
وحق، كأن الخلد والموت سيان

(١) أحمد زكي أبوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص١١٥ - ١١٧.

(٢) بلاسكو إيبانز: اديب عالمي فر من وطنه إسبانيا هربًا من الاضطهاد بسبب دعوته إلى الجمهورية، ومات في الريفيرا بفرنسا متاثرًا بالتهاب رئوي مفاجئ.

تـهـز نـفـوس الـعـابـديـن جـلالـةً
لحكمتك الكبرى بحيرة إيمان

كـأن لـم تـكـن بـالأمـس أنـت عـزاءهـمْ
ومـبـعـثَ هـمٍّ لـلـتـجـدد فـي آن

وواصـفَ دنـيـاهـم بـخـبـرة سـائـحٍ
وواصـف أخـراهـم بـدقـة فـنـان

و (بـالمـثـل الأعـلـى) فـتـنـتَ، وزدتَّـهـم
مـن الـفـن فـتـانًـا يـضـيء لـفـتـان

فـلا بـدْعَ إن ريـعَـتْ قـلـوبٌ ذكـيـةٌ
ولا عـجـب فـي لـوعـة جـنـب ذكـران

ممـاتـك إصـغـار الـهـوان لـعـالـمٍ
مـن الـفـكـر قـد لاقـى الـوجـود بـعـصـيـان

فـمـثـلـك تـرثـيـه الـبـريـة، إذ تـرى
مَـنِـيَّـتَـهُ لـلـعـالمـين كـعـنـوان

وتـرثـي بـه آلامـهـا ورجـاءهـا
وأجـرأ إنـسـان، وأرحـم إنـسـان

ومـا مـدمـعـي هـذا سـوى قـطـرة جَـرَتْ
إلـى سـيـل إشـفـاق، إلـى بـحـر أشـجـان

وأنـت لـهـذا الـكـون تـعـزى، فـواجـبـي
وفـاء لمـن بـالـفـكـر يـرفـع مـن شـانـي

بـكـل ربـوع الـفـكـر قـامـت مـنـاحـة
وإن حـجـبـت، فـاقـبـلْ لـواعـج عـرفـانـي

☆☆☆☆

كبير الـعـلـى! مـا قـيـمـة الـعـمـر والـعـلـى
سـوى فـي وفـاء الـكـون من مـصـلـحٍ بـان

وأنتَ منحتَ الكون أضعافَ منحهُ
جنانك، حتى كنت أكبر جنَّان
وبرهنت برهان النبوغ موفقًا
بأنك من يأبى الحياة كإحسان!
فوفيت دينا ثم زدت، فهل لنا
بأن نسأل الدنيا الوفاء بحسبان؟
أم النبل أن نرقى برتبة نوعِنا
ونَتْبعَ هذا الرشد منك كفرقان؟
شخوصٌ بلا حصر وصفتَ محللا
كأنك رسامٌ لمقبل أزمان
لتنتفع الأقدار من وصفك الذي
به الدرس والتبيان معجز إتقان
وتقتبس الأجيال من علمك الذي
تنوع تطبيقًا لرفعة وجدان
ولو كنت خلَّاقًا بدنيا جديدةٍ
لكنتَ بهذا العلم خالقَها الثاني!

☆☆☆☆

نشأت بحكم العسف حرًّا شعارهُ
إخاء وتحرير لفكر وعبدان
فأصليت من خاصمته النار ثائرًا
بمنطقك المتبوع من حب شبان
وكنتم شفاء للجروح، وكنتمو
على الظلم مدحورًا قذائف بركان

ولكن رماد النار يُنْسى، وهكذا
نسيتم، فأصليتم مجدد نيران
وذقتم من السجن الوبيل مصائبًا
وأسرًا وتحقيرًا، كزمرة جرذان
عناء به أثبتَّ حقك في العلا
فما دانت العلياء يومًا لغفلان
وصرتَ وصحبُ ناصروك أعزةً
لشعب رأى التكريم أجدر بالعاني
تجشمت أهوالًا، فما دنت مرةً
لظلم، ولا كنت المذبذب والواني
نشأت العصي الذمر منذ حداثةٍ
ترى العار عيش الجبن في ظل طغيان
ترى الطوع للإصلاح والعلم عندما
يصون أماني الناس من خبث شيطان
قضيتَ الشباب الصفو ظمآن ثائرًا
ومتَّ ولم تهدأ بحرقة ظمآن
وكان اليراع الحر لَهْذَمَ فاتحٍ
وصمصامةَ الساعي إلى الخطر القاني
جريح، ولكنْ صبرُهُ جنةٌ لهُ
تُدَرِّعُهُ، والجرحُ شارةُ فرسانِ
وما رتَلُ الأزهار أشهى لفاتح
وأغلى من الآلام في رفع بنيان

كَفَتْكَ غنًى في النفس أو عزةٌ لها

فإن الغنى أن لا تَجِنَّ لغنيان

وقد كنت تاجًا للقناعة في الغنى

وأحسب هذا التاج زينة تيجان

وكنت أميرًا في الصحافة فاغتدتْ

بسلطتها تعلو على كل سلطان

تهز العتيَّ الظلمَ وهْو مُدَرَّعٌ

وتهدي إلى الألباب طاقة بستاني

****

رثاء هندنبرج[1]

يا شهيدًا في (تِنِنْبِرجَ)[2] أفاءْ
هكذا المجدُ ووحْيُ الشهداءْ!
عشتَ للشعب ومتَّ المرتجى
باذلَ النفس شعاعًا ومَضَاء
ليس من يمضي شهيدًا في الوغى
فوق من يمضي شهيدًا في البناء
ليس من يحفظ حق الأقوياءْ
مثل من يرجع حق الضعفاءْ
نم هنيئًا! ذاك حق نلته
بالخطير النصر بدءًا وانتهاء
واسع الحيلة منقضًّا بها
فإذا الباغي هباءٌ في هباء
نم هنيئا إن يك الموت وغًى
فخلود الذكر حرب للفناء
نم بترب ناضر قَدَّسْتَهُ
بالضحايا البسلاء السعداء

(١) احمد زكي ابوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص٤٧٥ - ٤٧٧. (عندما توفي زعيم الأمة الألمانية وقائدها الأعلى في الثاني من اغسطس سنة ١٩٣٤م).

(٢) تننبرج: هي القرية التي دفن فيها المرثي.

كل شبر منه ذكرٌ رائعٌ
ومعانٍ من تفانٍ وفداء
ضمَّخته عزةٌ روحيةٌ
ودماءٌ قدرها فوق الدماء
شرف الأوطان جيشًا مزبدًا
وإباء الضيم في يوم الإباء
حينما حاصرت جيشًا مزبدًا
بين نارين لأجنادٍ وماء
حينما غطى البحيراتِ اللظى
وتراءى شعلة نفس الهواء
والعدو الضخم في مصيدةٍ
فاتت اليأس ولم تعد الرجاء
لم يجد في الأرض أدنى مهربٍ
وتناءت عنه أسباب السماء
وهوى في الأسر لا عن ضلة
أو غباء، وهو في أسر الذكاء
إنما صادته من أحلامِه
قوةٌ فوق القُوى والأقوياء
قوة الإخلاص في تضحيةٍ
عند ما أحدق بالشعب البلاء
قوة تعريفها أسمى مدًى
من تعاريف التفاني والفداء

☆☆☆☆

يا دفينًا في (تِنِنْبرْجَ) أفاءْ
هكذا المجد ووحْي الشهداء

بطلُ الحربِ جريئًا فاتحًا
يملأ الرعب لذكراه الفضاء
والأجل الشهم في كسرتِهِ
يجعلُ التسليم كالفتحِ سواء
شامخ الرأس يُفَدِّي تَاجَهُ
ويصون الشعب صَوْنَ الأمناءْ
يا عظيم الخلق سلمًا ووغًى
وعديم المثل في يوم الوفاء
لم يُغالِ الشعبُ في تكرمةٍ
أو بقربانٍ لحبٍّ ووفاء
كيف والنفس التي بَدَّدْتَهَا
هي أسمى من بروجٍ وبناء؟
نعشُكَ الهادي وما أشبهَهُ
بسكون الدهر من بعد القضاء
حاطه من كل ذكر أثرٌ
ناطق قبل البرايا بالثناء
دائم الرهبة من شخصك في
حَرَمِ الخُلْدِ ومحرابِ البقاء
دائمِ الروعةِ في تقديسِهِ
وكأنَّ الحبَّ هالاتُ الضياء

☆☆☆☆

يا دفينًا في (تننبرج) أفاء
هكذا المجد ووحي الشهداء

لـك فـي المـوت الـذي كـنـت تـشـاءُ

مـن وفــاءٍ، ولــك الحــيُّ الـنـداء

ولــك المــجـد الــذي أطـلـعـتَـهُ

لـشـعـوب الأرض نــورًا يُـسـتـضـاء

مـعـجـز الـقـرن الـذي لـم يـحـتـفـلْ

أهــلُــهُ إلا بـبـطـشٍ أو ريــاء

جِـثْـتَـهُ المـنـقـذَ مِـن أدوائـهِ

بـالـعـظـيـم الخُـلْـقِ حـيِّ الـكـبـريـاء

آه! مَـنْ لِـي أن أرى فـي وطـنـي

هـذه الـعـزة فـي يـوم الـعـزاء

نـحـن صـرعـى مـأتم فـي مـأتمٍ

حـرم الـذل بـهِ حـتـى الـبـكـاء

بـيـنـمـا شـعـبُـكَ فـي لـوعـتـهِ

رافـع الـهـامـةِ مـحـسـودَ الـلـواء

يـا زعـيـمٌ أنجـبـتْـهُ أمـةٌ

مـثـل مَـن أنجـب فـيـهـا الـزعـمـاء

إيـه (هـنـدنـبـرج)! هـذي غـايـةٌ:

عَـظُـمَ المـوتُ ووحـيُ الـعـظـمـاء!

****

علي الغاياتي[1]

السين يضطرب والنيل ينتحب[2]

مـا لـقـلـب الـسـين يـضـطـربُ
وأخـوه الـنـيـل يـنـتـحـبُ؟
بـلـغَـتْ بـاريـس غـايـتـهـا
فـتـولـى نـهـرهـا الـطـربُ
ودهـت مـصـرًا نـوائـبُـهـا
فـأصـابـت نـيـلـهـا الـنُّـوب
إن يـغـض فـالـوجـد مـسـتـعرٌ
أو يـفـض فـالـدمـع مـنـسـكـب
فـهـو فـي حـالـيـه مـكـتـئـب
كـاد مـنـه المـاء يـلـتـهـب

(١) علي الغاياتي (١٣٠٣ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٥٦ م) شاعر مصري عاش في مصر وتركيا، واستكمل تعليمه بجنيف بسويسرا، واتقن الفرنسية وألف بها. اشتغل بالصحافة واشتهر بمواقفه النضالية، وقد صودر ديوانه الأول وطنيتي ١٩١٠م، وكان ذلك سببًا في هروبه من مصر إلى تركيا ومنها إلى سويسرا، ولم يعد منها إلا عام ١٩٣٧م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٤١٨.

(٢) علي الغاياتي، وطنيتي، القاهرة ١٩١٠م: ص ٨١-٨٤. وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة اللواء يوم الخميس ٢٣ محرم ١٣٢٨هـ الموافق ٣ فبراير ١٩١٠م بمناسبة فيضان نهر السين الذي أغرق باريس.

زاده شـــجــوًا عـــلـــى شـجـنٍ

ذلـــــك الــقـــلـــب الـــــذي يـجـب

أيــــهـــا الـــســــين اتــئــد فــلــقـدْ

فـــاض مـــنــك الـــويـــل والحَـــــرَبُ

أصـــبــحَـــتْ بـــاريـــس بــاكـيـــةً

فــبــكـــى الأعـــجـــام والـــعـــرب

إن بـــاريـــسًـــا وبـــهــجـــتــهـــا

نــعــمـــة الـــدنـــيـــا ولا عـجـب

أشـــرقَـــتْ فـــي الـــغـــرب ســاطـعـةً

وضـــيـــاء الـــشّـــرق مــغـتـرب

فـــلـــمـــحـــنـــا عـــنــد طـلـعـتـهـا

حـــجـــب الأنــــــوار تـحـتـجـب

ورأيـــنـــا فــــي مـــشـــارقـــنـــا

نـــائـــيَ الآمــــال يـــقـــتـــرب

****

محمد الأسمر[1]

الشرق والغرب .. إلى الأمم العربية[2]

أي فـجـر عـلـى الـبـلاد أطـلا
فـلـعـل الـصـبـاح آتٍ لـعـلا
يـا ضـيـوف الـحـمـى وأنـتـم ذووه
مـرحـبًـا مـرحـبًـا، وأهـلاً وسـهـلا
يـعـلـم الـلـه أنـكـم مـذ أتـيـتـم
مـا حـلـلـتـم إلا الـقـلـوب مـحـلا
إنـمـا الـشـرق أسـرةٌ وذووه
إخـوةٌ فـهْـو يـجـمـع الـكـل أهـلا
فَـرَّقَـتْ بـيـنـه حـوادثُ شـتـى:
وحـدوه يـدًا وقـلـبًـا، وعـقـلا

(١) محمد الأسمر (١٣١٨ - ١٣٧٦هـ = ١٩٠٠ - ١٩٥٦م)، شاعر مصري، تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٣٠م، وعمل بالتدريس في المعاهد الدينية المختلفة، كما عمل أمينًا لمكتبة الأزهر الشريف. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٥/٥٩١، ٥٩٢.

(٢) محمد الأسمر، ديوان الأسمر، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥١م: ص١٨٧ - ١٩٠. نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٤٤م بمناسبة افتتاح جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي بمصر.. وقد حيى الشاعر فيها الوفود العربية بمناسبة زيارتها لمصر، وحث على الاتحاد ونبه إلى أفاعيل الغرب مع الشرق.

نــالــت الــعــز بــالــتــضــامــن (أمــريــ
ــكــا) فــهــلا بــنــو الــعــروبــة هــلا
واسـتـقـلـت حـقًـا، فـلـيـسـت كـمـن بـا
ت أســيــرًا وقــيــل عــنــه اسـتـقـلا
مــا الــذي صــيَّــر الــعــروبــة أجــزا
ء وكــانــت مــن قــبــلِ ذلــك كُــلا
فــأعــيــدوا - ولــيــس ذلــك ســهــلًا -
بــعــض مــا كــان لــلــعــروبــة قــبــلا
هــذه الــحــرب آذنــت بــانــتــهــاءٍ
إن حــرب الــســلام أكــثــر هــولا
فــتــواصَــوْا بــالــحــق والــصــبــر فــيــهــا
وانــزلــوهــا نــصــلًا يــؤيــد نــصــلا
وأعــدوا لــيــومــهــا مــا اســتــطــعــتمْ
لا تــخــوضــوا تــلــك المــعــارك عــزلا
وحــذار الــوعــود فــهــي ســراب
وكــلام مــنــمــق لــيــس إلا
نــحــن مــنــهــا فــي مــصــر نــبــنــي مــن المــا
ء قــصــورًا ونــفــتــل الــرمــل حــبــلا
قــل لــحــلــو الــوعــود لــيــتــك أنــجــز
ت قــلــيــلًا مــنــهــا فــذلــك أحــلــى
ســاســة الــغــرب وعــدُهــم كــلــه مَــطْــ
ــلٌ وشــر الــوعــود مــا كــان مــطــلا
كــم مــواثــيــقَ ســطــروهــا بــأيــديــ
ــهــم، ولــيــســت إلا أســاطــيــر تــتــلــى

كم عقود مشوا بها لأناس
فاستحالت من بعد ذلك غلا
ما وراء الكلام غير كلامٍ
أو أباطيل تخدع الناس شكلا
صوروها في صورة الحق للنا
س وليس إلا افتراء وهزلا
مسرحيات مخرجٍ أسأمَتْنَا
ملًّها الناظرون فصلًا ففصلا
أيها المخرج القديم رويدًا
بعضَ هذا، عرضُ الحقائق أولى
☆☆☆☆
أيها (الغرب) حسبك اليوم تمثيـ
ـلًا وأرْخِ الستار فالشرق مَلا
أيها (الغرب) أنصفِ (الشرق) إن الشْـ
ـشَرق أصفى قلبًا وأكثر نبلا
وهو يوم المقال أصدق قولاً
وهو يوم الفعال أمجد فعلا
ما كساه الضباب ثوب خفاءٍ
بل تجلى كالصبح حين تجلى
أمه الشمس فهي أصل لما شبْـ
ـبَ عليه، ونعمت الشمسُ أصلا
مهبط الوحي مبعث الهَدْي كم أطـ
ـلع من أفقه المهيمن رسلا

خـصَّــهُ الـلــه بـالجـلـيـل مــن الـنُّـعـ
ـمـى فــأخـلِـقْ بــأن يـكـون الأجــلا

☆☆☆☆

أيـهـا (الـغـرب) أنْـصِـفِ (الـشـرق) واعـلـمْ
أن لـلـشـرق مـثـل فـضـلـك فـضـلا

أنــت لــولاه لـم تـواصـلْ خـطـى الحـر
ب، ولــولاه نــؤت بــالحــرب حـمـلا

لا تـكـافـئـه فــي الــغــداة إذا مـا
قــال حـقـي نـفـيًـا وسـجـنًـا وقـتـلا

واذكــر الـيـوم مــا ابـتـلـتـه بــه الحـر
ب ومــا قــدَّمَــتْ يــداه وأبـلـى

هــــذه هــــذه الــنــهــايــة لاحــت
فـضـع الأُسَّ لـلـعـروبـة عـدلا

لا تـقـل أهـلـهـا ضـعـافٌ فـمـهـمـا
يـعـلُ أمــر الـقـويِّ فـالحـق أعـلـى

إن فـيـهـا مـن قــال والـسـيـف مسلو
ل عـلـيـه لحـامـل الـسـيـف، كـلا

نـحـن إن نـفـتـدِ الـعـروبـة بـالـغـا
لـي مــن الــروح فـالـعـروبـة أغـلـى

لــم تـعـد دمـيـة تـقـاذفـهـا الأيـــ
ـــدي، ولا أكــل مــن يـحـاول أكـلا

أيــن مـنـهـا الــغــداة كُــلُّ بـنـيـهـا
لــتــرى الاتحــــاد أجـــمـــع شـمـلا

أيــن مـنـهـا (بـنـو الجــزائــر) فــي الـغـر

ب، ومـــن حــولــهـم لـــتـــزداد حــولا

☆☆☆☆

يا بني (الـشـرق) أسـرعـوا أسـرع (الغر

ب) فــلا تــسـمـعـوا لمـــن قـــال مـهـلا

واســتــهـيـنـوا بـكـل صـعـب إلـــى أن

تـصـبـحـوا لـلـذيـن فـي الـغـرب مِـثْـلا

كـــل صـعـب مـــن الأمـــــور إذا مـا

صـــادف الـعـزم، صـــار بـالـعـزم سـهـلا

مـا عـلـى (الـغـرب) لـو تـآخـى مـع الشر

ق فـصـــارا كـــالـــروض مـــاءً وظـــلا

****

إيليا أبوماضي[1]

بائعة الورود[2]

مِن الفِرَنْسيسِ قَيْدَ العين صورتُها
عذراءُ قد مُلئتْ أجفانُها حَوَرا
كأنما وهَبتْهَا الشمسُ صفحتَها
وجهاً، وحاكَتْ لها أسلاكُها شَعَرا
يدُ المنيّةِ طاحتْ غِبَّ مَوْلدِها
بأمّها، وأبوها ماتَ منتحِرا
في قريةٍ من قُرى باريسَ ما صغُرت
عن الفتاة، ولكنْ همُّها كَبُرا
والنفسُ تَعشقُ في الأهلينَ موطنَها
وليس تعشقُه يَحويهِمُ حُفَرا

(١) إيليا ابوماضي (١٣٠٧ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٥٧ م) شاعر لبناني كبير، من ابرز شعراء المهجر الأمريكي، عاش طفولته وشبابه في لبنان ومصر، ثم استقر بالولايات المتحدة الأمريكية حيث انضم إلى «الرابطة القلمية» وكان من ابرز اعضائها. منحته الحكومة اللبنانية وسام الأرز ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق. اصدر أول دواوينه «تذكار الماضي» ١٩١١م. وفي عام ٢٠٠٨م أصدرت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أعماله الكاملة بمناسبة انعقاد دورتها الحادية عشرة بالكويت. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٤/ ٧٦٠.

(٢) إيليا ابوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وتقديم عبدالكريم الأشتر ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م: ص٣٥٥ - ٣٦٢.

وتـعـظُـمُ الأرضُ فـي عينيكَ مـحتـرَمـاً
وليـس تـعـظُـمُ فـي عـيـنـيكَ مُـحـتـقَـرا
فَـغـادَرَتْـهـا ومـا فـي نـفـسِـهـا أثَـرٌ
مـنـهـا، ولا تـركـتْ فـي أهـلِـهـا أثـرا
إلـى الـتـي تَـفـتِنُ الـدنـيـا مَـحـاسـنُـهـا
وحُـسْـنُ مَـن سـكَـنوهـا يَـفـتِنُ الـبَـشـرا
إلـى الـتـي تَجـمـعُ الأضْـدادَ دارَتُـهـا
ويـحـرُسُ الأمْـنُ فـي أرجـائـهـا الخَـطَـرا
إذا رآهـا تـقـيٌّ ظـنَّـهـا «عَـدَنـاً»
وإن رآهـا شـقـيٌّ ظـنَّـهـا «سَـقَـرا»
تـودّ شـمـسُ الـضُّـحـى لـو أنـهـا فـلَـكٌ
والأفـقُ لـو طـلَـعـتْ فـي أوْجِـهِ قَـمَـرا
والـغـربُ لـو كـان عُـوداً فـي مَـنـابـرهـا
والـشـرقُ لـو كـان فـي جُـدرانـهـا حـجـرا
فـي كـلّ قـلـبٍ هـوًى مـنـهـا كـأن لـه
فـي أهـلـهـا صـاحـبـاً، فـي أرضـهـا وطَـرا
(بـاريـسُ) أعـجـوبـةُ الـدنـيـا وجـنَّـتُـهـا
وربَّـةُ الحُـسْـن مـطـروقـاً ومـبـتَـكَـرا

☆☆☆☆

حـلَّـتْ عـلـيـهـا فـلـم تُـنـكـرْ زخـارفَـهـا
فـطـالمـا أبـصـرتْ أشـبـاهَـهـا صُـوَرا
ولا خـلائـقَ أهـلـيـهـا وزِيَّـهُـمُ
فـطـالمـا قَـرأتْ أخـلاقَـهـمْ سِـيَـرا

وإنما أنكرتْ في الأرض وَحدَتَها
كذلك الطيرُ إمَّا فارقَ الوَكَرا
يتيمةٌ ما لها أمٌّ تلوذُ بها
ولا أبٌ إن دعتْه نحوَها حَضَرا
غريبةٌ يَقتفيها البؤسُ كيف مشتْ
ما عزَّ في أرض «باريسٍ» من افتَقَرا
مرّتْ عليها ليالٍ وهيَ في شُغُلٍ
عن سالفِ الهمِّ بالهمِّ الذي ظهرا
حتى إذا عضَّها نابُ الطُّوى نفرتْ
تستنزلُ الرزقَ فيها الفرْدَ والنُّفَرا
تجني اللُّجينَ ويجني الباذلوه لها
من كفِّها الوَرْدَ منظوماً ومَنتثِرا
لا تتَّقِي اللهَ فيه وهوَ في يدها
وتتَّقي فيه فوقَ الوَجنةِ النَظَرا
تغارُ حتّى من الأرواح ساريةً
فلو تمُرَّ قَبولٌ أطرقتْ خَفَرا
أذالتِ الوردَ قانيه وأصفرَهُ
كيما تصونَ الذي في خَدّها نَضَرا
حَمتْه عن كل طرْفٍ فاسقٍ غَزِلٍ
لو استطاعتْ حَمتْهُ الوهْمَ والفِكَرا
تُضاحِكُ الخَلْقَ لا زَهْوًا ولا لَعِبًا
وتجحَدُ الفقرَ لا كِبْرًا ولا أَشَرا
فإن خَلَتْ هاجتِ الذكرى لواعجَها
فاستنفدَتْ طَرْفَها الدَّمعَ الذي ادَّخَرا

☆☆☆☆

تعلَّقَتْهُ فتًى كالغصن قامتُهُ
حلوَ اللسان أغرَّ الوجه مُزدَهِرا
وهامَ فيها تُريه الشمسَ غُرّتُها
والفجرَ مرتصِفاً في ثغرها دُرَرا
إذا دنا رغبتْ ألاّ يُفارقَها
وإن نأى أصبحتْ تشتاقُ لو ذُكِرا
تُغالبُ الوجْدَ فيه وهو مقتربٌ
وتهجرُ الغَمضَ فيه كلّما هَجَرا
كانت توقَّى الهوى إذ لا يُخامرُها
فأصبحت تَتوقّى في الهوى الحَذَرا
قد عرّضَتْ نفسَها للحب واهيةً
فنال منها الهوى الجبّارُ مُقتدِرا
والحبُّ كاللّصّ لا يُدريكَ موعدَهُ
لكنّه قلّما، كالسّارقِ، استَتَرا

☆☆☆☆

وليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرةٍ
لا تسأمُ العينُ فيها الأنجُمَ الزُّهُرا
تَلاقَيا فشكاها الوجَدَ فاضطربتْ
ثم استمرّ فباتتْ كالذي سُحِرا
شكا فحرّكَ بالشكوى عواطفَها
كما تُحَرِّكُ كفُّ العازفِ الوَتَرا
وزاد حتى تمنّتْ كلُّ جارحةٍ
لو أصبحتْ مَسْمَعاً أو أصبحت بَصَرا

رانَ الـهُـيـامُ عـلـى الـصَّـبَّـيْنِ فاعتنقا
لا يمـلِـكـان الـنُّـهـى وِرْداً ولا صَـــدَرا
«وكـــان مــا كــان ممــا لـســتُ أذكـــرُه»
تكفـي الإشـــارةُ أهــلَ الـفِـطْـنـةِ الخَـبَـرا

☆☆☆☆

هــامـتْ بـه وهْـــي لا تــدري لِـشَـقْـوتِـهـا
بــأنــهــا قــد أحــبَّــتْ أرقَـــمَـــاً ذَكَـــرا
رأتـــه خَــشْــفــاً فــأدنَــتْــهُ، فـــراءَ بـهـا
شـــاةً، فــأنـشـبَ فـيـهـا نــابَــهُ نَـمِــرا
مــا زال يــؤمــنُ فـيـهـا غـيـرَ مـكـتـرثٍ
بــالــعــاذِلــينَ، فـلـمَّـا آمــنــتْ كَــفَــرا
جنـى عليـهـا الــذي تَـخْـشـى، وقـاطَـعَـهـا
كـأنَّمـا قـد جـنَـتْ مـا لـيـس مُـغْـتـفَـرا
كـانـتْ وكــان يــرى فــي خـدِّهـا صَـعَـراً
عـنـه، فـبـاتـت تَــرى فــي خــدِّه صَـعَـرا
فـكـلَّـمـا اسـتـعـطـفـتْـه ازورَّ مُـخْـتَـدِمـاً
وكـلـمـا ابـتـسـمـتْ فــي وجـهـه كَـشَـرا
طـال الـنِّـفـارُ و«فـرجيـنـي» عـلـى مَـضَـضٍ
تُجَـــرَّعَ الأنــقَــعَــيْنِ: الــصَّــابَ والـصَّـبِـرا
قــالـت، وقــد زارهـــا يــومــاً، مُـعــرِّضَــةً:
متـى، لـعَـمـرُك، يَـجـنـي الـغـارسُ الـثـمـرا؟
كـم ذا الــصُّــدودُ ولا ذنــبٌ جـنـتْـه يـدي
أرجــو بـك الـصَّـفْـوَ لا أرجــو بـك الـكَـدَرا

تَركتَني لا أذوقُ الماءَ من وَلَهي
كما تركتَ جفوني لا تَذوقُ كَرى
أشْفِقْ عليَّ ولا تَنْسَ وعودَك لي
فإنَّ ما بيَ لو بالصَّخرِ لا نفطَرا
أطالتِ العَتْبَ ترجو أن يَرقَّ لها
فؤادُه فأطالَ الصَّمتَ مُختصِرا
وأخرجتْهُ لأنَّ الهمَّ أخرجَها
وكلَّما أحرجتْه راغَ معتذِرا
وضاق ذَرْعاً بما يُخفي فقال لها:
إلامَ ألزمُ فيكِ العِيَّ والحَصَرا
أهواكِ صاحبةً.. أمّا اقترانُك بي
فليس يخطُرُ في بالي ولا خَطَرا
أهوى رضاكِ ولكنْ إن سعيتُ له
أغضبتُ نفسيَ والدَّيَّانَ والبَشَرا
عنَيْتُ ما ليَ من قلبين في جَسَدي
وليس قلبي إلى قِسمين مُنشطِرا
تُطالبِيني فؤادي وهْوَ مرتَهَنٌ
في كفِّ غيرِكِ، رُمْتِ المَطْلبَ العَسِرا
يكفيكِ أني فيكِ خُنتُ إمرأتي!
ولم يخُنْ قلبُها عهدي ولا خَفَرا
قد كان طيشاً هُيامِي فيكِ بل نَزَقاً
وكان حبُّكِ ضَعفاً منكِ بل خَوَرا
قالت: متى صِرتَ بَغْلاً؟ قال: من أَمَدِ
لا أحسَبُ العمرَ إلاه وإن قَصُرا

يا هولَ ما أبصرتْ! يا هولَ ما سمعتْ!
كادت تُكَذِّبُ فيه السَّمعَ والبَصَرا
لولا بقيَّةُ صبرٍ في جوانبِها
طارتْ له نفسُها من وقْعِه شَذَرا
يا لَلخيانةِ! صاحتْ وهي هائجةٌ
كما تهيَّجَ ليثٌ بابنه وُتِرا
الآن أيقنتُ أني كنتُ واهمةً
وأنّ ما كلُّ برْقٍ يَصحَبُ المطرا
وهبتَ قلبك غيري وهو مِلْكُ يدي
ما خِفْتَ شَرْعاً ولا باليتَ مُزْدَجَرا
ليستْ شرائعُ هذي الأرضِ عادلةً
كان الضعيفُ ولا ينفكُّ مُحتقَرا
قد كنتُ أخشى يدَ الأقدارِ تَصدَعُنا
وكان أجدرَ أن أخشاكَ لا القَدَرا
وصَلْتَني مثلَ شمسِ الأفْقِ ناصعَةً
وعِفْتَني مثلَ جُنحِ الليل مُعتكِرا
كما تعافُ السَّراةُ الثَّوبَ قد بَليتْ
خيوطُه والرُّواةُ المَوردَ القَذِرا
خِفتَ الأقاويلَ بي قد نام قائلُها
هلاَّ خشيتَ انتقامي وهْو قد سهرا
يا سَالبي عِفَّتِي من قَبلِ تهجرَني
أُرْدِدْ عليَّ عَفافي واردُدِ الطُّهُرا
هيهاتَ هيهاتَ ما مِن عفّتي عِوَضٌ
لاح الرّشادُ وبانَ الغَيُّ وانحسرا...

☆☆☆☆

وأقبلتْ نحوَه تَغْلِي مَراجلُها

كأنها بركانٌ ثار وانفَجرا

في صدرها النارُ، نارُ الحقدِ، مُضْرَمةٌ

لكنّما مُقلتاها تقذفُ الشَّرَرا

وأبصرَ النصلَ تُخفيه أناملُها

فراح يركضُ نحو الباب مُنذعِرا

لكنها عاجلتْه غيرَ وانيةٍ

بطعنةٍ فَجّرتْ في صدره نَهَرا

فخَرّ في الأرض جسماً لا حَراكَ به

لكنَّ «فرْجينَ» ماتتْ قبلما احتُضِرا

جُنَّتْ مِن الرُّعبِ والأحزان فانتحرتْ

ما حبَّتِ الموتَ لكن خافتِ الوَضَرا

☆☆☆☆

كانت قُبيلَ الرّدى منسيةً فغدتْ

بعد الحِمَامِ حديثَ القوم والسَّمَرا

تتلو الفتاةُ عِظاتٍ في حكايتها

كما يطالعُ فيها الناشئُ العِبَرا

****

أخت البلجيك[1]

يـا لـوعـةً حـار الـنَّـطـاسـي فـيكِ
كـم يَشـتـكـي غـيـري وكـم أُخـفـيـكِ
إن بُـحْـتُ بـالـشـكـوى فـغـايـةُ مُـجـهَـدٍ
لـم تُـبْـقِ لـي كَـبِـداً فـأسـتَـبْـقـيـكِ
أجـنـايـةَ الـطَّـرْفِ الكحيلِ على الحشا
الـلـه حـسـبـي فـي الـدَّم الـمَـسْـفـوك
مـا فـي الـشـرائـعِ لا ولا فـي أهـلِـهـا
مَـن يَـسـتـحـلُّ الأخْـذَ مِـن جـانـيـكِ
يـا هـذه كـم تَـشْـحـذيـنَ غِـرارَهُ
أوَ مـا خـشِـيـتِ حـدَّهُ يُـؤذيـك
يـا أخـتَ ظـبـيِ الـقَـاعِ لـو أعـطـيـتِهِ
لَـحـظـيكِ صـادَ الـصَّـائـديـه أخـوكِ
روحـي فِـدى عـيـنـيـكِ مـهـمـا جـارتـا
فـي مـهـجـتـي وأبـي فـداءُ أبـيـكِ
رمـتـا فـكـلُّ مُـصـمَّـمٍ ومـقـوَّمٍ
نـابٍ، وكـلَّ مُـسـرَّدٍ وحَـبـيـكِ
الـلـهَ فـي قـتـلـى جُـفـونـكِ إنـهـم
ظـلـمـوا نـفـوسَـهُـمُ ومـا ظـلَـمـوك

---

(١) إيليا أبوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص٤١٢ - ٤١٥.

إن تُبصِريني أتّقي فَتَكاتِها
فلقد أَصولُ على القَنا المَشبوك
كم تجحَدينَ دمي وقد أبصرتِهِ
ورْداً على خدَّيكِ غيرَ مَشُوك
رُدِّي حياتي إنها في نظرةٍ
أو زَفْرةٍ أو رَشْفةٍ من فِيك
لو تنظرين إلى قتيلِكِ في الدُّجى
يرعى كواكبَهُ ويَسترعِيك
والليلُ من همٍّ الصباح وضوئه
حيرانُ حَيْرةَ عاشقٍ مهتوك
لَعجِبتِ من زُور الوشاة وإفكِهمْ
ومن الذي قاسيتُ في حُبّيكِ
حَولِي إذا أرخى الظلامُ سجوفَه
ليلانِ: ليلُ دُجىً وليلُ شُكُوك
تمتد فيهِ بيَ الكآبةُ والأسى
مثلَ امتدادِ الحزْفِ بالتُّحْريك
ما لي إذا شئتُ السلوَّ عن الهوى
وقدرْتُ أن أَسْلُوكِ لا أَسْلوك
فُكّي إساري إنَّ خلفي أمَّةً
مضنوكةً في عالَمٍ مَضنوك
وأحبةً سدَّ القُنوطُ عليهمُ
والخوفُ كلَّ معبَّدٍ مَسْلوك
لا تسأليني كيف أصبح حالُهمْ
إني أخافُ حديثُهم يشجِيك

باتوا برغمهمُ كما شاء العِدا
لا حُزنُهم واهٍ ولا بِرَكِيك
لا يَملِكون سوى التحسُّرِ، إنه
جُهدُ الضَّعيفِ الواجدِ المَفْلوك
تترقرقُ العَبْراتُ فوق خدودهمْ
يا مَن رأى دُرَراً بغيرِ سُلوك
أخذَ العزيزَ الذُّلُّ من أطْواقِه
والجوعُ يأخذ مُهجةَ الصُّعْلوك
قل للمبذِّر في المَلاهي مالَهُ
ماذا تركتَ لذي الأسى المتْروك
أيبيتُ يَشربُ من مَعين دُموعِه
وتبيتُ تَحسوها كعَين الدِّيك؟
ويَروحُ في أطْماره، وتَميسُ في
ثوبٍ لأيامِ الهناءِ مَحوكِ
إن كنتَ تأبى أن تُشاركَه سِوى
نُعْمَى الحياةِ فأنت غيرُ شَريك
يا ضَرَّةَ البلجيكِ في أحزانها
تبكيكِ حتى أمَّةُ البَلْجيك
حُمِّلْتِ ما يُعيي الشواهقَ حَملُه
يا ليت ما حُمِّلتِ في شَانيك
سلَّ البُغاةَ عليكِ حُمْرَ سُيوفهمْ
لا أنتِ جانيةٌ ولا أهلوك
جُنَّ القضاءُ فغالَ حسنَكِ قُبحُه
وأذلَّ أبناءُ الطَّغامِ بنيك

لا أشتكي الدنيا ولا أحداثَها
هذي مشيئةُ ذي المشيئةِ فيكِ
لو أملِك الأقدارَ أو تصريفَها
لأمرتُها فجَرتْ بما يُرضيك
ولو أنها تدري وتَعقِل لانثنَتْ
تَرمي بأسهُمِها الذي يَرميك
إن يفتديكِ أخو الغِنى بنُضارهِ
فَبِدرهَمي وبمُهجَتي أفدِيك
ومنازلُ البؤساء أَوْلى بالنَّدى
ولأنتِ أَولاها بمالِ ذويك

☆☆☆☆

يا أمةً في الغَرْب ينعُم شَطْرها
رِفقاً بشطرٍ بائسٍ مَنْهوك
جادت عليكُمْ، قبلما كنتُم، بكمْ
جودوا ببعض العَسْجدِ المَسْبوك!!

****

هَمْلِت(1)

[السريع]

يــا نــبــأ سُــــرَّ بــه مَــسْــمَــعــي
حــتــى تمــنَّـــى أنــــه الــنــاقــلُ
أنْــعــشَ فــي نــفــســي الــمُــنــى مثلما
يُــحــيــي الجــديــبَ الــواكــفُ الــهَـاطل
عــرفــتُ مــنــه أنّ ذاك الحِــمَــى
بــالــصِّــيــدِ مــن فــتــيــانــنــا آهــل
عِــصَــابــةٌ كــالــعِــقْــدِ فــي «أكـــرنٍ»
يــعــتــزّ فــيــهــا الــفــضــلُ والــفــاضــل
مِـــن كــل مِــقــدامٍ رجــيــحَ الــنُّــهــى
كــالــسَّــيــف إذ يــصــقُــلُــه الــصَّــاقــل
الـــبـــدْرُ مـــن أزراره طـــالـــعٌ
والـــغـــيـــثُ مـــن راحـــتـــه هــامِــل
وكــــلُّ طــلْــقِ الـــوجـــهِ مـــوفـــوره
فـــي بُـــردَتـــيـــهِ ســـيِّـــدٌ مـــاثِــل

☆☆☆☆

شَـبـيـهـةَ الـشـرقِ، اِنـعـمـي واسْـلـمـي
كـــي تـــســلَــمَ الآمــــالُ والآمـــل

(1) إيليا أبوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص491 - 493.

بكُمْ وبالرُّاقينَ أمثالِكمْ
يفتخرُ العالِم والعامل
بعثتُمُ «هَمْلِتَ» من رَمْسهِ
«فَهَمْلِتٌ» بينكُمُ ماثل
يمشي ويمشي الطيفُ في إثره
كلاهما ممّا به ذاهل
لا يضحك السَّامعُ من هزْله
كم عِظةٍ جاء بها الهازل
روايةٌ يظهر فيها لكمْ
كيف يُداجي الصَّادقَ الخاتلُ
وتنكُثُ المرأة ميثاقَها
وكيف يُجزَى المجرمُ القاتل
وإنما الإنسانُ أخلاقُهُ
لا يستوي الناقصُ والكامل
والنفسُ كالمرآةِ إن أُهمِلتْ
يعلو عليها الصدأُ الآكل
والناسُ أدوارٌ، فَذا صاعدٌ
يراودُ الشُّهبَ وذا نازل
والدهر حالاتٌ، فيومٌ بِهِ
نحسٌ، ويومٌ سعدُهُ كامل
فَمَثِّلوا الجهلَ وأضرارَهُ
حتى يُعادي جهلَه الجاهل
ومثِّلوا الفضلَ وآياتِهِ
كي يستزيدَ الرجلُ الفاضل

وصـــــــــوِّروا المــجــدَ بــــلألائِــــهِ
عــســى يُـفـيـقُ الــهــاجــعُ الـغـافـل
ويـــرجـــعُ الـــشَّـــرقُ إلـــى أوْجِـــــهِ
كــمـــا يـــعـــودُ الـــقـــمـــرُ الآفـــل
وابـــنـــوا إلـــى الآتِـــيـنَ مـــن بـعـدِكـمْ
يَــــــبِنْ لمـــن يـخـلُـفـه الـقـابـل
مـــا دمـــتُـــمْ لـلـحـقّ أنـــصـــارَهُ
هـــيـهـاتَ أنْ يـنـتـصـرَ الـبـاطـل

****

عبدالرحمن شكري(1)

شكسبير

«يا معتق الأرواح ما أعتقتها»(2)

جـمـعـتْ عـلـى تـعـظـيـمك الأقـــوامُ
وتـــقـــاربـــتْ فـــي مـــجـدك الأرحــــامُ
مـــا مـــر مـــن عـــام يـــنـــوء بـحـمـلـه
إلا وأعــــلــــتْ شــــأنَــك الأعــــــوامُ
وحُـــبِـــيـــتَ مـــفـــتـــاح المـــســرة والأســـى
والـــهـــولُ يـــعـــجـز وصـــفَـــه الإفـــحـــامُ
دنـــيـــا مـــن الـــقـــول المـــبـــين كـأنمـا
دنـــيـــا الحـــقـــائـــق بـــعـــدهـــا أوهـــام
فـــوصـــفـــتَ فـــيـــه أعـــالـــيًـــا وأســـافـــلا
شـــغـــلَـــتْ نـــهـــاك أخـــامـــصٌ والـــهـــام

(1) عبدالرحمن شكري (١٣٠٤ - ١٣٧٨هـ = ١٨٨٦ - ١٩٥٨م)، أحد أبرز رواد الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، سافر إلى إنجلترا مبتعثًا بعد أن تخرج من مدرسة المعلمين العليا لتلقي تعليمه العالي في جامعة شيفلد (١٩٠٩ - ١٩١٢م)؛ وهو المؤسس الحقيقي لمدرسة الديوان. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٧٦/١٠.

(2) عبدالرحمن شكري، المؤلفات النثرية الكاملة، ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مج٢ ص٥٥٤ - ٥٥٥.

وملكت أجناد الخيال تقودها
للحق فهي نظائر خدام
جوّابُ آفاقِ القريضِ وبحرِهِ
فيه السرائر درة تُستام
مثلتْ أمامك ياممَلُّكَ أمرِها
كهلٌ وطفلٌ سيدٌ وغلامُ
وَسَلَلْتَ من قُبْح الحياة جمالها
سحر القريض على الحياة وسام
فجمعتَ بين جميلِهِ وجليلِهِ
وتقاربتْ في بعدها الأنغام
زدتَ الزهورَ نضارةً وعلا على
مرأى العظيم بوصفك الإعظامُ
وأعدتَ ما طوتِ الدهورُ كأنما
لم تغيرُ الأزمان والأقوام
كالضوء في الأفق البعيد يصونها
من بعد ما عبثت بها الأيام
بل بذّ منه صيانةً في موجهِ
قلم لديك مرجَّبٌ قَلاّمُ
جحدوك علمًا كي تزاد فطانة
عنتًا وأنت الباحث المقدام
ما شأن قولك إنه متردَّدٌ
في السمع يؤلف وقعه ويرام
من جدة أبدية ما إن لها
نقصٌ ففيضُ مياهها فعام

لقحتْ عقولٌ من مقالِكَ ربما
جهلتْكَ أنك لاقح قوام
كحبوب مُتْك الزهر تخصب ميسمًا
وكأنّ سعْيَ لقاحها استكتام
أعتقتَ أرواحَ السورى من جهلها
(باموري) والجاهل الأثّام
يا معتق الأرواح ما أعتقتها
من طبعها وقضاؤه مقحام
عظُمَتْ حياةً أن يُراض مصيرُها
أو أن يُحدَّ مرادها ونظام
والنسل يكثر والحياة حريصةٌ
تحيى الحياة إذا أباد حمام
والناس كالقول المعاد كأنما
عود الأمور فريضة وقوام
والخلق عدوى لا الفهيم بمأمنٍ
من صولها كلا ولا العلام
طبع الأوائل في الأواخر حاكمُ
مهما استسر وقدوة وإمام
والحمد للمنصور حول ركابه
تعنو القلوب وتخشع الأفهام
كم ظافرٍ بالحمد لولا نُجْحُهُ
لم يَغْدُ وصف فعاله الإجرام
والنفس تنسى ما ترى نسيانَهُ
زينًا لها فبيانُه إعجام

عبَّأتَ مآثمها لكاهلِ غيرِها
ومضَتْ وما تعتاقها الآثام
والنفس تكره حين تُظلم أن ترى
من عذُبَتْهُ وما له لوّام
والحق ما تهوى فميزانٌ لهُ
في فهمها حب لها وغرام
والمحض مردود إذا ما لم يكُنْ
شغفٌ يَعُزُّ نضاره وهيام
والدرهم المغشوش يغني غنيةً
إن لم يمزْهُ الصيرفِي الفهّام
ورسالة القول المبين علالةٌ
أمل يعيش به الورى وحسام
ورأى حجاك من الحياة تمردًا
سحر الخيال خطامه ولجام
بالسحر قد بدأ الأنام حياتَهُمْ
وبحثت ثم سكت وهو ختام
شفق الأصيل وفي مقالك مثلُهُ
للسحر في وهجانه إفحام

****

كلمة في الشاعر بيرون[1]

تقول قولًا فتُذْري الدمع من شجنٍ
كأن قلبك مدلول على العِبَرِ
ألبستَهُ من سواد الحزن ضافيةً
فخلتها من سواد القلب والبصر
فكرٌ كأن ملاك الوحي يسعدُهُ
مُوَكَّلٌ بصروفِ الدهر والغِيَرِ
إذا ظفرتَ بمعنى كان موقعُهُ
ألذُّ من وقعاتِ النجح والظفر
قد اجتبيت من الآراء أشرفَها
حتى كأنك معنى الصدق في الخبر !

****

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري، مراجعة وتقديم فاروق شوشة، ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م: ١/ ١٠٠. وجورج بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤م) شاعر إنجليزي من أعلام الاتجاه الرومانسي.

أبناء الشمال[1]

(الآريون)

إن أبـنـاء الـشـمـالِ
عـمّـروا الأرض وصـالـوا
ورثـوا المـلـك جـمـيـعًـا
كـل مـن يـسـعـى يـنـالُ
إن لـلـمـلـك اعـتـزازًا
لـيـس يـدنـيـه اتـكـال
فـلـهـم فـيـه فـلاحٌ
ولـهـم فـيـه مـجـال
عـمـروا الأرض ونمـنـا
داؤنـا الـداء الـعـضـال
ولـهـم فـي الـكـون عـرشٌ
قـيـمـة الـعـرش الـرجـال
كـل شـيء لـهـمُ فـي الـ
ـعـيـش مـبـذولٌ حـلال
حـزّم الأمـر عـلـى الـعـا
جـز لا يـخـدعـك آل
إنمـا الـقـدرة إيمـا
ن وآمـال ومـال

☆☆☆☆

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري: ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢.

إن أبـــنـــاء الـــشـــمـــالِ
عـــمـــروا الأرض وصـــالـــوا
ورثـــــوا الـــعـــزم جـمـيـعًـا
مـــا عـــرا الـــقـــوم مـــلال
هـــم لـــداعـــي الـــســـعـــي والآ
مـــال عُـــمَّـــالٌ عِـــجَـــال
تـــعـــرف الـــبـــيـــداء مـسـعـا
هـــم وتـــنـــبـــيـــك الجـــبـــال
ويـــبـــطـــن الأرض مـسـعـى
ولـــــدى الجـــــو مـــنـــال
ســـل أقـــاصـــي الأرض تـخـبـر
عـــظُـــمـــتْ تـــلـــك الـــفـــعـــال
هـــل تـــنـــبـــى عـــن جـــلال الـــ
ـــنـــفـــس لـــلـــنـــفـــس جـــلال
بـــيـــديـــهـــم لجُـــــمُ الأقــــــ
ــــدار يـــجـــريـــهـــا الـــصـــيـــال
يـــركـــض الـــدهـــر لـــديـــهـــم
مـــثـــلـــمـــا شـــاء الـــرجـــال
مـــن ثـــمـــار الـــقـــدرة الـعـلـ
ـــم وفـــي الـــعـــجـــز الـــضـــلال
عـيـشـهـم كـالـنـهـر يـجـري
فـــهـــو حـــال ثـــم حـــال
كـــل يـــــوم فـــي جـــديـــد
كـــشـــفـــتْ عـــنـــه الـــفـــعـــال

وجــــديـــــد المــــــــرء يــبــلــيـــ
ـــــه ويـــفـــنــيـــه ابـــتــــذال
ويـــــكــــــاد الـــغـــيـــب يــبــدو
لـــــــهــــــمُ مـــــنـــــه المـــــآل
عـــــرفـــــوا الـــعــيـــش فــــفـــازوا
إنمــــــا الــــعــــيــــش قــتـــال
إنمــــــا الـــعـــيـــش طـــمـــوحُ
واعــــــتـــــــزام واحــــتـــيـــــال
بـــــين عـــجـــز وافـــــتـــــدارٍ
ضـــــاق بـــالــعـــجـــز المـــجــــال
إنمـــــا الـــعـــجـــز هـــــو الـــذلْـــ
ـــــلُ إذا اشــــتـــد الـــنـضـــال
قـــيـــمـــة المـــــــرء مـــســـاعـــيــ
ـــــه إذا عـــــز المـــــنـــــال

☆☆☆☆

إن أبـــــنـــــاء الـــشـــمـــالِ
عـــــمــــروا الأرض وصـــــالـــــوا
لـــــم يَـــــرُعْـــــهُــــمْ فــشـــلٌ إنْ
ثـــبـــط الـــــغــــــرَّ المـــطـــــال
بـــــذلــــوا الـــنـــفـــس لـــيـحـــظـوا
إنمــــــــا الــــبـــــذل نـــــوال
قـــــد بــــــروا أهــــــل الجـــمـــودِ
مـــثـــلـــمـــا تـــــبــــرى الـــنـــعـــال
ويــــــل أبـــنـــــاء الجــــنـــــوب اعـــتـــ
ـــتـــز بـــالمـــلـــكِ الـــشـــمـــال

****

حنين غريب[1]

ابـــغِ فـــي مـــصـــر آمـــرًا بـالـتـأسـي
وتـمـــهـــل وانـــظـــر أمـــاكـــن أنـــســـي
خـذلـتـنـي فـقـمـت أنـشـد حـظـي
فـــي ســـواهـــا فـكـان مـــورد نـحـسـي
أنـشـقـونـي نـسـائـم الـنـيـل إنـــي
لـعـلـيـل والـنـيـل حـاجـة نـفـسـي !
مـــن مـعـيـنـي عـلـى خـــواطـــر إمـــا
طـرقـتـنـي أغـــرت هـــواي بـأمـسـي
حـيـث وجـه الـنـهـار يـضـحـك بـالـبشـ
ـــر فـــيـــروي ظـمـــاء زهـــرٍ وغـــرس
أنـــا فـــي بـــلـــدةٍ يـمـــر بـهـا الـدهـ
ـــر حـزيـنًـا لا يـسـتـضـيء بـشـمـس
فـهـي مـثـل الـسـجـن الـعـبـوس نـهـارًا
قـد رمـتـنـي فـيـهـا الـخـطـوب بـيـأس
لـبـسـت فـوقـنـا الـسـمـاء حـــدادًا
فـكـأن الـسـمـاء قـبـة رمـــس !

****

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري: ١٨٦/٢.

محمود الخفيف[1]

النسر المهيض[2]

[بونابرت]

حلمك القيصريُّ كيف تقضّى
أيها الساهم الملقَّى الهوانا
شاق عنك القضاء طولًا وعرضًا
وتعاليتَ لستَ تحفل بغضا
لا ولا كنت أمس تحفِل حبًّا
لبني الطين أو تهاب الزمانا
كنت بالأمس الامبراطور تُدْعَى
بعد نعت بالكُرْسَكِيّ الصغير
تتهاوى ألقاب مجدك صرعى
وترى من والوك كرهًا وطوعا
بين راثٍ وشامت يتشفَّى
في مصير ما مثله من مصير

(١) محمود الخفيف (١٣٢٧ - ١٣٨١ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٦١م) شاعر مصري، تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣١م؛ واشتغل بالتدريس، وغيره من الوظائف الإدارية. سافر إلى إنجلترا عام ١٩٥٥م في بعثة لإعداد المعلمين. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٩/٥٠٧.

(٢) محمود الخفيف، مجلة الرسالة، عدد ٣٥٠، تاريخ ١٨/٣/١٩٤٠م: ص٥٠١ - ٥٠٢.

لم تر الأرض مثل عقباك عقبى

هل رأت مثل ما بلغتَ ارتقاء

نِلْتَ ما نلتَ من زمانك غصبا

لم تجد في الحياة سهلًا وصعبا

ثم حلَّقْتَ تبتغي غير وانٍ

أيها النسر، أن تنال السماء

قُضيَ الأمر هل رضيتَ القضاءَ

أيها اللاعب المهيض الجناحِ

كيف ترضى وما عرفتَ الرضاءَ

مرةً أمسِ أو عدمْتَ الرجاءَ

أيها الواجم العبوس تلاشت

خُدَعُ الحُلْمِ في يقين الصباح

قد تزيَّدْتَ في غرورك حتى

كِدْتَ تُنْمَى لغير هذا الوجودا

وتَأَتَّى مِن زُوره ما تأتى

فتغابيْتَ في مواطنَ شتى

لشجاني برغم ذلك مرأى

شبح الذل في العقاب الصيود

تَصِفُ العين في محياك خوفًا

وابتئاسًا وذلةً وانكسارا

لا يوفِّيكَ غير مرآك وصفًا

عُدْتَ كالناس بل لقد زدتَ ضعفًا

ليت شعري يا من هزمت المنايا

كيف تحيا؟ هل تستطيع اصطبارا

بـهـر الـنـاس فـي صـعـودك بـرقٌ
لـم يـروْا فـي سـنـاه مـنـك الـعـيـوبـا
كـل إفـنٍ أرَدْتَـهُ فـهْـو حـقٌّ
وتـحـدِّي الـزمـان عـنـدك سـبـقُ
تشـفـق الـعـين أن تـرى الشـمـس حتى
تـتـراءى لـهـا تـريـد الـغـروبـا
كـم تـرى الـعـين فـي غـروبـك مما
يمـلأ الـقـلـب مـن شـتـيـتِ المـعـانـي
أنـت فـي الأرض مـن بنـي الأرض مهما
مـلأتْـكَ الحـيـاة وهـمًـا وعـزمَـا
عـبـقـريّ الحـروب، كـم كـنـت تـبـدو
أمـسِ كـالـطـفـل أطـمـعَـتْـهُ الأمـانـي
رحـت كـالـطـفـل لاعـبًـا بـالـعـروشِ
لـعـبًـا حـار جـنـدُ عـرشـك فـيـه
الـنـجـيـع الـصـبـيـب أبـهـى الـنـقـوشِ
والـدمـى مـن أسِـرَّةٍ ونـعـوشِ
كـرةُ الأرض بـين رجـلـيـك حـيـرى
والمـنـايـا تجـري بمـا تـشـتـهـيـهِ
ويـك! قـد كـنـت كـالـشـهـاب الْـتـمـاعـا
وسـنـاء وروعـة وانـطـلاقـا
كـلـمـا زاد فـي الـسـمـاء ارتـفـاعـا
وتـبـدَّى لـلـعـين أبـهـى شـعـاعـا
ومـضـى يـخـطـف الـعـيـون سـنـاه
لـم يـزده المـضـاء إلا احـتـراقـا

أشبهَتْ ملكك الفقاقيع معنى

وبذاءً وبسطةً وفناء

بهرج المجد كان زورًا وإفنا

وبريقًا يكسو الفقاقيع حسنا

وهي مثل الهواء أو هي أوهى

وهي كالبرق ومضة وانطفاء

****

مصطفى عوض الكريم(1)

غريب(2)

ولا سـلـوى بلـنـدن عـن ... بـلاد كـلـهـا سـحـرُ
فـوا ظـمـئـي لـمـاء الـنـيـ ... ـل وهـو الـسـائـغ الـثـرُّ
فـأيـن بـلاديَ الـحـسـنـى ... وأيـن ظـبـاؤهـا الـعـفـرُ
وأيـن شـواطـئ الـوادي ... يـرف بـروضـهـا الـزهـر
وهـل لـي أن أمـر بـأر ... بـعٍ يـسـمـو بـهـا الـطـهـر
وألـثـم فـي ربـى الـسـودا ... ن تـربًـا دونـهُ الـعـطـر
وأجـلـس فـي ظـلال الـنـخـ ... ـل يـسـقـط حـوليَ الـتـمـر
كـأنـي تـحـتـهـا كـسـرى ... وأن غـلامـيَ الـدهـر
أنـا فـي مـعـشـرٍ كـالـنـمـ ... ـل لا يـدركْـهُـمُ حـصـر
أنـاس لـسـت أفـهـمـهـمْ ... يـلـوح عـلـيـهـم الـمـكـر
أرى شـيـئًـا فـيُـحـنـقـنـي ... فـألـقـاهـم بـه سُـرُّوا

---

(1) مصطفى عوض الكريم (١٣٤٢ - ١٣٨٢ هـ = ١٩٢٣ - ١٩٦٢ م) شاعر سوداني حصل على درجة الدكتوراة من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن عام ١٩٥٩م، وعمل بعدها استاذًا للأدب الأندلسي بجامعة الخرطوم. صدر له علاوة على مؤلفاته الأدبية ديوانًا وحيدًا بعنوان «السفير» عام ١٩٦١م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢٠/ ٣٧٩.

(2) مصطفى عوض الكريم، السفير، ط ١٩٩١م: ص٣٠ - ٣٢.

معاشرُ مثلما شاءتْ   طبيعة أرضهم زهر
ولكن بين أضلعهِمْ   قلوبًا دونها الصخر
تراقبني عيونهُمُ   كأني عندهم سر
وحيَّرَهُمْ سواد اللو   ن في جسمي فلم يدروا
فمنهم قائل: شخصٌ   يغطي جسمه الحبر
ومنهم قائل: «بل سا   حر غيَّبه السحر»
ومنهم قائل: «بل أبـ   ـيض أحرقه الجمر»
فقلت لهم: «من السودا   ن إنسان ولا فخر
فقالوا لي: وما السودا   ن؟ قلت: «فإنه قُطْرُ»
وخط الإستواء جنو   به، وشماله مصر
وفيه النيل لم يعرفْ   بمثل بهائه نهر»
فقالوا: إنه يهذي   فما النيل؟ وما مصر؟
وخط الاستواء كذا   ك أمرٌ قاله نكر
لحاها الله دنيا لا   يُنال لبحرها غور
تطيل الهم في قلب   المحب فيقصر العمر
يمر اليوم بي دنفًا   ويتلو شهريَ الشهر
أقول لعلها الأحلا   م تنأى إن أتى الفجر
فَعِلَّةُ مهجةٍ كانتْ   يروح بفضلها الضر
وقلبٌ طالما قد ضا   ق دون نضاله الصدر
فيطرد هذه الأحلا   مَ هذا الواقع المر
متى ألقاك يا ليلى   وثغر الدهر مفترُّ
دعوتُكِ دعوةَ المضطرْ   رِ لمَّا ضاق بي الأمر
فلبى دعوتي طيفُ الـ   ـخيال وبيننا البحر

وصحراءَ تَضَلُّ سبيـ ـلها فيها القَطَا الكُدْر
وليس يهمني سود ولا بيض ولا حمر
عَلَيَّ إذا رجعتُ إليـ ـك يا محبوبتي نذر
بأن أبقى لديك فلا يفرق بيننا الدهر

****

الرتيرو[1]

وخميلة سَكِرَ الندامى بالهوى
في ظلها لا بابنة العنقودِ
مشمولة قد رفرفَتْ أطيارها
فوق الغصون وجُدْنَ بالتغريدِ
وتفتحَتْ أكمامُها وتمايلَتْ
أغصانُها فحَكَتْ قدود الغيد
رق النسيم بها وداعب أوجَها
مسحورةً من أعين وخدود
والناس في الحلل الموشى رقمها
فكأنما انتشروا صبيحة عيد
سلكَتْهُمُ كفُّ الأصيل لآلئًا
منظومةً من توأم وفريد
سجدوا لآلهة الهوى والطيب والـ
ألحان والألوان أي سجود
وتعددتْ أربابهم وهم الألى
دانوا لرب العرش بالتوحيد

****

(١) مصطفى عوض الكريم، السفير: ص ١٢٣. والرتيرو منتزه سكان مدريد.

عبدالقادر رشيد الناصري[1]

شهرزاد مدريد[2]

عبرَتْ بي، وهي شقراءُ لها وجهٌ صبوحُ
في مساء تعبق الفتنة منه وتفوح
شاعريُّ الظل، مخضلٌّ، له النور مسوح
قلت: يا ضاحكة العينين! ماذا لو أبوح؟
أنا، لو تدرين، قلب بهوى الغيد جريح
شاعر طوَّف في الأرض فأشقاه النزوح
سئم القيد ببغداد وأدمتْهُ الجروح
فأتى باريسَ في ظل الأماني يستريح

☆☆☆☆

(١) عبدالقادر رشيد الناصري (١٣٣٩ - ١٣٨٢ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٦٢ م) شاعر عراقي، انقطع عن الدراسة عام ١٩٣٣م، وعكف على تثقيف نفسه ذاتيًا؛ إلى ان اوفد إلى باريس لإكمال دراسته عام ١٩٥٠م، غير انه عاد بعد عدة اشهر نتيجة تقلب الاحوال السياسية على نحو افضى به إلى حال متدهورة. عثر على جثته ميتًا في احد شوارع بغداد. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج ١١ ص ٥٣٥.

(٢) عبدالقادر رشيد الناصري، ديوان عبدالقادر رشيد الناصري، جمعه وطبعه كامل خُمَيِّس، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٥م: ج١ ص ٣٤-٣٦.

فـــرأى حـلـمَ لـيـالـيـه بـعـيـنـيـك فـهـامـا

وتـسـامـى نـغـمًـا يـشـرق بـالـحـب ضـرامـا

☆☆☆☆

ووقـفـنـا نتملى «الـسـين» والـلـيـل سـكـونُ

الـثـرى سـحـرٌ، ونـور القمر الظامي حنينُ

عُـرُسٌ، فـالـورد والأنـسـام رقـص ولـحـون

وعـذارى الـشـهـب في حـاشـيـة الأفـق عـيـون

فـتـعـانَـقْـنـا بـروحـيـنـا وهـزَّتـنْـا الـشـجـون

وهـتـفـنـا: لمـن الـصـهـبـاء والـلـحـن الحـنـون؟

هـا هـنـا يـحلو لـعـشـاق الـلـذاذات الجـنـون

فـهَـلُـمِّـي نـتـعـاطـاهـا فـدنـيـانـا فـتـونُ

☆☆☆☆

مـا عـلـى مـغـتـربـي دارٍ بـبـاريـس أقـامـا

إن أحـالا الليل جـامًـا والمسـرات مـدامـا؟

☆☆☆☆

وانـتـحـيْـنـا حـانـةً تـحـكـي أسـاطـيـر الليالي

السنى في جوها الصاخب شرقي المثال

وانـدفـعـنـا بـين حـشـد مـن نـسـاء ورجـال

يـتـسـاقـون عـلـى نـخـب لـيـالـي «الـكـرنـفـال»

قلت: يـا مـلـهـمـتي الـشـعـر ويـا وحـي خـيـالي

انزعيها من جنى «بوردو»(١) ومن تلك الدوالي

خـمـرة تـكـشـف للـشـاعـر عـن سـر الجـمـال

---

(١) بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون بالقرب من مصبه جنوب غرب فرنسا.

ما علينا لو أذبنا الروح في نار الوصال
أنت يا زهرة مدريد ويا زهو الدلال:

☆☆☆☆

عيدَ أفراحي، وعطري، ومدامي، والندامي
قرِّبي ثغركِ أسكبْ فوقه روحي هياما

☆☆☆☆

قالت: اشرب قلت: (سنيورا) اشربي نخب لقانا
لا تقولي قد خلا الحان ولم يبق سوانا
الهوى العاصف لا يعرف للنجوى مكانا
نحن أغرودةُ حبٍّ ردَّدَ الدهر صدانا
ما علينا لو ختمنا بدم القلب هوانا
حسبُنا أنا احترقنا في جحيمٍ من أسانا
قَدَرٌ نَادَى، وقلبان أجابا من دعانا
فعسى نبعث ذكرى «شهر زاد» والزمانا

☆☆☆☆

وتلاقت شفتانا ساعة كانت مناما
أَمَرَ الحبُّ فكنا في فم الدنيا ابتساما

****

محمود شوقي الأيوبي(١)

الغرب الجائر(٢)

يــا رب إن الـــــداءَ داءٌ مــوجِـعُ
بــربــوعــنــا والــلــيــل لــيــلٌ أَسْــفَــعُ
يــا رب إن (الــغــرب) شــذَّ بــجــورهِ
وعــلـــى هـــوى (أذنــــابـــه) يــتــشــيــع
هـــذا (يـــهـــوديٌّ) وذلـــك (خـــائـــنٌ)
والــكــل فــي الــوطــن المــعــذب يــفــزع
أنــى نــظــرْتَ إلــى الــربــوع وجــدتَ من
ظــلــل المــصــائــب والــــردى مــا يُــفــجــع
بــعــض إلـــى شــهــواتــه مــتــحــفــزٌ
مــتــكــالــبٌ عـــن غـــيِّـــهِ لا يــرجــع

---

(١) محمود شوقي الأيوبي (١٣١٩ - ١٣٨٦ هـ = ١٩٠١ - ١٩٦٦م) شاعر كويتي تتلمذ بالمدرسة المباركية ثم التحق بدار المعلمين ببغداد وأنهى دراسته بها عام ١٩١٧م؛ اشتغل بالتدريس في العراق والكويت وأندونسيا ونشر الثقافة العربية وعمل بها طيلة إحدى وعشرين سنة حتى عاد للكويت عام ١٩٥٠م. أصدر عددًا من الدواوين الشعرية، أولها «رحيق الأرواح» ١٩٩٥م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٩/٦٩١.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ط١ الكويت ١٩٦٩م: ص٣٧٧ - ٣٧٨.

والـغـرب لاسـتـعـبـادنـا لا يـنـتـهـي
مـن جـوره، يـزجـي الخـطـوب ويـصـفـع
والـبـعـض مـنـا وهْـو سـيـد قـومـهِ
يـمـشـي مـع المـسـتـعـمـريـن ويـخـنـع
حـاشـا الأبـاة الـثـائـرون فـإنـهُـمْ
عـنـد الـعـروبـة نـورهـا المـتـشـعـشـع
بـهـمُ تـعـز مـحـارمٌ ومـواطـنٌ
ولَـهُـمُ إذا حُـمَّ الـقـضـاء المـرجـع
هـم بـيـضـوا تـلـك الـوجـوه وسـجـلـوا
صـحـف الخـلـود بـصـنـعـهـم وتـرفـعـوا
هـذي مـآثـرهـم تـهـلـل فـي الحـمـى
وبـكـل قـلـب ضـوؤهـا يـتـجـمـع
وشـبـابـهـم فـي الـدهـر ثـورة شـعـبـنـا الـ
ـعـربـيِّ عـنـد جـلالـه نـتـخـشَّـع
مـجـدٌ بَـنَـى شـهـداؤنـا أبـراجَـهُ
فـيـهـا مـحـاريـبُ الـعـبـادة تـلـمـع

****

أحمد خيرالدين(1)

على شاطئ «نيس»(2)

هـنـا تـرقـد الـشـمـس وقـت الأصـيـلِ
وتـسـتـيـقـظ الأعـيـن الـسـاحـرةْ
هـنـا هـيـكـلُ الـحـبِّ، عـشُّ الـغـرامِ
هـنـا مـسـبـحُ الأنـفـس الـشـاعـرة
عـلـى شـاطـئ «نـيـسَ» حـيـثُ الـعـذارى
يُـحَـيِّـيـنَ بـالـبـسـمـةِ الـفـاتـرة
تَـرَاهُـنَّ يمـرحـن مـثـل الـظـبـاءِ
ويـخـطـرن فـي الحـلـل الـسـاخـرة!
مـن الـشـمـس يـنـسـجـن ثـوبًـا عـجـيـبًـا
بـه يـتَّـقـين لـظـى الـهـاجـرة
....
....

(1) احمد خيرالدين (١٣٢٤ - ١٣٨٧هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧م)، شاعر تونسي درس بجامع الزيتونة، واشتغل بالتعليم وبالإذاعة، وكانت له عناية واضحة بالمسرح والترجمة. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٥٥٨/٢.

(2) احمد خيرالدين، ديوان واغاني احمد خيرالدين، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨١م: ص ١٣٨ - ١٣٩. ونيس مدينة متوسطية وهي عاصمة الريفير الفرنسية المشهورة في جنوب شرق فرنسا.

وتندى من الحر أجسادهن
كمثل ندى الزهرة العاطرة
تلفعن في (ثوب حَوّاءَ) كي لا
تُرى بيننا غادةٌ سافرةْ
خلعن الشفوف فَخِلْتَ الورود
تُفَتِّقُ أكمامها الناضرةْ
وأسرعن لِلْيَمٍّ وهو غضوبٌ
يعانقن أمواجه النافرة
ويرقصن رقصا خليعًا بديعًا
كمن جُنَّ بالنغْمة الساحرة!
وهُنَّ اللآلي بدورُ الليالي
ولغزُ الجمال، لدى السامرة
وطورًا تراهن مستلقياتٍ
يناجين بالهمسة الحائرة
إطارٌ من الشَّعر قد ضم (بدرًا)
تداعبه نسمةٌ عابرةْ
جسوم تمرغ فوق الرمال
من الشوق (كالحية) الثائرة!
فتنفق إذ ذاك سوق التجني
وتنبعث البسمة الماكرة
ملاكُ سلام، قصيدُ هيام
وشيطانُ يُلْهِي عن الآخرة!
وتصبح صفرَ اليدين وحيدًا
بعيدًا عن (الظبيةِ النافرة)

وإن بتَّ يُضنيك (داءُ الهوى)

فأجدى دواءٍ هو (الطائرة)!

☆☆☆☆

أخا الشعر إن رُمت تَحيا هنيئًا

وتخلدُ كالمُثُلِ السائرة

فلذ (بالطبيعة) وانشد جمالا

طهورًا لدى (الزهرة الطاهرة)!

ورفرف بروحك - روح الشعور -

على كل زنبقة ناضرة!

ولا يخدعنْكَ ابتسامُ الغواني

وإياك والغادة الفاجرة

فلا عيب في (نيسَ عُشِّ الجمالِ)

سوى العيشة الحرة الفاخرة!

وتلك الدواهي (نجوم الملاهي)

وكل (عجوزٍ) تُرى سافرة!

****

الأخطل الصغير[1]

الحرب بالكلمات[2]

نحن في لبنان

طُلْتَ يا ليليَ أو لم تَطُلِ
مثلك الفجر الذي سوف يلي
أيها الليل استطِل مهما تشا
وتحكم يا كرى في المقلِ
ما يفيد النور في إشراقِهِ
إن يكن أُطفِئَ نورُ الأملِ
أنا، مهما تطرد الشمس الدجى،
لا تزل نفسي بليلٍ أليل
أعشق الليل وما لي والضحى
عشت يا ليل: ألا فانسدل

---

(١) بشارة عبدالله الخوري (١٣٠٣ - ١٣٨٨هـ = ١٨٨٥ -١٩٦٨م) شاعر لبناني كبير عرف نفسه إلى قراء الشعر العربي بلقب الأخطل الصغير بعد أن وقَّع إحدى قصائده بهذا الاسم المستعار. أصدر صحيفة البرق، وصار نقيبًا للصحفيين اللبنانيين ومثل بلاده في عديد من المؤتمرات الأدبية، وبويع بإمارة الشعر سنة ١٩٦١م. وكرمته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين بأن أقامت دورتها السادسة ببيروت ١٩٩٨م باسمه ودارت ندوتها الأدبية حول فنه الشعري وأصدرت على هامشها طبعة كاملة لإبداعاته. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٣٠/٣.

(٢) الأخطل الصغير، الديوان الكامل إعداد سهام أبوجودة، ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت/ بيروت ١٩٩٨م: ج٢ ص١٦٤ - ١٧٤.

انسدِلْ تحجبْ عن الطرف الشقا
يا لطرفٍ بالشقا مكتحل
لا يرى، إذ تطلع الشمس، سوى
سائل أو عاجز أو وكلِ
عصف الفقر بهم، فانتشروا
كانتشار الوابئ المستفحل
يلهمون العشب من جوعِهِم
ويحهم ما تركوا للهملِ؟
بجسوم هزل، تحملها
بعباء واهيات الأرجل
ووجوه، كَتَبَ الموتُ على
صفحتيها: هذه الأوجه لي
صدق الموت بما قد قاله
ما ترى أشلاءهم في السبل؟

☆☆☆☆

الدول العظمى

دولةَ الماءِ، ولا تجري إذا
لم تشائي، قطرة في جدول
هو ذا النجمُ قريبٌ فاعتلي...
ما على الأسطول من أسطولِهِمْ
أيخاف البازُ شرَّ الحجَلِ؟

☆☆☆☆

ذكر «السين» عهودًا للتي
تيمت مهجتَهُ وهو خَلِي

فـــإذا بـــالـــنـــار فـــي أحـــشـــائِـــهِ
وإذا بـــالجـــرح لـــم يـــنـــدمِـــلِ
فـمـشـى يـقـسـم أن لا ينثني
عـــن لـقـــا «ألـــزاســـه» أو يُـقـتـل
فَـلْـتَـكُ «الألـــزالـــس» يـــا «ســـينُ» لـهـم
إنمـــا المـــلـــك لـــرب الأزل
لـــك عـــرش الـعـلـم فـــي أُبْـــهَـــتِـــهِ
ولـــه سـلـطـانُـــهُ فـــي المِـلـل
حـلـم الـقـيـصـر أن يـرفـعـهـا
دولـــة «لـلـسَّـلْـفِ» فـــوق الـــدول
واسـتـلـذ الحـلـم...فـاسـتـعـجـلـه
بـالـظـبـى الـبـيـض وسُـمـر الأسَـلِ
عـقـت «الـبـلـغـار» والحـلـم قـضـى
وتـلاشـى فـي شـهـور الحَـمَـل

☆☆☆☆

قـيـصـرَ الـــروس، ولـــم يـحـلُـمْ بمـا
حُـــزْتَـــهُ تـــاجُ الـــمُـعـمٍّ المـخـول
لـــك نـصـف الـــنـــاس، لـــو تـنـهـضـم
كـانـت الأمـــلاك بـعـض الخـول

☆☆☆☆

إيـــه «غـلـيـوم» اسـتـزد مـن حـشـدهـا
واسـتـبِـح أبـنـاءهـا واسـتـرسـل
إنمـــا الأمـــة لـلـجـيـش... وقـد
رَضِـيَـتْ فـاضـرب بـهـا واسـتـبسـل

وَمُـــرِ الــمَـغْـمَـلَ فــي تسليحها
هــو يُــدعــى مـعـمـلٌ: فـليعمل
وامـــلأ الـبـحـر سـفـيـنًـا، والـفـضـا
«زبـلـيـنًـا»...ســاء فـــأل الأعـــزل
ومـتـى يـنـهـضْ عـزيـزٌ فـــازْدِهِ
ومـتـى يـجـهـل مـلـيـكٌ فـاجـهـل
نم عـلـى صـهـوتـه أو لا تـنـم
وانـطـلـق مـثـل الـنـسـيـم المرسـل
تـرتجـي أن تـصـبـح الـكـف، وأن
تـصـبـح الأمـــلاك بـعـض الأنمـــل
أمـــل نـاجـزتـهـم مـــن أجـلـــه...
ولـقـد يُـــردى الـفـتـى بـالأمـل

☆☆☆☆

«فنون» الحرب

لـيـتـنـا فـي الـكـهـف، حـتـى يـنـقـضـي
- لا شـفـاه الـلـه - جـهـلُ الـدول
سـعـروهـا. لـو أصـابـت جـبـلا
راســخًــا، لانـهـد ركـــن الجـبـل
أو أصـابـت جـحـفـلًا، مـا تـركـت
رجـــلاً حـيًّـا بــذاك الجـحـفـل
تـــارة وجــه الـثـرى حـربُـهُـمُ
وأحـــايـــين تـــراهـــا مـــن عَـــلِ
تـقـذف الـنـار مـنـاطـيـدهـم
كـانـقـذاف الـنـيـزك المشـتـعـل

تسبق الطير إذا سابَقَهَا

ويهي الطير ولما تزل

وإذا ما سَعَّروها في الدجى

وترقُّوا للسِّماك الأعزل

وترامَوْا باللظى واشتعلوا

وتهاووا كالقضاء المقبل

خِلْتَ أن النجم في عالمه

بات في كارثة لا تنجلي

سعَّر الحربَ فنادى المشترى

يالِثارات العلى من زحل

وبدا «الليث» على أنيابه

قطرات من دماء «الحمل»

بدع، لو لم تُشَاهَدْ، حُسِبَتْ

من أساطير الشعوب الأول

ورموا بالغاز قتالًا، فإن

ينتشر ينشر حبال الأجل

تحسب الجيش، وقد نُشِّقَهُ،

أخضر السنبل تحت الشمأل

يأخذ الفيلق إذ يبكمه

ولقد يأخذه بالخبل

ولقد ينساب في أنفاسه

مثلما انساب دم في مفصل

ولقد يتركه ذا صمم

ولقد يتركه ذا شلل

عـــدد، كـانـت لـتـشـفـى عـلـلاً،

صـيـروهـا لاخـتـلاق الـعـلـل...

ولجـوا بـطـن الـثـرى، فـهـو بـهـم

جـبـهـة الـلـيـث وحـد المـنـصـل

بـل عـريـن يـبـعـث الـهـول بما

ضـم مـن لـيـث ولـيـث مـشـبـل

تـركـوا ضـرب الظُّـبـى، كـي يضـربـوا

فـي جـلامـيـد الـصـفـا بـالمـعـول

وإذا مـا خـنـدقُ الأعـدا بـدا

نـسـفـوه وانـثـنـوا فـي عـجـل

فـهـنـا: قـد زلـزلـت زلـزالـهـا

ورمـت بـالجـلـمـد المـشـتـعـل

فـإذا الـتـرب، لمـن كـانـوا بـه،

كَـفَـنٌ بـالـدمـع لـم يـغـتـسـل

وإذا الـخـنـدق أمـسـى مـنـزلا

أبـديًّـا... يـا لـه مـن مـنـزل

يـا لـعـيـنـيـك تـرى غـواصـة

نـزلـت مـن لجِّـه فـي الأسـفـل

ولـقـد تُـلـمـح فـي المـاء، كـمـا

يُـلـمـح المـعـنـى خـلال الجُـمَـل

عـجـبـا لـلـحـوت فـي أحـشـائـه

بـشـر مـا يـأمـروا يَمْـتَـثِـل

حوت «يونان» حواه رجلاً...
وبحوت اليوم كم من رجل؟
وُجِدَتْ كي تصل السُّبْل، وقد
صارت اليوم لقطع السبل

☆☆☆☆

ويلات الحرب

يا لهول الحرب في ويلاتها
رمت الكون بخطب جلل
تلهم المليون لا يشبعها
ومتى تطعم أخاه تأكل
كم شموس في سما الماضي، وكمْ
من نجوم في سما المستقبل
ويتيمات فنون جمةٍ
حسبت من معجزات الأول
فإذا تلك انطفت شعلتها
وإذ هذي كَبَالِي طلل
ولكم روضة بيت ذبلتْ
وهي لولا حرها لن تذبل
وفتاة طفلة قد سألت
أمها - أين أبي لم يقبل
فلقد طالت بنا غيبته
وأنا اشتقت لتلك القبل؟..

ولـكـم عـــذراء كـالـبـدر، عـلـى

قـامـة كـالـغُـصُـنِ الـمـعـتـدل

تـلـمـس الـنـجـمـة فـي مـبـسـمـهـا

ويـرى ذوب الـدجـى فـي المـقـل

سـامـهـا الـفـقـر، وكـانـت قـبـلَـهُ

تـتـغـذى بـخـيـوط الـمـغـزل

فـأبـاحـت ثـغـرهـا مـرغـمـة

وهـي، لـولا جـوعـهـا، لـم تـفـعـل

أنـا، مـهـمـا قـلـت فـي ويـلاتـهـا،

كـنـت مـمـن قـنـعـوا بـالـوشـل

☆☆☆☆

«مؤتمر الجماد»

أدوات الـحـرب، عـنـهـا أضـربـت،

والـتـقـت أجـمـعـهـا فـي مـحـفـل:

وقـف الـفـولاذ فـيـهـم خـاطـبًـا

بـكـلام كـالـرحـيـق الـسـلـسـل

قـال: لـو أنـصـفـت، مـا كـنـت سـوى

سـكـةٍ أو مـعـولٍ أو مـنـجـلِ

أسـعـف الإنـسـان فـي الـحـرث، ولا

أتـوانـى عـنـد حـصـد الـسـنـبـل

مـؤثـر لـو كـنـت مـسـمـارًا – ولا

خـجـل – فـي نـعـل طـفـل مـحـول

أمنع الأشواك أن تجرحهُ
وأقي أرجله من بلل
☆☆☆☆
عند هذا الخَشَبُ اهتز وقد
قال: فلتُقطع يمينُ الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به
غُصُنًا عند ضفافٍ الجدول
لي من الأوراق أبهى حلل
ومن الزهر نفيسات الحلى
وتثنيني نسيمات الصبا
ويسليني غناء البلبل
أحمل الأثمار يجنيها بنو
آدمٍ سائغة كالعسل
فإذا بي تارة مركبة
تحمل المدفع ثقل الجبل
وإذا بي تارة في سابح
وإذا بي تارة في معقل
أنا لو أنصفني المرء، لما
كنت إلا مغزلًا في معمل
أنسج الصوف فأكسوه ولا
أشتكي من تعب أو ملل
☆☆☆☆
عند هذا، الكهربا قالت، وقد
لمعت أنوارها للمجتلي،

قوتل الإنسان كم دمر بي..

وأنا روح النظام الأمثل

أحفظ الأجرام في أفلاكها

وأقيها عاديات الخلل

أنا ملء الكون: ما فيه سوى

خدمي أو خولي أو رسلي

قسمًا، لو كنت أدري أنهُ

بسوى الآثام لم يشتمل

لتَحَجَّبْتُ... فلم أظهر لهُ

ولما دنَّس يومًا هيكلي

ولما جَشَّمَنِي أثقالَهُ

ولما فارق ظهر الجمل

أنا لو خُيِّرْتُ لاخترت الخفا

ورجوعي للخمول الأول

☆☆☆☆

فانبري البارود، في حدتهِ،

وهو يغلي غليان المرجل

قال: لم ينكب بهم مثلي، ولم

يحتمل منكم بهم محتملي

قوتلوا من بشر، أفضلهمْ

إنْ يفاضل أي وحش، يفضل

أقذف المدفع، في أحشائهِ

للمنايا زمزمات الهول

حـمـم ظـمـأى، مـتـى مـا انـطـلـقـتْ،
فـــدم الإنـــســـان أروى مـنـهـل

تـصـدم الـحـصـن، فـتـذريـه وقـد
قـهـقـهـتْ مـن شـائـديـه الجُـهَّـل

أنـا، لـو خُـيِّـرْتُ، لاخـتـرت الـبـقـا
فـي يـد الآسـي وعـلـم الـصـيـدلـي

أنـقـذ الإنـسـان مـن آلامـه
ولـقـد أدرأ بـعـض الـعـلـل

☆☆☆☆

هـذه، وهـي جـمـاد، أَنِـفَـتْ
أن تـرى الإنـسـان يـهـوي مـن عل

يـدعـي الـعـقـل، ولـكـن حـربُـهُ
أنـبـأتْـنَـا أنـه لـم يـعـقـل

☆☆☆☆

أيها العصر

أيـهـا الـعـصـر الـذي آيـاتـه
سـامـتَـتْ آي الـكـتـاب الـمُـنْـزَلِ

كـم تَـنَـقَّـضْـتُ عـصـورًا سـلـفـت...
ويـلـنـا مـن عـصـرك المـكـتـمـل!

قـسـمًـا، لـو بُـعـثـت واتُّـهِـمـت
بـالـذي جـئـت: ارتـدت بـالـخـجـل

عـصـر «نـيـرون» و «نـيـرون» مـعًـا
رفـضـا، لـو خُـيِّـرا، بـالـبـدل

ضحك الجهل من العلم وقد
فاخر الجدّ بماضي الكسل

☆☆☆☆

قَدْكَ يا عصرُ اختراعًا، إنه
مكمن الويل ولكن قد طُلي
كالمُرائي لابسًا شفافَةً
للتقى فوق فؤاد دَغِل
أو كصمصام، بخديه الردى
كامن، والغمد زاهي الخلل
تغمر الكون، لكي تهدمه،
ليت ذيّاك البنا لم يكمل
وتربي الطفل، كي تقتله،
ليت أحشاء النسا لم تحمل

☆☆☆☆

يا لخطب العلم في أبنائه
إنه منهم بداء معضل
قوسوا من ظهره، فيما جنوا،
فهو قد شاب ولم يكتهل
نعم، عُقّتْ له في جيدهم،
فهي، من كفرانها، في عَطَل

سنة ١٩١٥

****

إبراهيم زكي[1]

لوديج فان بيتهوفن[2]

١٧٧٠ - ١٨٢٧م

إن غبت عنا فلم تسمع ولم تُجِبِ
فإن صوتك في الأسماع لم يغبِ
وإن غدوت بدنيا أهلها صَمْتٌ
فقد تركت نواحي الأرض في لجب
أو باعدتنا أصول منك واختلفتْ
أنسابنا فكفى بالفن من نسب
وإن طوتك المنايا غير حافلةٍ
فالفن ينشر ما تطوي يدُ العَطَب
وإن تجردْتَ من حسٍّ فحسبك ما
يوحيه فينا حلال الفن من طرب
وإنما الفن إحساس إن امتلأتْ
به الجوانح من أدوائها تَطِبِ

(١) إبراهيم زكي، (.... - .... هـ = ... - .... م)، شاعر مصري ولد في مطلع القرن العشرين، وعاش أغلب فترات حياته بالإسكندرية، درس القانون واشتغل وكيلًا للنائب العام سنة ١٩٢٧م، ثم قاضيًا بالمحاكم الأهلية عام ١٩٤٣م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٣٠٣/١.

(٢) إبراهيم زكي، الأشعار الأولى، القاهرة ١٩٢٧م: ص٦ - ٩.

وإنمـــا الــفــن إلـــهـــام ومــقــدرة

ولـيـس فـي الـفـن مـن لـهـو ومـن لـعـب

والــفــن نــور مــن الــرحــمــن يــنــشــرُهُ

عـلـى الـوجـودِ فـيـجـلـو ظـلـمـةَ الـكُـرَبِ

وقـــوة مــن قــوى الــدَّيَّــان كــامــنــةٌ

فـي الـنـفـس تـسـخـر بـالـتـيـجـان والـنـشـب

وإنمـــا الــفــن كــل الــفــن مــهــبِطُــهُ

وادي أغـانـيك وادي الـسـحـر والـعـجـب

أبُّ الاغــانــي ومــا نــاديــتَ مــسـتـمـعًـا

هــذي أغـانـيـك تـشـجـي مـسـمـع الحـقـب

هــذي أغـانـيـك مـن أحـزانـك انـسـجـمـت

كـم مـن أغـــانٍ حـواهـا صـدر مـنـتـحـب

هـــذي أغـانـيـك تـدنـيـنـا وتـبـعـدنـا

مـــن كـــل مـبـتـعـد مـنـا ومـقـتـرب

هـــذي أغـانـيـك تـطـويـنـا وتحـجـبـنـا

عــن الـعـيـان وتـبـدي كـل محـتـجـب

أبُّ الأغـــانـــي ومـــا فـاتـتـك أغـنـيـة

تـسـقـي الـنـفـوس كـسـقـي الـطَّـلِّ لـلـعـشـب

تـغـيـب بـالـنـفـس فـي مـجـهـول عـالمـهـا

وكـــم تمـنـيـت أن الــنـفـس لــم تــؤب

هـــذا الــوجــود لـقـد أنـطـقـت أعـجـمَـهُ

فـــأي سـمـع إلـيـه غـيـر مـنـجـذب

ولـلـــوجــود لــغــات أنـــت تـعـلـمـهـا

لا فـي المـعـاجـم مـعـنـاهـا ولا الـكـتـب

لــولا أغــانــيـك مــا كـنــا نــواجــهــهُ

إلا بـقـلـب مــن الأوهـــام مـضـطـرب

أمـــا سـمـعـت لــه فــي الـبـحـر زمـجـرةً

والــبـحــر يـزخــر بـالـتـيـار والـعـبـب

وفـــي الــريــاح عـويـلًا وهـــي صـافـرةً

فـي المـهـمـه الـقـفـر أو فـي المـربـع الخـرب

وفـــي الــرعــود هـزيمًـا وهـــي قـاصـفـةً

وقـــد تـلـبـد وجـــه الجـــو بـالـسـحـب

أبُ الأغـــانـــي أمـــا لــلـمـوت أغـنـيـةٌ

طُـولَـى تَـطُـوحُ بمـا لـلـمـوت مـن رهـب

حـسـب الحـيـاة أغـــانٍ مـنـك طـائـحـةٌ

بمــا تـصـم بـه الأســمــاء مــن كـذب

****

عادل الغضبان[1]

أيها الجندي[2]

عرف الناظم في أحد المصايف المصرية إبان هذه الحرب جنديًّا من جنود الحلفاء كان على جانب كبير من الثقافة وكان يجيد عدة لغات منها العربية فرغب إلى الناظم أن يهدي إليه إحدى قصائده على سبيل التذكار فنظم له هذه القصيدة:

وطــن فــي ســاعــة الــهــول أهــابــا
والــعــوالــي دونــه كــن الجــوابــا
وتــقــاضــاك عــلــى مــذبــحــهِ
أنــفَــسَ الــذخــر فــقــدمــت الــشــبــابــا
وتــخــذت الــنــار والــشــرك أخًــا
بــعــد إذ فــارقــت أهــلاً وصــحــابــا
وتــبــدلــت بــربــع مــؤنــسٍ
مــســكــنًــا وحــشًــا وصــحــراء يــبــابــا

(١) عادل الغضبان (١٣٢٦ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٧٢ م) ولد بتركيا ونشأ بحلب واستوى عودًا وتكوينًا ثقافيًا في القاهرة وفيها عاش ومات. اشتغل بالتدريس، وتسلم بعض المناصب الثقافية والصحافية في مؤسسة دار المعارف، زار معظم البلدان الأوروبية سائحًا أو مشاركًا في بعض المنتديات الأدبية والشعرية. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج٩ ص ٦٧٥.

(٢) عادل الغضبان، مجلة الكتاب، المجلد الأول، السنة الأولى، ج١، تاريخ نوفمبر ١٩٤٥م: ص٩٩ - ١٠٠.

يا لها في الأرض من تضحية

عظمت في الملأ الأعلى ثوابا

☆☆☆☆

قم إلى الحرب وخض منها العبابا

وامتطِ الفولاذ في الروع ركابا

غص بقعر البحر واسبق حوته

واعلُ في الجو وسُقْ فيه السحابا

زلزل الأرض وروِّع أهلها

بزئير يفزع الأُسْدَ الغضابا

وابعث النيران سيلًا عاصفًا

يجرف السهل ويجتث الهضابا

واملأ القسوة جنبيك وقل

إن عند الله للباغي العقابا

☆☆☆☆

دمك الطاهر إن يرو الترابا

ولئن يصبغْ من الأرض الجنابا

أو يمزق جسمك الغض الردى

ويزاحم فوقه النسر العقابا

أو يُوَسِّدْك ثرى غير الذي

ذقت من خيراته الشهد المذابا

تشترِ العزَّ وترفعْ للحمى

فوق أشلائك صرحًا وقبابا

وتكن فيه مسيحًا ثانيًا

حمل الآلام عنه والعذابا

☆☆☆☆

إن صبح النصر مهما يك غابا

فغدًا تلقاه قد شق الحجابا

فانتظم تاجك من لألائه

واخفض السيف وأودعه القرابا

خمدتْ نار الوغي فارجع إلى

بيتك الحر ولو أمسى خرابا

واسمع الأوطان تشدو طربًا

وتغنيك الأناشيد العِذابا

أيها الجنديُّ قد صنتَ الحِمى

أيها الجنديُّ حررت الرقابا

****

عبداللطيف النشار[1]

بين أثينا وبين روما[2]

بـــين «أثـــيـــنـــا» وبـــين «رومـــا»
تـــغـــوص بـــالـــفـــكـــر أم تـــطـــيـــرُ؟
فـــي ظـــلـــمـــاتٍ بـــقـــاع يمٍّ
لـــيـــس بـــهـــا ذَرَّةٌ تـــنـــيـــرُ
تـــخـــتـــنـــق الـــعـــين فـــي دجـــاهـــا
والـــنـــفـــس والـــروح والـــضـــمـــيـــر
فـــتـــلـــك «رومـــا» الـــتـــي يـــبـــاهـــي
بمـــجـــدهـــا جـــيـــلـــهـــا الأخـــيـــر
ضـــخـــامـــة مـــا لـــهـــا رواء
يـــنـــكـــرهـــا الـــحـــس والـــشـــعـــور
يـــا زهـــرة مـــا لـــهـــا عـــبـــيـــر
فـــي ظـــلـــك الـــضِّـــيـــقُ والـــنـــفـــورُ

---

(١) عبداللطيف النشار (١٣١٣ - ١٣٩٢ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٧٢ م)؛ شاعر مصري، قضى حياته بين مصر وإنجلترا وفرنسا؛ اشتغل بالعمل الصحفي في مدينة الإسكندرية، وكان له نشاط بارز في ميدان الترجمة. راجع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١١/ ٦٧٨.

(٢) عبداللطيف النشار، مجلة الرسالة، عدد ٣٨٦، السنة ٨، تاريخ ١٩٤٠/١١/٢٥م: ص١٧٥٠.

يـــا زمـــنًـــا لـــم يـــزل يـــدور
مـــبـــدأ رومـــا هـــو المـصـيـر
شـعـب ضـعـيـف يـسـيـر كـرهًـا
كـــمـــا يـــرى حـــاكـــم كـبـيـر
هـيـهـات هـيـهـات يـــا أثـيـنـا
لـــن تـقـبـلـي الـحـكـم إذ يـجـور
دنـيـا مـــن الـحـسـن يـــا أثـيـنـا
لا بَـــرِحَـــتْ شـمـسـهـا تـنـيـر
يـــريـــد إطـــفـــاءهـــا غـــشـــومٌ
هـــذا لـــعـــمـــري هـــو الـــغـــرور
قـــد عـــاش حـــرًّا ومـــات حـــرًّا
ذلـكـمـو الـشـاكـر الـصـبـور
وَارِثُ سـقـراط فـي حـجـاه
تـعـجـز عـــن كـيـده الـدهـور
فـــي الـحـرب والـسـلـم يـــا أثـيـنـا
تـــشـــرق فـــي جـــوك الـــبـــدور
فـــيـــك بـــشـــيـــر بـــكـــل مـــا لـــم
يـــأتِ بمـــصـــرٍ لـــه بـشـيـر
لـــو لـــم تـكـن مـصـر لـــي بـــلادًا
لـــقـــلـــت فـــي أرضـــك الـــنـــشـــور
لـــبـــيـــكِ لـــبـــيـــكِ يـــا أثـيـنـا
أســـمَـــعَـــنِـــي صـــوتُـــك الـجـهـيـر
مـــا جُـــنَّ «بـيـرون» فـــي هـــواهـــا
لـــكـــنـــه شـــاعـــر بـصـيـر

****

أبناء نيرون[1]

أبـنـاء بـرلـين لـهـم عـذرهُـمْ
خـيـالـهـم طـاغٍ عـلـى الـواقـعِ
إلا تـكـن حـقـا أمـانـيُّـهـمْ
فـإنـهـم فـي حـلـم رائـع
أهـل حـروب صـادفـوا أهـلـهـا
فـدافـعـوا عـن حـسـب رافـع
إن يـخـفـقـوا فـي الـحـرب، ولـيـخـفـقـوا،
فـقـد أتـوْا بـالـعَـجَـبِ الـرائـع
وأنـت يـا رومـا بـلا عَـاذر
شـربـتِ مـن سـم الـوغـى الـنـاقـع
(وإنـمـا الـفـتـك لـذي خـسـةٍ
شـبـعـان أو ذي كـرم جـائـع)
حـسـبُـكِ يـا رومـا رضـى الـقـانـعِ
أو فـارقـبـي عـاقـبـة الـطـامـع
كـرامـة الـدافـع والـوازعِ
هـمـا عـمـاد الـفـاعـل المـانـع
وأنـت لا حـقٌّ ولا قـوةٌ
ولـسـتِ أهـلاً لـلـسـنـا الـلامـع

(١) عبداللطيف النشار، مجلة الرسالة، عدد ٣٩١، السنة ٨، تاريخ ٣٠/١٢/١٩٤٠م: ص١٨٨٧.

وأنت لا شيء سوى نعرة

أبلغُ ما فيها أذى السامع

دعتكِ برلين فسايرتِها

هيهات ما المتبوع كالتابع

أبناء نيرون بكم ما به

من قدرة، لكن على الوادع

أبناء نيرون بكم ما به

من جزع في الموقف الفاجع

أحرق روما طالبًا لذةً

لذته في موقف الضارع

منتحرًا يبكي على نفسه

بين وميض اللهب الساطع

في كفه الموسى وألحاظه

حائرة في المحجر الدامع

أبناءه لم تتركوا نهجه

كلكمو من ذلك الطابع

وكلكم أجرم إجرامَهُ

وما له في الغد من شافع

وكلكم موساه في كفهِ

فلتثأروا للأمل الضائع

أو هادنوا الإغريق من قبل أن

يتسع الخرق على الراقع

أو أحرقوا روما كنيرونكم

تنجو من المخدوع والخادع

****

كأس سقراط(1)

رأى الموتَ سقراطٌ فلم يخش وجهَهُ
فهل ضل سقراطٌ وقد كان هاديا
وهل كره الدنيا مودِّعُ حسنها
إذا هو لم يلق المنيَّة باكيا
تقول التي عن بيتها خف رحلهِ
«لقد مات مظلوما!» فقال مداجيا
«وهل كان خيرًا أن أودع ظالمًا؟»
وجرّع كأسًا للمنية راويا
إذا أنا ودعتُ الحياة فإنني
أودعها جذلان فرحان راضيا
وما ذاك عن كره لها غير أنني
أرى كل شيء حادثًا مرضيًا ليا
أرى القدر المقدور عدلًا ولم يكُنْ
ليغضبني عدلٌ إذا ما اعترانيا
وما الموت إلا حادث في حياتنا
ولست لشيء في حياتيَ قاليا
أهش لكأس السم والكأس في يدي
وأرحل والدنيا لديَّ كما هيا

(1) عبداللطيف النشار، ديوانه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨م: ص٢٢٧ - ٢٢٨.

ولست بمختار الحياة على الردى
فإني وجدتُ الحادثين سواسيا
ولست بمختار الردى قبل حينه
ولا قائلاً لو كنت أرجع ثانيا
عليَّ لنفسي أنني قد عرفتُها
فأعطيتُها من عملة الجهل شافيا
فلست الذي يأسى إذا حم حينه
كما قال قيس[1] حين أجهش باكيا:
«قضاها لغيري وابتلاني بحبها
فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا»
ولكنني قد عشت ما عشت راضيا
فإن مت لاقيت المنيَّة راضيا
ولما عرفت النفس أقنعتُها بها
فما خلتني قد قلت (يا ليت ذا ليا)
طماحُ قَنُوعٍ أو قناعةُ طامحٍ
فإني أرى عرفانك النفس كافيا
وما الموت حدًّا للذي عاش رأيه
فأبلغُهُ أحفادُهُ والذراريا
ومن لم يعش حرًّا فلا عاش لحظة
أَنِزْ يا ضياء النفس هذي الدياجيا

****

(١) إشارة إلى قيس بن الملوح شاعر الغزل العذري المشهور وصاحب القصة الذائعة مع محبوبته ليلى العامرية.

وقفة على نهر التاميز[1]

هـذا هـو الـتـاميـز لـيـس كنيلنا
فـرعٌ تـنـافـسـه الـفـروع فـيـضـؤُلُ
لـكـنـمـا قَـسَـمَ الحـظـوظَ مـقـسِّـمٌ
فـي كـل شـيء لا مـحـالـة يـعـدل
هـذا لمـاضـيـه وذاك لحـاضـر
مـنـه، وذاك نـصـيـبـه المسـتـقـبـل
ويـحـوِّل الأشـيـاءَ وفـق مـشـيـئـة
مـن دونـهـا سـتـر عـلـيـهـا مـقـفـل
يـا نـيـلَـنـا أَهْـلٌ لمـاضٍ لـم يـدم
يـا نـيـل لـكـنـي أراك تـؤهـل
أو هـكـذا أرجـو الإلـه وآمـلُ
أو لا.. فـخـاطـر شـاعـر يـتـخـيـل!
وأراك يـا تـامـيـزُ تـهـبـط هـاويًـا
وكـمـا نـزلـنـا مـن سـمـاءٍ تـنـزل!
والـلـه لـيـس شـمـاتـةً مـا يـنـطـوي
قـلـبـي عـلـيـه فـإن قـلـبـي أعـدل

---

(١) عبداللطيف النشار، ديوانه: ص٢٨٠.

لكنْ هي الدنيا مواكب أعصرٍ
في سيرها المحمول والمترجل
الآن يا تاميز تروي غُلَّتي
والنيل كنت أعلُّ منه وأَنْهَلُ
عذبٌ مذاق الماء عندك في فمي
لكن ماء النيل عندي أجمل

****

محمود غنيم[1]

محنة فرنسا[2]

رحماك رب إلام نصلى نارَها؟
فَنِيَ العبادُ ولم تضع أوزارها
غابت ملائكة السماء، وأصبحتْ
تذرو أبالِسَةُ الجحيم غبارها
قبضت على سكانها يد ماردٍ
جعل الصبيب من المداد بحارها
في كل وادٍ ثورة مشبوبةٌ
لا يطفئ البحر الخضم شرارها
حتى كأن الأرض من إعيائها
سكَنَتْ وأخطأت النجوم مدارها
كتب الفناء على البرية.. ويحهُمْ
ما بالهم يستعجلون دمارها

---

(١)محمود غنيم (١٣٢٠ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٢ - ١٩٧٢م) شاعر مصري، تخرج من كلية دار العلوم عام ١٩٢٩؛ اشتغل بالتدريس وترقى في وظائف التعليم حتى صار عميد مفتشي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم. شارك في الكثير من المهرجانات الأدبية العربية والدولية، وأصدر عددًا من الدواوين الشعرية أولها «صرخة في واد» ١٩٤٧م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢٠/٩.

(٢)محمود غنيم، الأعمال الكاملة، ط دار الغد العربي، القاهرة ١٩٩٣م: مج١ ص٤٣ - ٤٧.

زمـــرٌ مـــن الأســـمـــاك نــاطــقــةٌ إذا
مــا جــاعــتِ ازدرد الــكــبــار صــغــارهــا

☆☆☆☆

حـــربٌ رأيـــت الجـــوع بـعـض سـهـامـهـا
فـرضـت عـلـى المـتـراشـقـين حـصـارهـا
غـــدتِ الجـــبـــال الـشـــامـخـات سفـيـنـهـا
والـــزاحـــفـــات مـــن الحـــديـــد مـــهـارهـا
الـــزيـــت والـــبـــتـــرول مـــن آلاتـــهـــا
والـعـلـم يـنـفـخ إن خـبـت أكـوارهـا
قـــد ســـيـــرت فـــوق الـــثـــرى دبّـــابـــهـــا
وإلـــى الـكـواكـب صـعَّـدت طـيـارهـا
مـــلأت قـذائـفـهـا الـعـبـاب، فـعـكـرَتْ
زَبَـــدَ الـــبـــحـــار وكـــدرت أغـــوارهـــا
يـا بـحـر مـا فـعـلَتْ مـيـاهـك - ويـحـهـا -
بـــرفـــات قـــوم يـــســـكـــنـــون قـــرارهـــا
ضـــجَّـــتْ بـــنـــات المـــاء مـــنـــه، وأوشـــكـــتْ
تجـفـو الـطـيـور لأجـلـه أوكـارهـا

☆☆☆☆

يـــا رُبَّ شـــعـــبٍ فـــي حـــمـــاه وادعٍ
جـرفَـتْـهُ لُـجُّـتـهـا فـخـاض غـمـارهـا
ومـــحـــاربـــين لـــغـــيـــرهـــم أســـلابُـــهـــا
لـكـنـهـم يـتـحـمـلـون خـسـارهـا
وذوي عـــروش طـــوَّحَـــتْ بـــعـــروشـــهِـــمْ
وتـخـطَّـفَـتْ مـن حـولـهـا أمـصـارهـا

تـتـطـايـر الـتـيـجـان عـــن أربـابــهــا

كـالـقِـدْرِ تنفث فـي الـفـضـاء بـخـارهـا

عِـبَـرٌ عـلـى مـر الـقـرون تـشـابَـهَـتْ

حـتـى أجـــاد الـعـالـم اسـتـظـهـارهـا

وروايـــةٌ مـن عـهـد ذي الـقـرنـين، مـا

بـــرح الـــزمـــان مــــرددًا أدوارهـــا

أَوَ كـلـمـا كــادت تـتـم فـصـولـهـا

مُـنِـيَـتْ بـشـيـطـان يـزيـح سـتـارهـا

☆☆☆☆

سائِلْ ضفاف «السين» كيف استُهدِفَتْ

لـلـغـزو، واقـتـحـم الـعـدا أسـوارهـا

خَـــطٌّ حـسـبـنـا الجـــن لـــو مـــرت بـه

ولـــتٌّ أمـــام حـصـونـه أدبـــارهـــا

أتـــرى «فـرنـســا» أطـبـقـت أجـفـانـهـا

مـن خـلـفـه، وتجـاهـلـت أخـطـارهـا

هـيـهـات! لا الحـصـن المـنـيـع أقـالـهـا

كـــلا، ولا الأدب الـرفـيـع أجـارهـا

لا تـعـدم المــــرآة كـسـر زجـاجـهـا

يـومًـا وإن كــان الحـديـد إطـارهـا

إن المـعـاقـل لا تحـصـن أهـلـهـا

مـا لـم تُـحَـاكِ قـلـوبُـهـم أحـجـارهـا

قـالـوا: مـهـادنـة فـقـلـنـا: حـبـذا

لـــو أن هـدنـتـهـا تـقـيـل عـثـارهـا

هـيـهـات! مـا أرضـت بـذاك خصـومـهـا

كــلا، ولا اسـتـبـقـت بـه أنـصـارهـا

مــاذا تـقـول إذا الجـدود تـعـثـرَتْ
وإذا المـشـيـئـة أنـفـذت أقـدارهـا
وإذا قـضـاء الـلـه أحـدق بـالـشـرى
لـم تـلـقَ آســادُ الـشـرى أظـفـارهـا
كـالـوا المــلام لـهـا، فـقـلـت: تـريـثـوا
يـا قـوم، والـتـمـسـوا لـهـا أعـذارهـا
أو مـا كـفـاهـا أنـهـا مـا سَـلَّـمَـتْ
حـتـى طَـلَـتْ بـدمـائـهـا أنـهـارهـا
إن قـيـل: عـــارٌ أن تـسـلِّـم أمـــةٌ
نـهـض الـدم المسـفـوح يـغـسـل عـارهـا
إنـــي لأشـفـق أن يـكـون مـصـابـهـا
أزرى بـجـوهـرهـا، وشـــان نـضـارهـا
ومـحـا مـحـاسـنـهـا فـعُـدْنَ مـسـاوئًـا
وأحـــال لـؤلـؤهـا؛ فـصـار مـحـارهـا
مـن يـكـبُ لـم تـعـذره عِـثْـرَتُـهُ، ومـن
يـنـهـضْ تُـقَـلِّـدْهُ الأعـــادي غـارهـا
والـنـفـس تـعـجـب بـالـقـوي وإن يكن
جـــلاد تـلـك الـنـفـس أو جـزارهـا
☆☆☆☆
أســأَلْـتَ «بـاريـسَ» المـهـيـضـةَ: مـا لـهـا؟
سـل أهـلـهـا: هـل قـوَّمـوا مـنـهـارهـا
سـلـهـا بـربـك: كـيـف ذل عـزيـزهـا
وتحـمـلـت أسـد الـعـريـن إسـارهـا
كـيـف الـغـوانـي والمـغـانـي بـعـدمـا
طـمـس المـغـيـر بـجـيـشـه آثـارهـا؟

بـالـلـه هــل عـــاث الــعــدو بـأرضــهـا

وهـــل اســتـــرق بــبــأســه أحـــرارهـــا

مـــاذا أصـــاب مـديـنـة الأزيـــاء؟ هـل

أبـلـي الـقـتـال المـسـتـحـر إزارهـــا

هـــل أظــلــمَــتْ آرادهـــــا؟ ولـطـالمـا

حـسـد الـنـهـار وشـمـسـه أسـحـارهـا

وهـل المـخـابـئ أصـبـحـت مـــأوى لِـمَـنْ

كـانـت مـقـاصـيـر المـســارح دارهـــا

راعـــت أرامـلـهـا الـحـــروب وخلَّـفـت

فــي حـسـرة لا تـنـقـضـى أبـكـارهـا

مـــن كــل نــافــرة يـــدق فـــؤادهـــا

لـــم يـنـفـر الـظـبـي الـغـريـر نـفـارهـا

نـفـرَتْ مـن الـحـرب الـضـروس وطـالمـا

كـــان الـنِّـفـار مــن الـــدلال شـعـارهـا

مـا لـلـتـي أَلِـــفَ المـزاهـر سـمـعُـهَـا

وزئـيـــر آلاف الـــوغـــى وخـــوارهـــا

حـملَـتْ هـموم الـحـرب فـي «بـاريـس» مَـنْ

كـانـت يـداهـا تـشـكـوان سـوارهـا؟

كـم غــبَّـرَتْ بـدُخَـانـهـا وجـهًـا، إذا

بَـصُــرَتْ بـه شـمـس الـسـمـاء أغـارهـا

ســائِـلْ عــن الـقـبـلات أهـلـيـهـا: أمـا

زالـــت تـحـس شـفـاهـهُـمُ تـيَّـارهـا

كـيـف الـقـلـوب الـخـافـقـات صـبـابـةً

تـفـشـى مـواعـيـد الـدجـى أسـرارهـا

شـهِـدَتْ خمـائـلـهـا مـواقـعَ لـلـهوى
مـا حـرَّكـت مـن خـيـفـة أطـيـارهـا
شـتـان بـين مَـواقـعٍ ومَـواقـعٍ
كـلـتـاهـمـا تـشـكـو الـضـلـوع أوارهـا

☆☆☆☆

مـا كـنـت، يـا بـاريـس إلا روضـةً
مُـنـيـتْ بـسـائـمـةٍ رَعَـتْ أزهـارهـا
أصـمـى الـحـضـارة مـن رمـاك، فـإنـهـا
مـنـك اسـتـعـيـرت مـن سـواك أعـارهـا
وجـنَـتْ يـداه عـلـى عـلـوم طـالـمـا
أجـريْـتِ شِـرْعـتـهـا وشِـدْتِ جـدارهـا
مـا ضـرنـي أن لـم أزرهـا طـالـبًا
وقـد اقـتـبـسْـتُ الـعـلـم مـمـن زارهـا
بـاريـس، أيـن دمـشـق أو بـغـداد، هـل
قـصَّـتْ عـلـيـك رواتُـهـا أخـبـارهـا؟
الـمـدْن مـثـل الـنـاس فـي آجـالـهـا
تـفـنـى الـبـلاد إذا قـضـت أعـمـارهـا

****

شبح الحرب(١)

هو الموتُ إن قامتْ على ساقها الحربُ
وإلا، فحسْبُ الناسِ ما يفعل الرُّعبُ
يلوح لهم في الصَّحْو والنوم طيفُها
ودون انتظار الخَطْب أن يقعَ الخَطْب
فزِعْنا، فلا جفنٌ من الخوف مطبقٌ
ولا مستقِرٌ في مضاجعه جَنْب
ولا أنفَ إلا عالق بكِمامةٍ
ولا دار إلا شُقٌّ في جوْفِها جُبُّ
وما اكتوَتِ الأيدي ولا احترق الحشا
بجمرٍ كجمرٍ لا يشبُّ ولا يخبو
فيا أيها الليثُ المكشِّرُ للورى
حنانَيْك! إمّا الانصرافُ، أو الوثْب
مطامعُ غرّ الغربَ وَمْضُ سرابها
فأصبح يَصْلَى نارَها الشرق والغرب
كأني بها قامَتْ، وشبَّ أُوارُها
وقد جفَّتِ الأقلام، وانطوتِ الكُتْب
سفينٌ بلُجِّ البحر يرميه مثلُه
وسِربٌ بأعلى الجو يقذفُه سِرب

---

(١)محمود غنيم، الأعمال الكاملة: مج١ ص٥٩ - ٦١.

وبينهما تمشي المنايا كأنها
طيورٌ، وأرواحُ الأنام لها حَبُّ
وَغًى، لا الدروعُ السابغاتُ موانعٌ
أذاها، ولا مُجْدٍ بها الصارم العَضْب
تثلّم حَدُّ السيف، وانقصفَ القنا
وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضرب
كأني بها ترمي مدافِعُها، فلا
يطيشُ لها سهمٌ، ولا مضربٌ ينبو
تُدمِّر ما تأتي عليه، لوَ انّها
تُصوِّب نحو الألْبِ، دُكَّ بها الألب
هي البرق خطّافًا، هي الرعد قاصفًا
هي الشهبُ إذ تهوي من الفُلُكِ الشهب
فمن كان يصطادُ الحَمام بنبْلِهِ
فإن لنا نبلًا يُصاد به القُطب
كأني بها والطائراتُ بغازِه
تجودُ كما جادت بوابِلِها السُحْب
يمدُّ إلى الأرواح كفّيْه خلسةً
فلا الرأسُ مقطوعٌ، ولا الدّم مُنصبّ!
رقيقُ الحواشي لا تكاد تُحِسُّهُ
وألْيَنُ منه الصَّخرُ والمعدن الصلب
له قطراتٌ لا يُبَلُّ بها صدًى
ولا يابسٌ تُبقي عليه ولا رطب
إذا انتشرتْ في الأفْق لم ترعَ حُرمةً
لأنثى، ولا شيخٍ علا رأسَه الشّيب
إذا انتشرتْ في الأفق تصرَعُ كاعبًا
وتخنق أمًّا خلفها طفلُها يحبو

لقد شِيب بالسمِّ الهواءُ، فهل ترى
يُشاب من الأنهار سائلُها العذب؟

☆☆☆☆

أرى الغربَ يدنو كالفَراش من اللَّظى
ألِلقوم في إحراق أنفسِهم إرْب؟
ويا رُبَّ حربٍ منذ عشرين حِجَّةً
بكلِّ فؤادٍ من جراحَتِها نَدْب
أضرَّتْ بحِزبَيْها وإن تمَّ نصرُها
لحزبٍ، وقاسى ذُلَّ خِذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعَرَّت جلودُنا
إذ الناس كالأنعام قوتُهمُ العشب
وإذ همْ بأكناف الخنادق ما لَهم
مضاجعُ غير التُّرْبِ لو نفع التُّرب
يُقاسون حَرًّا ما لضَبٍّ بحمله
يدانِ، وبردًا ليس يحملُه دُبُّ
وحَشْوُ أنوفِ القوم غازٌ مسمَّمُ
وللنار في أبدانهم مرتعٌ خِصب
فيا لحروبٍ لا يجفُّ لها دمٌ!
ويا لشعوبٍ كلما نهضَتْ تكبو!
أجِدَّكمُ يا قومُ، طال بنا السُّرى
ولم يسترِحْ حينًا من السَّفر الرَّكْب
لقد سار نحو المجدِ قومٌ فأدْلَجوا
ولم يعلموا أين انتهَى بهِمُ الدرب؟
ولو أنفقوا في الخير ما يُنفقونَه
على الحرب، عمَّ الخِصبُ وانقطع الجَدْب

ولـم يـبـقَ طـاوٍ لـيس يمـلـكُ قـوتَـه
ولـم يـبـقَ عـارٍ لـيس يـسـتـرُه ثـوب

☆☆☆☆

شـعـوبٌ بـعـصـرِ الـنـورِ يفتكُ بعضُها
ببعضٍ كما يعدو على الحَمَلِ الذئب
يُمـثِّـل بـالإنـسـان فـيـهـا، وربـمـا
أقـام قـريـرَ الـعـين فـي ظلِّها الكلب
إذا قـنـص الـلـيـثُ الـغـزالـةَ سـاغِبًا
فما عُـذْرُ شعبٍ بات يقنصُه شعب؟
ذنـوبُ الـضِّـعـاف الـعـاجـزيـن كـثـيرةٌ
ومـا لِـقـويٍّ إذ تُحـاسـبـه ذنـب
كـأنْ لـيـس بـين الـعـالـمين شـرائـعٌ
ولا خـلـفَـهـم بـعـثٌ، ولا فـوقَـهـم ربّ
ولا فـي قـوانـين الـبـريَّـةِ رحـمـةٌ
ولا شـيءَ فـي الدنيا يُقال لـه: الحب!
ولـم يـبق مـعـبودٌ سـوى الـقـوتِ وحـدَه
فـكـلُّ فـؤادٍ مُـسـتـهـامٌ بـه صَـبُّ
عـزاءً لـنـا أن الـحـضـارة أفـلـسَـتْ
فـرونَـقُـهـا زيـفٌ، ومـنـطِـقُـهـا كـذب
إذا مـا تمـثَّـلْـتَ الـحـضـارةَ، خلْتَها
لـبـاةً لـهـا جـوفٌ، ولـيـس لـهـا قـلب
سـلِ الـعـلـمـاءَ الـفـاخـريـن بـعلمِهم
أجـاؤوا بـنـور الـعـلـم أم نـارَهُ شـبُّوا؟

****

عبدالرحمن صدقي[1]

ميناء نابولي[2]

صحوتُ على التهليل والهاتف العالي:
هنا نابلي في الأفق تختال كالآل
فما صكَّ تهليلٌ بأرضك مسمعي
على غفلة حتى وثبت إلى بالي
وثرت إلى ظهر السفينة معجلا
كأني هنا لاقيك من بعد أجيال
يصافح عيني الماء أزرق صافيًا
وقد شابه ورد الصباح بجريال
ولاح بأقصى الأفق «فيزُوفُ» داخنًا
كظيم اللظى يطوي كوامن أهوال
صهير الحشى جهم الجناب محمَّمًا
يحدث عن حالي ومضمر بلبالي

(١) عبدالرحمن صدقي (١٣١٤ - ١٣٩٣هـ = ١٨٩٦ - ١٩٧٣م)، شاعر مصري مجدد، اشتغل بالصحافة وعمل بالتدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية، وعُيِّن مديرًا لدار الأوبرا حتى خروجه للتقاعد عام ١٩٥٦م. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين:١٠/٦٨٤.

(٢) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م: ص ٢٣٨ - ٢٤٢.

وقـامـت بـقـيـد الـعـين أهـضـاب جـنـة
مُـدارٌ على المينـاء مَـشْـرَفُـهـا الـعـالـي
قـد انـتـظـمـتـهـا فـي جـلالٍ ورقَّـةٍ
نـظـام سـمـوط الـدُّرِّ فـي جـيـد مِكْـسـال
مـغـانٍ كـشـرفـات الـجـنـان تمثلت
لـنـاظـرنـا مـا بـين مـاءٍ وأظـلال
وأبـراجُ بـيـعـات وَدُورٍ مـنـيـفـة
وأسـوارُ آطـام وأمـجـاد أطـلال
تُـطِـلُّ عـلـيـنـا مـن عـلٍ فـي صـعـودهـا
قِـبـابٌ وأَنْـصَـاب مـن الـمـرمـر الـغـالـي
مُمَـرَّدةُ الـبـنـيـان زاه صـبـاغُـهـا
تَـوَهَّـجُ تحـت الـشـمـس كـالـنـار لـلـصـالـي
رَكِـبْـنَ الـرَّوابـي بِـدْعَـةً فـوق بـدعـةٍ
فـتـم بـهـا لـلـحـسـن أبـدع تمـثـال

☆☆☆☆

وألـقـت مـراسـيـهـا الـسـفـيـنـة ضـحـوةً
فـأسـلـمـتُ ظـهـر الأرض أقـدام جـوال
أَجُـوسُ دِيـارَ الـفَـنِّ دَهْـشَـان مـعـجـبًا
وأمـشـي كـأهـل الـفـن مِـشْـيَـةَ مـخـتـال
إلـى أن وَنَـتْ شـمـس الـنـهـار ورنَّـقَـتْ
وألـقـت عـلـى الآفـاق صُـفْـرَةَ آصـال
فَـمِـلْـتُ إلـى خَـانٍ أواكـلُ أهـلَـهُ
وأنْـقَـعُ مـن مـشـروبـهـم حُـرَّ أوصـالـي
وقـام مُـغَـنِّـيـهـم يـغـنـي شِـرَابَـهُـمْ
عـلـى مِـعْـزَفٍ مُـسْـتَـكْـمَـل الـنـطـق قـوَّال

يـغـنـي أغـانـيـهـم جِـــــرارًا شـجـيـةً
بِـنَـغْـمٍ شـديـد الـوقـع فـي الـقـلـب فـعـال
يـلـذ لأسـمـــاع الخَـلـيِّـيــنَ وقـعُـهُ
ولـكـنـه عـنـد الـشَّـجِـيْ جِـــدُّ قـتـال
تـوالـى عـلـى سـمـعـي، وأفـضـى لمهجتي
وفـــضَّ مـغـالـيـقـي وحـطـمِ أقـفـالـي
فـهَـبَّـتْ مـن الأعـمــاق هـوجًـا عـنـيـفـةً
بـراكـين أشـجـانـي فـزلـزلـن زلـزالـي
وثـــارت إلــى عـيـنـي الـدمـوع سـخـيـنـةً
وهــزَّ كـيـانـي الـنَّـشْـجُ واشـتـدَّ إعـوالـي
إذ بـي وأهــل الـخــان حـولـيَ، رحـمـةً
وعـطـفًـا، ولمـا يـسـألـوا كُـنْـهَ أحـوالـي
وقـد راعـهـم كـأسـي وخـبـزي ومطعمي
مـبـلَّـلـةً مــن واكـــف الـدمــع هـطـال
وجــــاءوا مـغـنـيـهـم، فـأجـمـل شــدوَهُ
وقـد أدركــوا مــأســاةَ عـمـري بإجـمـال
لـقـد أدركــوا - يـا لحـن عـمـريَ - أنـنـي
طـروبٌ إلـى لحـنـي، فـلا لحـنَ يـهـنـا لي
وأنَّ لحـــونَ الحــب مُــذْكِـرَتِـــي بـه
تَـهـيـجُ لـه شـوقـي فـيـزداد بـلـبـالـي
ولـيـس كـأهـل الـفـن مـن يَـقْـدُرُ الأسـى
ويـدري خـصـال الحـب حـالًا عـلـى حـال

****

المدينة الخالدة[1]

سلامٌ على روما عروسِ الحواضرِ
بما وَرِثَتْ طول القرون الغوابرِ
طَوافي هنا لا في المكان وإنما
بجوف زمانٍ ذاهبِ الغور داهر
هنا حيثما انساقت خطاي معالمٌ
تحدث عن ماضٍ من المجد دابر
خرائب تستعدي الجلال على البلى
وتزهي بمطموس من الفن داثر
جواثمُ إلا أنها في جثومها
تَنُصُّ جبينًا مثخنًا غير صاغر
بقايا أساطين فُرادى منيفةٍ
جِلادٍ على الأيام غير خوائر
تطل على الأنقاض حول نصابها
وكل العلا في نقضها المتناثر
لها روعة في النفس تشعر أنها
محاريب رَبٍّ أو قصور قياصر

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٤٣ - ٢٦٤، مجلة الكاتب المصري، عدد ٢٦، نوفمبر ١٩٤٧م: مج ٧ ص٢٢٩.

بيوت عبادات ودور سيادة
ببابهما ذلَّت جباه الجبابر
لقد دثرتْ، لم يَخمِ رَبٌّ بناءه
فأهوى وما لاقى مقيلًا لعاثر
سوى معبد الأرباب جمعًا كأنما
أفاد القوى من سرها المتضافر[1]
عظيم من البنيان كالطود راسخٌ
يَخِفُّ من التنسيق خفة طائر
له قبة روحاء ينفذ أَوْجُها
إلى القبة الكبرى بتدبير ساحر
وثمة ألطاف وآثار نعمة
شواهد عيش رافهِ الظِّلِّ ناضر
وأطلال حَمَّامٍ عَفَتْ عَرَصَاتُهُ
وكانت عباقًا بالطيوب العواطر
وجفت حياضٌ فيه كانت رويَّةً
يساق إليها الماء فوق القناطر
كم ازدحمت أحواضه وأريكُهُ
بأبناء روما المترفين السوادر
وثمة بين الرَّبْوتين بلاقعُ
هي السُّوق كانت ندوة للتشاور[2]
ذكرنا عليها رأي شيخ مُحَنَّكٍ
وقول خطيب ذي شَقَاشِقَ هادر

---

(١) معبد الأرباب: هو البانثيون أمر ببنائه الإمبراطور الروماني أجريبا ليكون معبدًا لسائر الآلهة.
(٢) الربوتان: هما ربوة البالاتين وربوة الكابتول وكانت تقام بينهما الأسواق الرومانية القديمة.

وكـانـت جِـمَـى رأيٍ ومَـرْقَـى بـلاغـةٍ
ورمـــزًا لـحـق الـشـعـب عـنـد الأبـاطـر
وأجـــداث أَقْــيَــالٍ تَـهَـيَّـبَـهَـا الـبِـلَـى
وسَـبْـيُ مِـسَــلَّاتٍ جـلائـبَ جـائـر[1]
وصِــنْــوٌ لأهـــرام الـفـراعـين يـقـتـدي
بمـصـر، ولـكـن فـي قــوام الـبـحـاتـر[2]
وأســــوار آطــــامٍ وشـــمٌّ مـعـاقـل
تـــدرع لـلـعـادي بـصـبـر مُـصـابـر
وأعـــمـــدةٌ قــد كــان تمـثـال ربِّـهـا
عـلـى رأسـهـا سَـحْـبَـانَ تـلـك المـنـابـر[3]
وأقـــواس نـصـرٍ خـلَّـدَتْ جـنـبـاتُـهـا
عـلـى الـصـخـر مـا أمـلـى رواة الـبـشـائـر
لـكـم مـرت الأجـنـاد تحـت عـقـودهـا
خِـفـافًـا بـأعـلام الـنـسـور الـكـواسـر
كـتـائـب جــرَّارٍ يَـصِـلُّ سـلاحـهـا
وتـرفـع بـالإنـشـاد هُـــوجُ الـعـقـائـر
مــــرددة الأبـــواق تـعـلـن نـصـرهـا
وثـم هـتـاف الـشـعـب مـلء الحـنـاجـر
وفـي الـصـدر منها مـركـبُ النصر عاليًا
كـبـرج مـن الإبـريـز أَفْـــرَهَ سـائـر

(١) إشارة إلى المسلات الفرعونية التي نقلها الرومان إلى روما.
(٢) إشارة إلى هرم كايوس تشيوس احد زعماء روما (ت ٤٣ ق.م)؛ وهو هرم قصير لا يزيد ارتفاعه على سبعة وثلاثين مترًا.
(٣) سحبان: إشارة إلى سحبان وائل خطيب العرب المعروف قبل الإسلام.

تجــرره الأفـــراس مــن كـل مـحـضـر

لدى السبق، هِمْلاجٍ لدى العرض خاطر[1]

تجـلـى عـلـيـه ذو جـبـين مـكـلـلٍ

لـه فـوق عـرش الـعـاج جِـلْـسَـةُ ظافـر

يــروع بـوجـه أحـمـر الـصُّـبْـغِ مشرقٍ

يـخـال سـنـاه وهــج شـمـس الـهـواجـر

وحُـلَّـتُـهُ مــن أُرْجُـــوانٍ وعَـسْـجَـدٍ

وزيــنــتُــهُ مــن دُمْــلُــجٍ وأســاور

وبـــين يـديـه يـعـرض الـنـصـر سـوقَـهُ

غـنـائـمَ حـرب فـي الـعـجـال المـواقـر

وتمـشـي حـفـاةً فـي الـسـلاسـل رُسَّـفًا

أَسَـــاراه مـثـل الـهَـدْي صـوب المجـازر

مـــواكـــب تجـتـاب المـديـنـة كـلـهـا

تـطـوف نـواحـيـهـا طـــواف مـفـاخـر

وتفـضـي – ولـلـشـكـران عقبى مطافها –

إلــى مـعـبـدٍ فـي ذروة الـطـود كـابـر[2]

ومــا أَنْــسَ لا أَنْــسَ المـلاعـب شـادهـا

عـــواهـــلُ رومــــا نــزهــةً لـلـخـواطـر

ونـزهـتـهـمْ فـيـهـا صـــراعُ عـبـيدهِـمْ

وإعـــتـــاق أســـراهـــم بـحـز المـنـاحـر

وطــرح الـنَّـصـارى لـلـسـبـاع تـشـفـيًا

لأربــــاب رومـــا مـــن تمـــرد ثـائـر

(١) الهملاج: سريعة الجري.

(٢) إشارة إلى معبد جوبيتر حامي روما المقام على صخرة الكابتول.

ملاعب قد دك الزمان صروحها
أوائلها قيد البلى كالأواخر

سوى مَلْعَبٍ أبلى الليالي مناعةً
وشقٌّ على أرجائهنَّ الدوائر(1)

تعالى طباقًا أَزُجٌ فوق أَزُجٍ
يزاحمنَ أبراج النجوم الزواهر(2)

قد انفسحت أقطارُهُ وتحلقَتْ
مقاصيرُهُ ترعى عرين القساور

إذا بثت القمراء فيه ظلالها
ورفت به أنفاس هُوجٍ زوافر

تخال به أبناء روما وغيدها
مهللة تلهو بدامي المناظر

ولكنَّ دورًا قد رعى الدهرُ عهدها
وإن عُطِّلت فيها عِتاقُ المشاعر

علتْها يدُ الإنسان بالمقت والقِلى
وجبُّ اختلاف الدين عقد الأواصر

سباها الألى ارتادوا الدياميس مفزعًا
وباتوا وموتاهم ببطن مغاور(3)

وغادرها الدين الجديد لربِّهِ
وبيعاته الكبرى ركامَ محاجر

(1) هو ملعب الكولوسيوم الذي بدا بناءه الإمبراطور فسبازيان سنة ٧٢م، واكتمل سنة ٨٠م في عهد خلفه الإمبراطور تيتوس، ولا تزال معالمه قائمة إلى الآن.
(2) الآزج: جمع الأزج وهو بناء يبنى طولاً.
(3) الدياميس: جمع ديماس وهو السرداب.

كنائس قامت للمسيح مقامَها
وتاهت بقبات لها ومنائر
وجدَّت فنون طبق الأرضَ صيتُها
تجلَّى بها فنُّ الثِّقات العباقر
فيا رُبَّ حيٍّ صورةُ تخالُهُ
وأنفاسه - كالحيِّ - ملء المساحر
يُزَادُ من التجسيم فضلَ ضلاعةٍ
وروعةَ تأثير وفتنة فاخر
فأَعْجِبْ بأطياف الأساطير حيةً
على سقف محراب هنالك غائر[1]
ويومٍ عصيبٍ للحساب كأنه
حقيقة حس لا خداع نواظر[2]
وشِبْهٍ لموسى لا محالة ناطقٍ
بتمثاله، بادي الجلالة آمر[3]
شديد القوى، وافي الشطاط، مؤربٌ
له بأس جبار وبنيةُ حادر
وحق كليم الله في الطور أن يرى
- بما دك منه الطور - صلب المكاسر
عجائب فن قد أتيح لربِّهِ
- علي فضل هذى - فضل بان وشاعر
لقد جمعوا أطراف كل صناعةٍ
وأُوتوا على التكوين قدرة قادر

(١) إشارة إلى المحراب السستيني الذي أمر ببنائه البابا سستو الرابع، وأبدع تصويره الفنان مايكل انجلو.
(٢) إشارة إلى صورة يوم الحساب الأخير في صدر المحراب السستيني من تصوير مايكل انجلو.
(٣) التمثال نحته مايكل انجلو وهو موجود بكنيسة القديس بطرس بروما.

شخوصُ تماثيل وبِدْعُ زخارفٍ
وإعجاز تصوير وسحر عمائر
على كل ميدان وفي كل مفرق
تقوم الدمى في حفلها المتكاثر
وتنْثر هُولاتُ الفساقيِّ ماءَها
بتصنيع مُفْتَنٍّ وصنعة ماهر[1]
أضافوا إلى غرِّ الأعاصر عصرهم
وعصرُهُمُ في الفن زين الأعاصر
كذا أنتِ يا روما جماعُ ذخائرٍ
وتاريخ أكوان وسفر مآثر
كذا أنت أمٌّ للحضارات تنطوي
حضارة ماضٍ في حضارة حاضر
وَرَدتكِ مشتاقًا إلى الفن ظامئًا
وَعُدْتُ على شوقي بنَغْبة طائر
سجلُّك مسجورٌ، وفنك باذخٌ
عميق، فما توفيك زورة زائر
تلبَّثْتُ لو أني وزوجيَ ها هنا
ولكنَّ زوجي في عقال المقابر
ضجيعة أرض طاول النجمَ مجدُها
وأنتِ جنينٌ في غيوب المقادر[2]
لقد طفتُ يا روما ربوعَكِ موحدًا
فيا حسنَها لو كان زوجي مجاوري

---

(١) الهولات جمع هولة: كل ما كان غريب الخلقة.
(٢) إشارة إلى مصر وحضارتها القديمة.

أرانــــي عـلـى الأطــلال أطــولَ وقـفـةً
وأمــعــنَ تـسـريـحًـا لـفـكـري ونـاظـري
أراعـــي إلــى قــدس المـعـايـد أصبـحَـتْ
مــــدارج أقـــــدام ومـــجـــرى حــوافــر
وأربـابـهـا صـرعـى الـتـمـاثـيـل ضُـيَّـعُ
وكـانـت تُـرَجَّـى فـي الخـطـوب الكبائر
وأحــنـو عـلـى آي الجـمـال تـنـاثَـرَتْ
حـصًـى أو بـقـايـا فـي ضـمـان الجبائر
رســومُــكِ يــا رومــا الـقـديـمـة عـبـرةٌ
لأرمـــلَ مــلــتــاعِ الجــوانــحِ عــابــرِ
مـصـارع مـجـدٍ شـامـخ الـشـأو نـادرٍ
ومـدفـن حـسـنٍ مُـعـجـزِ الـصـنـع بـاهـر
تـأسـيـتُ يـا رومـا بـهـذي جـمـيـعِـهـا
وإن تــك أوثــانًــا بمــحــراب كــافــر
تـأسـيـتُ بـالأربـاب لاقـت حـتـوفَـهـا
ولــم تـنـجُ مـن سـهـم الـردى المتواتـر
تـأسـيـتُ يـا رومـا ولـو بـعـضَ سـاعـةٍ
فـلـسـتُ عـلـى رغـم الـهـوى بمـكـابـر

****

فلورنسا[1]

إليك فلورنسا شققتُ طريقي
بقلبٍ شديد الخفق جدٍّ مشوقِ
توالى على عيني البلادُ أجوزها
كسهمٍ مريشِ الجانبين مَرُوقِ
تَوَالَى سراعًا روضةٌ بعد روضةٍ
دواليك في نظم لهن نسيق
لهن كمسنون الزمرد جلوةٌ
مضاعفةٌ من خضرةٍ وبريق
تَخَلَّلُهَا الأشجار هيفًا فوارعًا
زهاةً بممشوق القوام رشيق
وقد ألَّفتْ قضبانُ كرم شتاتَها
مشبَّكةً سوقًا هناك بسوق
تَمَثَّلُ لي والريح تلوي قوامَها
وتهفو بمنشورِ الشعور وَرِيقِ
صبايا إله الخمرِ ترقصُ رقصَها
وقد أُسْكِرَتْ في عيدِهِ برحيقِ
وأرقى الروابي ربوةٌ بعد ربوةٍ
بأَحْنَاءِ شعبٍ لاحِبٍ ومضيقِ

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٦٥ - ٢٧٣. وفلورنسا هي أكبر مدن إقليم توسكانا في وسط إيطاليا وأهمها تراثًا تاريخيًا وفنيًا، وأكثرها قيمة اقتصادية وإدارية.

وفوقي رِعَانٌ وعرةٌ من معمَّمٍ
بثلجٍ، وحالٍ مُشْجِرٍ، وحليق
وتحتي مهاوي الموت تُفضي كمثلِهِ
إلى قاعِ جناتٍ خوالدَ رُوقِ
يُدار برأسي في الذرى فإخالني
وأرباب «أولمب» بذُرْوةِ نيق
تلوح السماوات العلى قيد إصبعي
ودنيا الورى كالذَّرِّ تحت طريقي
وهام خيالي في الأساطير شاردًا
هيام عقاب في الجواء أَبُوق
وأهوى بنا للسهل سائق ركبنا
وما زلت كالسكران غير مُفيقِ
وقالوا «فلورنسا!» فأُذكرتُ زوجتي
وثُبْتُ إلى حالي وسرِّ طروقي
أحج لأرض حققت حلم مهجتي
وأنس حياتي، برهة، ورفيقي
منابت أهليها فلا بدْعَ ضوعفَتْ
على طيبها طيبًا بقلب صديق
وكانت منارًا للمدائن كلها
ورائد عصر للفنون طليق
أعللُ نفسي بالمعابد والدمى
تَعَرُّفْتُها في الطرس علم سبوق
وأرسل طرفي رائدًا مترقبًا
مَطَالِعَ حُسْنٍ طارفٍ وعتيقِ

فما راعني إلا القبور طوالعًا
يطالعن في فيض المدامع مُوقي
قبور بأرباض المدينة جزتُها
فأذكرنني زوجي وهِجْنَ حريقي
هنا كان أوْلَى أن يُشَقَّ لقبرها
فيلحق فرعٌ محدَثٌ بعروق
هنا كان أحرى أن تقام لحسنها
تماثيل تذكارٍ ورغْي حقوق
هنا أم ضفاف النيل؟ سيان في النوى
لِمَيْتٍ رهين في التراب غريق
وأرخى علينا الليل سحق سدوله
مهلهلةً بالشهب ذات خروق
وملتُ إلى خان المدينة مجهدًا
أُصَانِعُ أشجاني لوقت شروق
فلما تولى الليل وانجاب جيشُهُ
أمام لواء للصباح خفوق
بَكَرْتُ - فلورنسا - إليكِ مُسَلِّمًا
مُصِرًّا على لقياك غير معوق
إلى القبة الكبرى تسامت كأنها
ركامُ رَباب بالفضاء عَلوق[1]
إلى البرج طاقًا فوق طاقٍ أواهلا
بنقش شبيهٍ بالحياة نَطوق[2]
إلى المغسل القدسيِّ يُزْهَى بسقفِهِ
وبابٍ بأعتاب الجنان خليق

---

(١) القبة الكبرى: تتوج كنيسة فلورنسا العظمى.
الرباب: السحاب الأبيض.
(٢) البرج: برج الأجراس وهو طبقات أربع.
الطاق: ما جعل كالقوس من قنطرة أو نافذة.

عـرائـسُ بـيـضٌ مـن رخـام ممـرّدٍ
تحـلـى بتـخـطـيط أَحَـسمٌ دقـيـق
يـرف عـلـيـهن الـضـيـاء كـأنما
يـزل عـلـى سـطـح لـهـن زلـيـق
روائـع فـنٍّ لا يـضـارع حسنها
وقـد جُـمعتْ طـرًّا بـسـاحـة سوق
عـلـى أنـه لـم تـخـل مـنـكَ بقيعةٌ
- عـلى صِـغَـرٍ - مـن شـائـق وأنـيق
طـرائـف شـتـى كـلـهـن شـواهـد
عـلـى فـضـل بـيـت مـن بـنـيك عـريق
وثـمـة فـوق الـفـن سـحـرُ طبيعة
رهـين بـسـرٍّ فـي ثـراك عـمـيق
ومـا المـاء فـي مـجـراك مـن مـاء كوثرٍ
ولا الـتـرب مـن مِـسْـكٍ هـنـاك فتيق
كـأن هـنـا الـطِّـلَّـسْـمَ عُـقْـلَـةَ قـادمٍ
وقـيـدَ نـزيـل فـي هـواك ربـيـق
تـلـفـتُّ لمـا أن تـركـتـك راحـلا
تَـلَـفُّـتَ عـانٍ عـاشـق لـعـشـيـق
إلـى الـقـبـة الـكـبـرى تـريـنُ عـلـى الحمى
وقـد أكـسـبَـتْـهـا الـشـمـس لـون عقيق
كـذلـك رانـت فـي الـحـيـاة وفـي الـردى
عـلـى أفـق عـمـري زوجـتـي وشـقـيقي

****

جِنْــوَا[1]

خـلـيـجُـك، جـنـوا ! لازَوَرْدٌ وبـلُّـورُ
يَـــرُدَّانِ طـرفـي عـنـك والـطـرف مـبـهـورُ
سـمــاؤك جـلــواءٌ، ومــــاؤُك جـوهــرٌ
فـأيـهـمـا اسـتـقـبلـتُ صـافـحـنـي الـنـور
وفي الأفْق شطٌّ حالمُ الحسن في الضحى
كـمـا امـتـدّ وادٍ فـي الأسـاطـيـر مـسـحـور
شَـجـيرُ الـروابـي، مزهـر الـقـاع، وارفٌ
كثيفُ الـدوالـي، فـارع الـسـرو، منضـور
يـخـايـل كـالـفـردوس مـن فـرط حُـسْـنِـهِ
فــإن يــكُ مـعـمـورًا فـعـامـرُهُ الـحـور
غـدت بـي عليه الفُلك - من بـعد جريها
تـهـادتْ - كـأن الـفـلـك سـكـرانُ مخمور
ومــا بـي إلـى الـفـردوس والـحـور مـأربٌ
عـلـى أن كـل الـركـب نـحـوهـمـا صُـــور[2]
حــدانـــيَ لا حــبٌّ ولا طـيـبُ مـربـعٍ
ولــكــنــمــا مـــوتٌ بـفـنٍّـك مـنـشـور

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٧٥ - ٢٧٨. وجنوا مدينة معروفة وميناء بحري كبير في شمال إيطاليا، وهي ذات تاريخ عريق وتقاليد بحرية ذائعة وهي إحدى الأقطاب الأساسية للاقتصاد الإيطالي.

(٢) صور: جمع أصور وهو المائل.

هنالك في واديك، في حرَم الردى
حديث الهوى والموت في الصخر منقور[١]
تماثيل تستوحي الحياة مثالها
براها صَناعٌ بالتماثيل نحرير
يصوِّرُ حال المَيْتِ والحيِّ: والدٌ
مسجًى، وجمع الأهل لهفان مذعور
ووالدة ولهى تهدل شعرها
وواحدها بين الذراعين مقرور
وخَوْدٌ تزيح الستر عن وجه زوجها
فتُجفل إذ جلَّى إلى الزوج مقدور[٢]
وإلفان في ريق الشباب تعانقا
ولكنها وسنى وأجفانها غور
هي القُبلة الأخرى يبادلها لمًى
جليدٌ، وثغرٌ مضرم الشوق محرور
فجائع تستولي على العين والحجى
فيختل معقول ويسودُّ منظور
وفوق ثراها الزهر أنضر ما ترى
شقيقٌ ونسرينٌ وورد ومنثورُ
وحسبك زهرٌ بالجسوم مزوَّدٌ
وبالدم ممدود وبالدمع ممطور
كذلك مأساة الحياة نقائضٌ
شتات، ووجه الرأي فيهن مستور

(١) حرم الردى: المقصود به هنا مقابر ستاليينو في جنوا.
(٢) الخود: المرأة الشابة. جلى: سبق.

يطوف بعقلي طائف الشك عندها

فلا هو مقبول ولا هو منكور

وإني لأزجي الخطو أسوان واجمًا

أودع وادي الموت والعقل مقهور

إذا نُصب «الإيمانِ» - وسط فنائه

وبين المآسي - ناصبُ الرأس منصور

****

البندقية

حلم من الأحلام الإيطالية[1]

هذه أنت يا عروسَ الماءِ
قد تجلَّيتِ تحت وردِ المساءِ
تترائين لي كَحُلْمٍ قديم
أبدعته بداهةُ القدماء
ربة الحسن قد تبدت من البحر
وليدًا من رغوة وضياء
هذه أنت تُسكريني فما أغـ
ـرِفُ أرضي وماءها من سمائي
أسكرتني وليس من صهباء
رعشة الماء هاهنا والهواء
أسكرتي الخلجانُ منشعباتٍ
ضيِّقاتِ الشعابِ ذات الْتواء
كالأتاويهِ ملغزاتٍ تُعايي
باشتباك الدروب والأنحاء[2]
والخليج الكبير منفسحَ الجنـ
ـبين للفُلْك كانفساح الرجاء[3]

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٨٠ - ٢٩٦.

(٢) الأتاويه: الممرات الملتوية المتشابهة. عاياه: ألقى عليه كلامًا لا يهتدى لوجهه.

(٣) الخليج الكبير: طريق طوله نحو ميلين على شكل حرف (S) يشق مدينة البندقية (فينيسيا).

والخضمُ المحيط أزرق رجرا
جًا عظيم العُباب ضاحي الفضاء[1]
هو عِرسٌ زُفَّت منه إلى أزْ
وع جمٍّ الثراء جمِّ الرواء[2]
أسكرتْنِي طولَ الطريق أفانيـ
ـنُ جمالٍ هنا بغير انتهاء
حُببُكَ الماءِ فضةً ونضارًا
في اختلاف الأنوار والأفياء
وطوال الأوتاد عند المراسي
زاهيات الأعلام للإرساء
وتوالي الجسور من كل ممشو
قٍ أَقَبِّ الحشى دقيق البناء
غير جسرٍ ما بين صرحٍ وسجنٍ
جاد فيه الهلكى بباقي الذَّماء[3]
وانسياب «الجندول» يسعى خفيفًا
في سواد كالحية السوداء
مستدقًّا، ذا جُؤْجُؤٍ مشرئبٍّ
شائل العَجْب، مستطيل المَطَاءِ
وعليه مقصورة ذات فرش
ورياش كالقبة الحدباء

(١) الخضم المحيط: هو بحر الادرياتيك.
(٢) إشارة إلى احتفال ولاة البندقية كل عام بزواج المدينة من البحر، دليلًا على سيادتها.
(٣) هو جسر الزفرات الذي يصل بين قصر الوالي والسجن. وقد اطلق عليه هذا الاسم حيث كان نزلاؤه يواجهون غالبًا عقوبة الإعدام فيلفظون فيه زفراتهم الأخيرة.
الذماء: بقية الروح.

أسكرتْنِي منكِ القصور على الشطْـ
ـطَيْـنِ بيضًا كالشمعة البيضاء
راسيـاتٍ لا فـوق حـزن وسـهلٍ
شـارعـات إلـى شـوارع مـاء
شـادهـا السـيد المـؤَثَّـل ذو النِّعـ
ـمة مـن مـرمـرٍ شفـيف الصفـاء
حـاليـات بـالطـنف والـطـاق والأقـ
ـواس هـيف الضـلوع والأحـنـاء
وكـأن الـرخـام، مـن كـثـرة النقـ
ـش علـيـه، مـخـرَّمـات الوشـاء
أسـكـرتْـنِـي مـنـك الكـنـائـس فـي المـا
ء كـعـيسـى يمـشـي عـلـىالـدأمـاء
صـاعـداتُ القـبـاب، عـالـيـة الأبـ
ـواب، غـمـر المحـراب بـالأضـواء
قـائـمـاتُ المـعـراج فـي المـاء يـرقـي
نـحـوهـا كـالـغـريـق أهـل الخـطـاء
أسـكـرتـنـي مـنـك المـنـارة والسـا
عـةُ، كُـلٌّ بـالسـاحـة الـفـيحـاء[1]
يـتـنـادى الـبـرجـان، يَـؤْذِنُ هـذا
بـصـلاة، وذاك بـالآنـاء

(١) إشارة إلى ساحة القديس مرقص، في صدرها الكنيسة الكبيرة التي تحمل اسم هذا القديس وعن يمين الكنيسة ساعة الأجراس وعن يسارها ساعة البرج المشار إليهما في الأبيات التالية.

ساعة البرج بدعة تطلع النا
ظر طِلْعَ البروج والأنواء
يتلقى ناقوسها ضرب جبًا
رَيْنِ غُرْبٍ بالرنّة الجوفاء[1]
وتجيب الأجراس في الشقة الأخـ
ـرى بأشجى الترجيع والأصداء
أسكرتْنِي هذي المجالي وِلاءً
شد سكري من المجالي الوِلاء
وتمام الإسكار في الساحة الغرْ
رَاء مجلى الكنيسة الغراء
توَّجَتْهَا القباب صغرى وكبرى
كارتكام البهاء فوق البهاء
وجيادٌ بطنْفها كبراق الْـ
ـوحي شبَّتْ تهمّ باستعلاء
وَكَسَتْها الفسيفساءُ فصوصًا
فوق أرضٍ من عسجد وضاء
وزجاج مُلَوَّنٍ في ذراها
يخطف العين بالسنى والسناء
قد تجلت في الصدر أروع ما تبـ
ـصِرُ عينٌ في هذه الأرجاء

☆☆☆☆

---

(١) إشارة إلى تمثالين عملاقين من البرونز اطلقوا عليهما (الغُرب) لما علاهما من سمرة الصدا، يهويان بمطرقتهما على الناقوس يدقان كلما حانت الساعات وأنصافها.

هـذه أنـتِ يـا عـروس المـاءِ
فـتـنـةٌ فـي الـصـبـاح والإمـسـاء

هـذه أنـت، غـيـر أنـيَ مـا عَـثْـ
ـتَـمْـتُ أن هـيَّـجَ الـتـذكـر دائـي

يـا جـلاء الـعـيـون بـالـنـور شَـعْـشَـ
ـعًـا مـن المـاء والـصَّـفـا والـهـواء

يـا جـلاء الـنـفـوس بـالحسـن فـي الـبـيـ
ـعـات والـدور والـدمـى والـنـسـاء

مـا لـعـيـنـي مـن دون نـورك قـد غـا
م عـلـيـهـا كَـغَـيْـهَـبِ الـظـلـمـاء

مـا لـنـفـسـي حـيـال حـسـنـك قـد عـا
دت جـمـادًا كـالـصـخـرة الـصـمـاء !

قـد ركـبـت الجـنـدول فـيـك وحـيـدًا
هُـزْأَةً بـين سـائـر الأحـيـاء

هـو فـلـك الـعـشـاق تحـنـو عـلـيـهـم
بـضـلـوع مـن فـازة وطـفـاء

كـم أجـنـت مـن عـاشـقين عـلـى الجـمـ
ـر فـغـابـا عـن أعـين الـرقـبـاء

يـطـفـئـان الـهـوى وقـد رَجَّـعَ الـنـو
تِـيُّ لحـنًـا فـي الـلـيـلـة الـقـمـراء

وأنـا ذلـك الـشـقـيُّ ارتـقـي الجـنـ
ـدول فـردًا إلا مـن الـبـرحـاء

تَنْسِمُ الريح من حوالي كالسُّكْـ
ـرَى بزفر الهوى وعطر رداء
قد تعللت لو أرانيَ ممطو
لًا بوعدٍ، فالوعد رهن وفاء
غير أن التي هويتُ لقاها
رهن قبرٍ، فلات حين لقاء
زوجتي وحدها عشيقي وإلفي
وهي أُنْسِي دون الورى وهنائي
يا ربوع «الليث المجنح» حزني
مخلبُ الليث غاص في أحشائي[1]
هيج الفكر والتذكر من نا
ري حتى لقد كرهت ثوائي
فتركت الخليج مُستعبِر العيـ
ـنَيْن أَغْشو للماء من خلف ماء

****

(١) الليث المجنح: شعار مدينة البندقية.

وداع إيطاليا
على بحيرة كومو[1]

فـي شـطِّـكِ الأخْـوى خـتـامُ مطافي
يـا جـنـة الـمـلـتـاع والـمـصـطـافِ
طـافـت بـشـطـيـكِ الـربـى مـخـضـرَّةً
بـالـسَّـرْوِ والـزيـتـون والـصـفـصـاف
وطـلـعـتِ كـالـقـدح الـمـدور مـتـرعًـا
حـتـى الـطـفـافـة بـالـرحـيـق الـصـافـي
سـكـرَتْ بـمـرآك الـنـواظـر والـحـجـى
والـحـس سـكـرًا غـيـر ذي إنـزاف
وتـنـزلـتْ فـيـكِ الـسـكـيـنـة كـالـنـدى
فـي نـفـس مـجـروح الـحـشـى لـهَّـاف
طـاب الـتـوحـد فـي حـمـاك ولـم يكن
عـنـدي الـتـوحـد طـيـب الأوصـاف
مـا مُـوحَـدٌ مـن كـان فـيـك مـصـاحـبًا
لـلـطـيـب والألـوان والأعـطـاف
أزهـار بـسـتـان، ودوح خـمـيـلـةٍ،
وشـذًا كـأذكـى الـعـطـر لـلـمـسـتـاف[2]

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المراة: ص ٢٩٩ - ٣٠٣.

(٢) المستاف: المستنشق.

يـا مـا أُحَـيْـلَـي ساعـةً مُـلِّـيتُـهـا

فـي ظـل تـلـك الـدوحـةِ المـضـيـاف[1]

فـي ظلـهـا عـرفَـتْ أفـاويـقَ الـرِّضـا

مـن لـم تـكـن تـدريـه غـيـر نـطـاف

رود مـن المـلـكـات جـافـت خـدرَهـا

كـرهًـا ولـم تـخـلـع ثـيـاب زفـاف[2]

جـوابـة شـرقًـا تـهـيـم ومـغـربًـا

تـهـيـام لا وانٍ ولا وقّـاف

هـامـت طـويـلًا مـا اسـتـقـر بـهـا الـنـوى

إلا بـسـاحـل لجِّـكِ الـرجـاف

تـخـذتـك خـنـدقـهـا المـمـلَّأ، دونـهِ

جـيـش مـن الـتـشـهـيـر والإرجـاف

يـا حـسـن مـائـك لازوردًا أزرقًـا

ذا رونـقٍ كـالجـوهـر الـشـفـاف

عـيـنـي مـوكَّـلَـةٌ بـه مـسـحـورةٌ

تـرنـو إلـيـك بـنـاظـر مـسـراف

---

(١) إشارة إلى دوحة عظيمة بفندق فيلاديستي على بحيرة كومو.

(٢) الرود: هي الشابة الحسناء. وتلك الملكة الشابة هي الأميرة كارولين ابنة دولة برونزوبك بألمانيا؛ تزوجها الملك جورج الرابع (١٧٦٢ - ١٨٣٠م) وهو ولي عهد إنجلترا؛ وانفصل عنها بسبب سوء قالة الصقت بها زورًا، ولم تفلح مساعي الصلح في رأب الصدع فرحلت كارولين عام ١٩١٤م إلى ألمانيا. ثم وجدت سلوتها في الأشعار حتى طاب لها المقام، واستقرت بشرنوبيو على بحيرة كومو وكانت خيرة معطاءة أينما حلت، فعرفت بالأميرة المحسنة. حاولت العودة إلى لندن بعد جلوس زوجها الملك جورج الرابع على العرش عام ١٨٢٠م إلا أنها منعت من المشاركة في حفل تتويجه بكنيسة وستمنستر فسرعان ما قضت نحبها بعد ثلاثة أسابيع من ذلك الحفل.

أبـــدًا تــفــرُّسُ فـــي حــشــاكِ كـأنــهُ
يـطـوي عـلـى ســرٍ لـسـحـرك خـافِ
يـحـكي صـفـاؤك لـي - كـرؤيـا حـالـمٍ -
عــن كــل مــا فــي هـــذه الأكــنــاف
جـلـيـتـهـن فـكـل شـــيء لامـــع
وشـفـفـتـهـن فـكـل شـــيء طـــافِ
رقـصـت بـصـفـحـتـك الـربـى وتـخـايـلـتْ
شـــم الجـبـــال عـلـيـك كـالأطـيـافِ
ويـــدا الــربـــاب عـلـيـك بـيـض مـلائـكٍ
تــهـفـو بـأجـنـحـة لـــهـن لـطـاف
وتـــــراءت الجـنـــات فـيـك وأصـلــهـا
فـــي ضـفـتـيـك شـــوابـك الأطـــراف
لـــلــه أنـــت، بــكــل ركـــنٍ آيـــةٌ
تحـيـى يـقـين المـلـحـد المـتـجـافـي
لـــوددتُ، أحـيـا فـي ضـفـافـك مخـلـدًا
بـعـض الحـيـــاة، هــنــا خـلـود كـافِ
لـــوددتُ، لـــولا أن عـــودي مُـعْـجَـلٌ
نـــادى بـــه داعــــي الـــهــوى المـتـلاف
نـــادت بـــه زوجـــي هـنــاك ضـجـيـعـةً
فـي أرض وادي الـنـيـل كـالأضـيـاف
يـا أرض إيـطـالـيـا الـــوداع عـلـى الـهـوى
والـــود والـتـقـديـر والإنـصـــاف

أرض الـطـبـيـعـة كـالـجـنـان تـعـرضـتْ

فــي الـحــلــم ألــطــافًــا عــلــى ألـطـاف

أرض الــفــنــون تـجــمــعــت آيــاتُــهــا

كـــالــشـــهــب آلافًـــــا عـــلـــى آلاف

لـــك مـــن طـبـيـعـتـك الـجـمـيـلـة غُـنْـيـةٌ

عـــن عـــســجـد الــلــبــات والأشـــنـــاف

ومـــن الــفــنــون إذا دهــتــكِ كـريـهـةٌ

يـنـبـوع ســحــرٍ مـــن جـــراحـك شـــافِ

****

عزيز أباظة(١)

في دار شكسبير(٢)

أنجبْتِهِ ذُخْـرَ الوجودِ وحبوتِهِ سِرَّ الخلودِ
وبعثته إشراقةً للعقل ذي الغور البعيد
وركزته علَم البيا ن من القديم إلى الجديد
يا مهد معجزة الدهور لأنت معجزة المهود
حلَّيتِ جيد الكون بين يديك بالعقد الفريد
حبَّاته لُمَعُ الجمال سُلِكْنَ في البصر الرشيد

☆☆☆☆

غرفٌ ثلاثٌ شَعَّ نور الفكر فيها والحصاةِ
ضاقت بملهمها فسلسل روحَه في الكائنات
كانت حراء الشعر زان رفيعه شتى اللغات
كشفت عن النفس الغشاوة للأساة وللهداة
في البينات المحكمات من القوافي المرسلات

---

(١) عزيز أباظة (١٣١٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٣ م) شاعر مصري كبير زار عددًا من الدول الأوروبية. تخرج في مدرسة الحقوق العليا عام ١٩٢٣م. اشتغل بعدد من الوظائف الإدارية العليا، كما انتخب عضوًا بمجلس النواب ومجلس الشيوخ، وعضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. له عدد من المسرحيات الشعرية، وقدم طه حسين لديوانه «أنات حائرة». راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/٧٥.

(٢) عزيز أباظة، ديوانه، دار الكتاب المصري/ دار الكتاب اللبناني: ص ٢٥ - ٢٧. وقد نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٥٠م عند زيارته قرية ستراتفورد مسقط رأس شكسبير.

والنفس واحدة الخلائق في منوعة الجهات
والشعر إن صدقت روافده فأنفاس الحياة

☆☆☆☆

يا كاشف الإنسان والإنسان لغز لا يحلُّ
هو خسة وسماحة وهوًى وعارفة وجهل
للشر في أعراقِهِ رُحَبٌ وللحسنى مَطَلُّ
كيف اتخذت لفهمه سُبلاً فلم تُضْلِلْكَ سُبْلُ
وحَقَقْتَ ما أخفت طبيعته كأنك كنت تتلو
تلك النبوة والحجا الجبار والفَوْق الأجلُّ

☆☆☆☆

يا باعث القصص الخوالد فاستوت كالخلق خلقا
صوَّرت فيهن الحياة بما حوت بُطْلًا وحَقًّا
تلقى الروائع ضحلة المُنْساب وهي البحر عمقا
وإذا هَزَلْتَ – وكم هزلت – كسوت هذا الهزل صدقا
وإذا أثرت عظيمة حمَّلتها أفواه حمقى
سخر الذي خبر النفوس فَراعَهَا في الهون غرقى

☆☆☆☆

أَعْجَزْتَ فارعةَ العقول ورعتهنَّ بما فرعتَهْ
وشغلت من قاسوا مداك بمن خلفتَ ومن سبقته
قالوا فما تقوى العباقر أن تجيءَ بما خلقته
هو جهد أفذاذ البيان لَقَفْتَهُ ثم انتحلته
إضْحَك من الأقزامِ وَارْثِ لدائهم فلقد عرفته
قد يجمع الله الورى في شاعر فحل فكنته

☆☆☆☆

ألـيـصـــابـــات[1] وعــهــدهـــا الـــذهــبـــي والمــلـــك الـكـبـيـرُ
والــبــحــر والأرمـــــــــاد[2] تـــزهـــى فـيــه والـــنـصــر الخـطـيـر
والمـــجـــد حــيـــث تـــــدور رايـــتــــهــــا وســـاســـتــــهـــا يــــدور
ذهــبــت كــأطــيــاف الـــرؤى وهــــــوت كــثــاقــبــة تــغــور
لــم يـبـق مـــن هـــذا الـــتـــراث الـضـخـم إلا شـكـسـبـيـر
عـــز الخـــلـــود عــلـــى الــعـــروش وربُّــــه الـقـلـمُ الـطـريـر

☆☆☆☆

أنـــا فـــي رحــابــك نــاشــد الـــمُــثُــل الــوضـــاء ومُـجـتـديـهـا
مــــــاذا تـــركـــت لـقـائـل إلا الـشـفـافـة يـحـتـسـيـهـا
وفــتـــات مـــائـــدة إذا الْـــتُـــقِـــطَـــتْ سَـمَـــتْ بـالـلاقـطـيـهـا
إنـــــا لـــنـغــلـــق بـــالخـــوالـــف مــــن غـــبــــارك نـقـتـفـيـهـا
شَـعْـشِـعْ لَـنَـا قَـبَـسًـا يُـضِـيءْ عـقـب الـسـبـيـل لـسـالـكـيـهـا
واخْــلُــد عـلـى شـفـةِ الـدهـور هــدى الـدهـور ومــا يـلـيـهـا

****

(١) هي إليزابيث الأولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ملكة إنجلترا في أعظم عهودها من ١٥٥٨ إلى ١٦٠٣م. ابنة الملك هنري الثامن وآن بولين؛ كان أبوها يعدها ابنة غير شرعية وأوصى بعدم جلوسها على العرش بعد اتهامه أمها آن بولين بالخيانة. ولكنها تولت الحكم بعد شقيقتها ماري الأولى.

(٢) الأرمادا: لقب الأسطول الإسباني الذي لا يهزم، وكان مؤلفًا من ثلاثين ومائة سفينة وقد وجهه الإسبان لمحاصرة إنجلترا بعدما أعدمت إليزابيث الأولى الملكة «ماري استيورت» ملكة إسكتلندا التي لقبت بحامية العقيدة الكاثوليكية بعدما تورطت في مؤامرة ضد إليزابيث عام ١٥٨٧م.

روما وشوقي[1]

قف بروما في يوم موكبه الضخـ ـم وقل عشتِ معبد الفن روما
ليس من أهلها ولكن نجوم الدهر تَسْنى بكل أفق نجوما
وطنُ العبقري حيث يذوق الناس تنزيله العليَّ العظيما
هو روحٌ عُليا وهل تعرف الروح حدودًا في سبحها أو تخوما
ليس بدعًا أن تذكريه فقد أنجبْتِ أكفاءه العظام قديما
فحبوت الورى «بدانتي» و«فرچيل» كتابًا مُنَغَّمًا منظوما[2]
يقرأ القارئوه معجزة الأجيال فنًّا سمحًا وهديًا كريما
نسيَ الدهر مجد قيصر أو كاد ولم ينس شاعرًا وحكيما
ذاك يَبْني على دم، ويحيل الدمَّ هذان نضرة ونعيما
في بيانٍ نَدٍ كإشراقة الرَّاح يهز الوجود هزًّا رؤوما
آه لو يعلم العباقر أي الناس هم لامتلوا عتوًّا أثيما
إن فيهم ربًّا همو نايُه العذب وأستغفر الرحيم الحليما

☆☆☆☆

إيه روما أنصفت صناجة العرب وجزت الإنصاف للتكريمِ
قد سبقتِ الدنيا إليه وأنت الدهر سباقة لكل عظيم
منذ فجر التاريخ كنت منار الخلق والخلق في الظلام البهيم
جئت بالفن من أتينا ومصر فارتوى من رحيقك المختوم

---

(١) عزيز أباظة، ديوانه: ص ٣٠ – ٣١. وقد ألقيت هذه القصيدة في حفل إزاحة الستار عن تمثال شوقي الذي أقيم بروما.

(٢) دانتي شاعر الكوميديا الإلهية؛ وفرجيل شاعر الإلياذة.

وربَا في رباك حتى كأنَّ الشعر أشجى من الغناء الرخيم
وكأن الغناء شعر إذا الشعر عتاب المُتَيَّم المحروم
وكأن التصوير رسمًا ونحتًا حيواتٌ مصبوبة في جسوم
صور أو دمًى تكاد تراها كائنات تسعى إذا قلت قومي
كملت روعة فنمٌ لك الظاهر عما أخفى ستار الأديم
ولقد يكشف الطبائع والأخلاق لطف التلوين والتصميم
قيم الفن ليس خطًّا ونقشًا هي دَرْكُ المجهول بالمعلوم

☆☆☆☆

لم أحدثك عن جديدك روما الجديد المجيدُ سُوَرُ القديم
اسلمي واقبلي سلامًا من الشرق وشكرَ الكريم فضلَ الكريم
مِنَنٌ طوَّقته تحفظها الآباء حفظَ الحميم عهدَ الحميم
وقديمًا كان الوفاء شعار الشرق إلا لِمُعْتَدٍ أو خصيم

****

أمام تمثال جيته[1]

إن الخلود الحق أهلٌ لكمْ
يا قادة الفكر بهمس القلمْ
لله ما أضأله آلةً
فكيف يبني ويدكُّ الأمم
وكيف سال النور في وَشْيِهِ
مقتبسًا من قطرات الظُّلَمْ

☆☆☆☆

جوهرةٌ فيكمْ تُشِعُّ السَّنَى
تغمر فيه جلوات الشموسْ
تُرى أَمَثْوَاهَا أحاسيسكم
أم في طوايا القلب أم في الرؤوس
تبذل للكون كريم الطلا
لألاءةً في ذهبيِّ الكؤوس

☆☆☆☆

الله ما أجمله خالقًا
أضفى على الدنيا فنون الجمال
أحسب أسماها جمال الحجى
وَشَّعَهُ الشعر بسحر حلال
باق على الدهر جديد الحلى
موتلق الغرة سَكْبَ الطلال

☆☆☆☆

---

(١) عزيز أباظة، ديوانه: ص ٣٢ - ٣٤. نظمها الشاعر في فرانكفورت في يوليو ١٩٥٥م.

يــا مـشـعـل الــنـفـس وعــش الــهـوى

أي الـــبُـــراقـــين لـــديــك الأثـــيــرْ

ركـــبــت هـــــذا فـشـقـقـت الــدُّجــى

واجـــتـــزت بــالآخـــر سُــــدْم الأثـيــر

مـــا دان مـــا أثّـــلـــت مـــن مـعـجـز

إلا لــــــذي قــــلــب كـــبــيــر كـــبــيــر

☆☆☆☆

شــيــطــانـك الحـــي الـــــذي تمّـحــي

هـــذي الـــدنـــا وهـــو الــــدؤوب الـعـتـيدْ

كـــأنمـــا الـــكـــون إذا لـــم يَـــعِـــثْ

فـــيـــه فـــســـادًا مـــوشـــك أن يـبـيـد

الخــيـــر إن غـــاض فـــأهـــوِن بِـــهِ

والـــشـــر أصــــلٌ فـــي بـــنـــاء الـــوجـــود

☆☆☆☆

قَـــــــدَّرْتَ شـيـطـانـك مـسـتـعـظـمًـا

تجـــديـــده لـــو قـــد عـــــداك الــــردى

هـــــذي الحـــــضـــــارات لــــه مـــرتـــع

أوغــــــل فـــيــهـــا هـــابـــطًـــا مـصـعـدا

انـــســـاب فـــي الخـــلـــق فَـــذَلُّـــوا لـــه

واســـتـــمـــرءوا الـــشـــر وجـــــازوا المـــدى

☆☆☆☆

تـــــرى أشـــيـــطـــانـــك أغـــواهـــمـــو

أم هـــم دعـــــوهُ فـــأجـــاب الـــدعـــاءْ

ترى أمن أنفسهم نفسُهُ؟
أم آنس المثوى حفيًّا فجاء
ترى أظلوا عند منهاجه
أم شيدوا فوق البناء البناء

☆☆☆☆

الختل والغدر وحب الأذى
والكيد والسطو وهضم الشعوبْ
والهدم والسلب وشل القوى
والحقد إن شعشع فكر خصيب
هذي دساتير الورى صاغها
منذ سقى الأرض النجيع الصبيب

☆☆☆☆

ما يدفع المرء إلى عاندٍ
رثٍّ من الأخلاق.. هل قلت لي؟
هل خسة الأنفس خلق إذا
دافعها ذو العزم لم تنزل
أم أنها النطفة؟ أم علُّها
غريزة للفوق لم تصقل

☆☆☆☆

الخير والشر جواثيمُها
مركوزة في خلقة الكائناتْ
بشّرت بالخير وغلّبتهُ
منّي تعللت بها كاذبات

«فاوست» لم تعصمه أخلاقه
بل إنها أخلاقك العاصمات

☆☆☆☆

يا شاعر الحب الذي لم يغض
في قلبه العمر ولم يفترِ
ما كانت السن حجازًا له
لا سن للخلّاقة العبقري
أحببت شيخًا فقمعت الهوى
وذقت ما دق على «ڤرتر»

☆☆☆☆

يا صاحب التمثال يهفو له
من أمم الأرض حجيج الأدبْ
أخوك في مصر كأن لم يكن
صناجة الإسلام ناي العرب
شوقي لئن أنصفه قومه
صاغوا له تمثاله من ذهب

☆☆☆☆

يا مصر كرَّمتِ ولم تبخلي
إلا على الموهوب والنابِهِ
هذا ابنك المُضْفِي عليك السنى
ينهل من معجز آدابه
إن قيل ما شأوك في حاضر
لم تعرفي يا مصر إلا به

****

حديث الحجر[1]

وقفة في ميدان الباستيل

مـعـقـلٌ نُـطِّـقَ مـرفـوع الـذرى
دُكَّ فـانـقـضَّ فـأمـسـى خـبـرا
جـعـل الـقـوم عـلـيـه آيـةً
نـصـبًا يـروي الأمـور الـكـبـرا[2]
حـجـرٌ يـلـحـظـه الـدهـر إلـى
يـوم يـطـوى خـاشـعًـا مـنـبـهـرا
خـضـخـض الـتـاريـخ فـاهـتـزَّ كما
هـزت الـنـكـبـاء غـصـنًا ثـمـرا
فـهـفـا يـخـفـض فـي حـضـرتـهِ
رأسـه مـخـتـشـعًـا مـنـكـسـرا
قـال والـنـشـوة فـي غـرتـه
كـافـح الإنـسـان ثـم انـتـصـرا
كـان حـتـى أمـس عـبـدًا بـشـرًا
فـاسـتـوى الـيـوم إلـهًـا بـشـرا

☆☆☆☆

حـجـر لـو قـد تـغـرَّسْـتَ بـه
لـم تـشـمْ عـيـنـاك إلا حـجـرا

---

(١) عزيز اباظة، ديوانه: ص ٣٨ - ٤٠.
(٢) النصب التذكاري المقام في مكان سجن الباستيل.

أدكـــن الـــلـــون وفـــي دكـنـتـه

ألـــق الـــنـــور إذا الـــنـــور سـرى

يـــا لأشـــــلاء عـــلـــيـــه ودمٍ

أنْـــشَـــرا الحـــق وكـــان انـــدثـــرا

لـيـس حـــيًّـــا ضـــارعٌ مـنـخـذلٌ

مُـــؤْثـــرٌ دون مـــنـــاه الحـــذرا

إنمـــا الحـــي مـــن انـــصـــبَّ علـى

ظـــالمـــيـــهِ حـــمـــمًـــا مـنـصـهـرا

يـــتـــحـــدى كـــل مـــن دافـــعـــهُ

عـــن مـــقـــام الحـــر حـتـى الـقـدرا

☆☆☆☆

طـفـت حـــولـــيْـــهِ أنـــاجـــيـــه كـمـا

طـفـتُ فـــي بـطـحـائـهـا مـعـتـمـرا

إنـــه مـــنـــهـــا... ألـــم يـهـد الـــورى؟

فـــاهـــتـدى بـــالمـثـل الـعـلـيـا الـــورى

قـــلـــت حـــدثـــنـــي فـــإنًـــا أمـــة

نـفـضَـتْ حـــاشـــدة عـنـهـا الـكـرى

ومـــضـــت تـسـعـى إلـــى غـايـاتـهـا

تـــركـــب الـيـسـر لـهـا والـعُـسُـرا

قـــال لـــي ثـــورتـــكـــم نـــقـــدُرُهـــا

كـــرمـــتْ فـــرعًـــا وطـــابـــت عـنـصـرا

ثـــورة عَــفَّــتْ فـلـم تـهـرق دمًــا

وهــو فــي الـثــورات يـجـري غــدرا

لــم نـكـن فـي كـرهـنـا مثلكمو

بــل ركــبـنــاه عـــرامًـــا أشـــرا

فـقـتـلـنـا ونــفــيـنـا زمـــرًا

وهــتـكـنـا وفـضـضـنـا سـتـرا

وأكــلــنـا فـــي سـعـار كَـلِـبٍ

مـحـسـنًـا أبـلـى ونـــذلًا غـدرا

كـانـت الـتـهـمـة إن يـقـذف بـهـا

- وهـــي خـرقـاء - دلـيـلًا سـفـرا

ثـم دب الـذعـر فـي أقـطـابـهـا

فـمـشـى كـلٌّ لـكـلٍّ مُـضْـجِـرا

ثــم أفـضـيـنـا لمـا تـعـرفـه

فـنـدمـنـا الـنـدم المسـتـعـرا

قـلـت مـا هـذا الـذي أنـشـده

لـم تـزد عَـمًّـا وعـيـنـا خـبـرا

قـال هـل يـبـذل نـصـحًـا حـجـرٌ؟!

قـلـت قـد تـقـدُرُ مـصـر الـحـجـرا

إنـهـا تـقـرأ فـي أهـرامـهـا

سـورًا مـزدحـمـات صـورا

عــزة جـلـلـهـا الـفـن سَـنًـى

وكـسـاهـا الـظـلـمَ وَشْـيًـا نـضـرا

قال لا تنحرفوا عن كرم
إن في إهداره المنحدرا
إنما الثورات في ميلادها
رجفةُ الكبتِ إذا ما انفجرا
فإذا أوفت إلى أهدافها
فاحطموا الناب وقُصُّوا الظُّفُرا
ادفنوا الماضيَ، مَن في دهرِهِ
لم يسيء؟ كلُّ جوادٍ عثرا
لا تقولوا فئة ظالمة
إن فيهم - قد علمنا - غررا
أو تقولوا أوجه مُخْلِقةٌ
يعتق الخمر فيزكو سكرا
ليس يجديكم ولا يكرمكمْ
أن تشلوا الكافيَ المقتدرا
وعليمًا خبر المال وما
دقَّ من مُعضله واستترا
ليست الخبرة إلا ثمرا
للتجاريب فصونوا الثمرا
لا تبيتوا بصدور نَغِلَتْ
لن يَحُلَّ الفضل صدرًا وغرا
فاقرنوا الصفح إلى العدل فما
صفح العادل إلا كبرا
واجمعوا أمتكم في نسقٍ
وارتقوا الشمل وشدوا بالعرى

واركـــبـــوا الـصــبــر إلـــى مـطـلـبـكـمْ

تـبـلـغـوه والــفــتـــى مـــن صــبــرا

إن تـــرسّــمـــتُـمْ خــطــى مـــن قـبـلـكـمْ

فـــخـــذوا الـــصـــفــو ونـــحـــوا الــكــدرا

غــلـــب الأيــــــام مـــن واكـــــب فـــي

سِـــفْـــرِهـــا أحـــداثـــهـــا فـاعـتـبـرا

☆☆☆☆

هـــكـــذا قـــــال فـــأثْـــبـــتُّ ومـــا

ســـاق لـــي إلا الـحـــجـــى والــبــصــرا

****

في پلاتزا فينيزيا[1]

«تحت شرفة موسيليني الشهيرة»

رأيتك مذ إحدى وعشرين حجةٍ
على الطُّنُف المحزون تهدر كالبحرِ
تدوِّي فيغشى الخلق والأرض رِعدةٌ
ويبلغ أقصى شأْوَه فزعُ الدهر
وحولك شعبٌ ما رأى منذ قيصر
سواك إلى أعلى هُماماته يجري
خفيفَ الخطى للعسر ما سُقْتَه له
ثقيلَ الخطى إن قلت حتى على اليسر
أَحَبَّكَ لم يعلم أَحُبٌّ مُوَسَّدٌ
على الحمد أم حب التوجس والذعر
وللذعر حبٌّ أن تجف عروقه
تَخَطٌّ لألوانٍ من المَقْتِ والغدر
ضربت عليه القهر ضربة لازبٍ
فأرقل للعلياء في ذلة القهر
أصابَ ثراءَ العبد في ظل رَبِّهِ
وقد كان يرضى دونَهُ فاقةَ الحُرِّ

(١) عزيز اباظة، ديوانه: ص ٥٣. كتبها في روما ١٩٥٠م.

تعلّمْ فحكم الفرد مهما يكن هدًى
وعدلًا فلن تحليه من طعمه المر
ومن صورة ألوانها الدم والدجى
فتحمر في عصر وتعبر في عصر
ولم أر مثل الحكم عبئًا لأهله
ولم أر كالحكام أبعد عن أجر
ولم أر كالمحكوم يسلخ عمرهُ
على قلق لا ينقضي أبد الدهر
يضيق بما يلقاه صدرًا فإن مضى
تمناه محشورًا له ضيّق الصدر
يندد بالشورى وينكر فضلها
لما يصحب الشورى من المد والجزر
فإن لاح حكم الفرد لج لجاجهُ
وقال منينا بالهوان وبالنكر
فإن زال لم يحمد وإن دام لم يطقْ
دواليك محذول السكينة والصبر
هي النفس والأهواء ملء فروجها
يروق لها التغييرُ حتى إلى شر
متى يكرم الإنسان حتى ليرعوي
بغير أمير ما؟ أيبلغ؟ من يدري

****

جعفر الناصري[1]

باريس[2]

دع الـوقـوف علـى الأطــلال والـدمـنِ
ومـــا تُــهَـيِّــجُ مـن شـجـو ومــن شـجـنِ
وعَـــدِّ عــن ذكْــر جـيـران بـذي سلم
وعـن بـكـاء اللـواتـي رُحْــنَ فـي الظعن
ولا تــهـمْ بــزمـــان زال رونـــقُـــهُ
وعـيشـه قـد مـضـى أحـلـى مـن الـوسن
والـــيـــوم قـــد درســـت عـنـا مـعـالمـه
كـــأن بـهـجـتـه الـــغـــراء لـــم تـكـن
إن المــنـــازل مـــن ســلْــعٍ ومـــن إضَــمٍ
مـعـاهـدٌ أقـفـرَتْ فــي ســالـف الـزمـن

---

(1) جعفر الناصري (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ = ١٨٩٢ - ١٩٧٦م)، شاعر مغربي زار باريس فبهرته الحضارة الغربية وانطبعت صورها في وجدانه العربي، وسجل هذه الزيارة في كتاب له بعنوان «الرحلة الباريسية»، تولى عدة وظائف رسمية كما اشتغل بالتدريس والوعظ. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٥/ ٥٦١.

(2) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: مج٥ ص٥٦١.

واذكر محاسن باريسٍ وما جمعتْ

مما يسليك عن أهل وعن وطن

فكل شئ بها مستحسن حسنٌ

وكل نفس بها تسلو عن الحَزَنِ

فالروض مزدهر، والزهر منتثرٌ

والوُرْقُ أعربَتِ الألحان في فنن

ناهيك من منظر عز النظير له

وحار في وصفه البليغ ذو اللسَن

لله أنهارها الملتف جانبها

ذات الخمائل والأدواح والغُصُن

أما القصور فقد أضحت مصافحة

نجم السماء وقد أزرت على القنن

كم في جوانبه من كل آنسة

بين الحسان أتت كالبدر في الدجن

فالورد من خدها استعار حمرتَهُ

والشمس في وجهها تجري مدى الزمن

في طرفها دَعَجٌ يزينه غَنَجٌ

وثغرها الجوهريْ درٌّ بلا ثمن

والقد يحكيه غصن البان في مَيَسٍ

وخصرها ضامر والردف ذو سمن

وكل من راءها سَرَتْ محبتها

في قلبه سريان الروح في البدن

إذا تـذكـرتـهـا طـار الـفـؤاد أسـى

وسـح دمـعـي كَـسَـحٍّ الـعـارض الـهـتن

باريس قد حـزت فـي ذا العصر منزلة

وتـهـت عـجـبًا عـلـى الأحـيـاء والمـدن

لا زال ربـعـكِ مـا هـو لا يـطيف بـه

أهـل الخـلاعـة والمـجُـون.والـدن

****

خيرالدين الزركلي[1]

في غابة بولونيا[2]

غَـــنِّ بـالـذِّكْـريـات لا بـالأمـانـي
إنمـــا الـــذكـريـــات عـــمـرٌ ثـــانِ
لـــيَ أمـســي ولـســتُ أمـلـك يـومـي
وغـــدي مـــا يـــزال مـلـك الـــزمـــان
بـالـصـبـابـات والـتـبـاريـح شـدوي
وإلـيـهـن بـعـد لأيٍ حـنـانـي
ضـحـكـتْ لـي غـابـات بـولـون يـومًا
وأرتـنـي الجـنـان تـلـك المـغـانـي
نَـسَّـقَـتْ دوحـهـا ظــلالاً لأسـرا
بٍ مـن الـريم رُتَّـعٍ فـي أمـانِ

(١) خيرالدين الزركلي (١٣١١ - ١٣٩٦ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٧٦ م)، شاعر سوري تنقل بين لبنان وسوريا ومصر والحجاز والأردن والمغرب والعراق، وزار إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان، عمل أستاذًا للتاريخ، وتقلد بعض المناصب الرسمية لأولاد الشريف حسين إبان الثورة العربية، كما مثل الحكومة السعودية في عدد من البلدان الغربية وزيرًا مفوضًا ومندوبًا فوق العادة. كان عضوًا بمجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد. وهو صاحب موسوعة «الأعلام». له ديوان بعنوان «ديوان الزركلي» ١٩٢٥م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٥٠٠.

(٢) خيرالدين الزركلي، ديوان الزركلي (الأعمال الشعرية الكاملة)، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م: ص ٢٩٣ - ٢٩٤. وقد كتب هذه القصيدة بباريس عام ١٩٤٦م.

فَـرَشَ السُّنْدُس البهيجُ بساطًا
زانـه لُؤلؤٌ مِنَ الغُدران
وتبارت أزهارها والغواني
أيُّهنَّ الأشهى لقلب العاني
حسد النرجس العيون متى كا
ن له ما بِهِنَّ من لمعان
وقدود الحسان يَخْطِرْنَ أنَّى
مثلُ ميلاتهنَّ للأغصان
كُتَلٌ من خلائق الله تَدَّفْـ
ـفَقُ من كل جنة زوجان
كل إلفين بين صَفَّيْنِ من زهـ
ـر الأقاحي والرَّنْدِ ملتفان
ساعدٌ آخذٌ بمقعدِ خصرٍ
ولسانٌ تمتصه شفتان
شَغل الناس، كُلُّ قيسٍ بليلا
ه فما للفضول من سلطان
قُبُلاتٌ لا تسمعُ الأُذْن إلا
نغماتٍ لهن كالألحان
ملتقى موعد، ومبعث حب
ما «كيوبيدُ» فيه بالمتواني

☆☆☆☆

ميُّ مهلًا، هنا مثار صبابا
تي ومهوى روحي ومثوى جناني

نـولـيـنـي، هـل نـحـن إلا كـمـن نبـ
ـحـر؟ قـلـبـان فـي الـهـوى خـافـقـان
هـي بـاريـس يـا أمـيـمـة جِـلٌ
لـلـمـحـبـين فـي حـمـاهـا الـتـدانـي
أوَ تَـنْـسَـيْنَ يـوم «دُوفِـيـل»[1] والـنجـ
ـم شـهـيـد ونـحـن مـنـتـشـيـان
قـال حـوذيُّـنـا وقـد هـتن الـغـيـ
ـث: أواريـكـمـا فـتـسـتـتـران
و «بِـرِسْـبَـاي» والـنـدامـى صـحـاه
أسـكـر الـدن مـقـلـة الـديـدبـان
مَـدَّ أنـفًـا وهـز كـفًّـا وأومـى:
طـاب ممسـاكـمـا وممسـى الحـانِ
هـي بـاريـس يـا أمـيـمـة، مـا شئـ
ـت ومـا شـاءه الـهـوى شـرعـان
مـا عـلـى الـعـاشـقـين فـيـهـا جـنـاح
أو يـشـقـى فـي جـنـة عـاشـقـان؟
المـنـاجـاة فـي حـدائـقـهـا الخـضـ
ـر تـرانـيـم، والحـديـث أغـان
لـتـلاقـي الـعـيـون نـشـوة خـمـر
ولـهـمـس الـقـلـوب وحـي بـيـان
المـنـى هـاهـنـا جـنـى لا الأمـانـي
والأمـانـي مـطـيـة الحـرمـان

☆☆☆☆

(١) دوفيل: مدينة شمال غرب فرنسا تقع في مقاطعة باس نورماندي، وتشتهر بطبيعتها الخلابة وطرزها المعمارية الساحرة.

ضمنا الليل بين جنحيه، صدرًا
فوق صدر، وعربد الثديان
لي من ثغرها ومن شفتيها
رشفات من مَغْسِلٍ ريان
جسدان انضما لزامًا فما تحـ
ـسب أن الذي ترى جسدان
قلت: ماذا؟ قالت، ولم تتكلم:
بك ما بي؟ وتنطق العينان
فتناولتُها فما أقصر الليـ
ـل علينا ونحن معتنقان
تتلوى وتستكين إلى أن
رفع الديك صوته بالأذان

☆☆☆☆

ميُّ إن تذكري فبيض ليالٍ
نحن كنا منهن في مهرجان
خُلَسٌ هن، أغمض الدهر عنها
عينه وهو ساهر الحدثان

****

أمين نخلة[1]

إلى بُوذْلير[2]

(عاش بودلير عليلًا، بائسًا، وبقي شعره خامل الذكر حتى قضى أجله، فأخرجوا، يومئذ، ديوانه «أزهار الأذى»، فملأ اسمه الدنيا...)

بَــــرَّدَ الــــفَــــيءُ المــــنــــدَّى شــفــتــيــكْ!
ولــــوى بــــالــــرِّفــــق والــــلِّــــين عــلــيــكْ
أنــت أَشــقــى الخــلــق بــالــعــيش، فــخــذْ
راحــــــة المــــوت بــكــلــتــا راحــتــيــك
مــــتَّ مــشــتــاقًــا كــظــيــمًــا ســاهــدًا
فــــأَرِحْ صــــــدرك، وامــــلأْ مــقــلــتــيك
أَمْــــرعَــــتْ «أزهــــــارك» الــــيــــوم، وقــد
حــمــدوا الجــنــي، وقــد فــــاؤوا إلــيــك
يــا لــهــا فــي الــزُّهــر مــن ريَّــانــةٍ
فــكــأنْ لــم تــسْــقــهــا مــن مــدمــعــيك

---

(١) أمين نخلة (١٣١٩-١٣٩٦هـ = ١٩٠١-١٩٧٦م) شاعر لبناني كبير، درس الحقوق في دمشق، وعمل بالمحاماة، وانتخب نائبًا عن جبل لبنان سنة ١٩٤٧م؛ وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: / .

(٢) أمين نخلة، ديوان أمين نخلة (المجموعة الكاملة)، إعداد إيهاب النجدي، ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠١: ص٢٠١.

انظرِ الدنيا، تجدْها أقبلتْ
تتمنّى نفحةً عن جانبيك
ليت شعري، أيُّ خزيٍ يعتري
شعراء الأرض إن قاموا لديك!
أنا، لو بُلِّغْتُ جئت القبر في
حرمة الموت، وقبّلتُ يديك

****

لامَرْتِين[1]

أُنشدت هذه المثناة في الحفلة التي أقيمت في الباروك، على النهر، لاستقبال الوفد الفرنسويِّ من «أصدقاء لامرتين» وقد جاء الوفد لبنان تذكارًا لمرور مائة سنة، على زيارة لامرتين لبلادنا، والتطويف في ربوعها، وكان له على ضفاف النهر في الباروك، (مسقط رأس صاحب الديوان) أيام هانئة.

يا أيُّها الشاعر الحبيبُ:
ما البعد، ما العتق، ما الزَّمنْ!
مزارك الأخضر القريبُ
في جيرة الماء والفَنَنْ

☆☆☆☆

هل تذكر «النَّهْرَ» في الصباحِ
و «النهرُ» في زينة النهارْ
إذ تبسط الشمسُ خيرَ ساحِ
ويبتني الظلُّ خيرَ دارْ؟

☆☆☆☆

وأنت في ظلَّةٍ مقيمُ
تنظرُ، أو تسمع الهديرْ
قد أَمسك الشاعرُ العظيمُ
فلا نظيمٌ، ولا نثيرْ

☆☆☆☆

(١) امين نخلة، ديوان امين نخلة: ص ٢٩٧-٢٩٨.

رأيتَ في «النهر» منك شيًّا
وفي الأَفانين، والظِّلالْ
قصيدةٌ زدتَها رويًّا
قصيدةُ اللَّهِ في الجمال!

☆☆☆☆

فنحن في بهجة الربيعِ
ما رقَّ ظلٌّ، وطاب ماءْ
نراك في شعرك البديع
على دواوين من بهاء!

☆☆☆☆

و«النَّهرُ» وهْو الوفيُّ، يجري
في أرض لبنانَ سرمدا
في كلِّ زاهٍ جرى، ونضْرٍ
يحمل من شعرك الصَّدى

✱✱✱✱

عبدالعزيز عتيق[1]

إلى الغرب[2]

أيـهـا الـغـرب عــذِّبِ الـشـرق عـذِّبْ
أضـــرمِ الـنـار بـيـنـنـا والـدخـانـا
وتـحــكَّــمْ فــي أهــلـه وتجـبـرْ
وتـفـنـنْ فـي قـهـرهِ طُـغـيـانـا
واحـشـد الـبـر والـبـحـار جـنـودًا
وإذا اسـطـعـت، فـامـلأ الـجـو جـانـا
لـيـس تـهـديـدكـم لـنـا بـمـخـيـف
لا، ولا عـسـفـكـم لـنـا أوهـانـا
إنــه الـحــق، ســوف نـدفـع عـنـه
كـل بــاغٍ يـسـومـه الـعـدوانـا

☆☆☆☆

(١) عبدالعزيز عتيق (١٣٢٤ - ١٣٩٦ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٧٦ م) شاعر مصري تلقى تعليمًا دينيًا ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها عام ١٩٣٢م، ثم سافر إلى إنجلترا وحصل على الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٤٨م. تقلد عددًا من المناصب الإدارية والثقافية، وعمل بالتدريس بجامعة بيروت العربية وكان أول من تولى عمادة كلية الآداب بها. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١١/ ٢٨٧.

(٢) عبدالعزيز العتيق، أحلام النخيل، ط مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦٠م: ص١٢.

أيـــهـــا الـمـســتـقــلُّ دعــنـــي وشــأنـــي
واقــصــر الــلــوم، إن قـــدرت، الآنـــا
أيـــهـــا الـمـســتـقــل أنـــت طــلــيــقٌ
لا تــبــالــي بــكــائــن مَـــنْ كــانــا
لا تــلُــمــنــي إذا غــضــبــتُ لــحــقــي
مـــا ألــفــنــا الإنــســـان يــبــقــى مــهــانــا
أيـــهـــا الـمـســتـقــل حــســبــك ألا
تــصــحــب الـــذل أو تـــذوق الــهــوانــا

****

الغرب والشرق[1]

قل لهذا الغرب: يا غربُ إلاما
تعشق الجور وتهوى الانقساما؟
كم بزيف القول أشقيتَ الورى
وبمحض الكيد آذيتَ السلاما
قد هبطتَ الشرقَ داءً معضلا
لم يَفُتْ شيخًا، ولم يرحم غلاما
فإلام العسْفُ والغدر بنا؟
وعلام اليوم حرمت الكلاما؟
الخداع المحض قد حلَّلْتَهُ
والكفاح الحق قد أمسى حراما!
أشخوص نحن، أو قوم لنا
مطلب قامت له الدنيا قياما؟
لا تحدث عنك قومًا عرفوا
أنك الخطب الذي غشّى الأناما
أو تلوِّح بالأكاذيب فما
أدوَمَ الذل، إذا ما القيد داما
كلما طفت بواد آمنٍ
طار عنه الأمن، والخوف أقاما!

☆☆☆☆

(١) عبدالعزيز العتيق، احلام النخيل: ص١٣ - ١٤.

يــا ذئـــاب الــغــرب قــد ضـقـنـا بكم
وسـئـمـنــا وجــهـكــم عــامًــا فــعــامــا
مــا عـليـكـم - لا جـنـيـتـم مـطـمـعًـا -
يــا ذوي الأطـمــاع أن تحـيَـوْا كـرامـا؟
أعــلـــى الـــلـــه أخـــــذتم مــوثــقًــا
أن تـسـوسـوا الـنـاس ظلمًا واجتكاما؟
ذلـــك الـــشـــرق الـــــذي يـبـغـضـكُـمْ
أقـــســـم الـــيـــوم عـــلـــى ألا يـنـامـا
ذلـــك الـــشـــرق الـــذي جـــاز المـدى
يـــوم هِـمْـتُــمْ بــالخـــرافـــات هـيـامـا
هـــب يــســعــى مــســتــعــيـدًا مــجــدَهُ
لـن يمـلَّ الـسـعـيَ، أو يـلقى الحِـمَـامـا
فـــاتـقــوا الـــشـــرق، وخـــافـــوا بـطـشـه
إن «ســعــدًا» أيـقـظ الـشـرق ونـامـا[1]!

****

(١) هو الزعيم سعد زغلول.

محمود حسن إسماعيل[1]

راهب الغرب[2]

هـاجـهـا مــزهــري وقــد خــنــق الـقـيـ
ـــدُ أنـــاشـــيـــدَهُ فـــضـــجَّ وثــــارا
وهْـــي حـيـرى تُـطِـلُّ لَـهْـفَـى عـلـى الـنـيـ
ـــل وتـــرنـــو لـمـتـعـبـيـن حـيـارى
مـنـذ خـمـسـين.. لـم تـحـرك إلـيـهـم
قـدمًــا، أو تُــطِــقْ إلـيـهـم مــزارا
درجَــتْ فـي الـسـنـين مـن عـهـد «خـوفـو»
حـــرة مـــا وعـــت لـديـهـا إســـارا
عـقـدت تـاجـهـا عـلـى الـشـمـس كـبـرًا
أن يُـحَـلَّـى جـــواهـــرًا ونـــضـــارا

---

(١)محمود حسن إسماعيل (١٣٢٨ - ١٣٩٧ هـ = ١٩١٠ - ١٩٧٧م) شاعر مصري كبير من أعلام الحركة الرومانسية العربية سافر إلى عدد من الدول الأوروبية، وعمل مساعدًا للدكتور طه حسين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتولى إدارة البرامج الثقافية والدينية بالإذاعة المصرية، وانشا بها إذاعة القرآن الكريم، وعمل مستشارًا بلجنة المناهج بوزارة التربية بالكويت حتى وفاته. أصدر عددًا من الدواوين اولها «أغاني الكوخ» عام ١٩٣٥م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٠٩/١٩.

(٢)محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة، ط١ دار سعاد الصباح، الكويت/ القاهرة ١٩٩٣م: ص٩٩ - ١٠٦. القيت في أحد المؤتمرات الوطنية التي عقدها الشباب في مصر احتجاجًا على تصريح المستر هور وزير خارجية إنجلتر إبان ثورة سنة ١٩٣٥م.

وبنت عرشها على مفرق الأهـ
ـرام زهوًا بمجدها وافتخارا
وجرى النيل ساجدًا بين كفيـ
ـها جلالاً وروعةً وصَغارا
ثم دار الزمان دورة نحسٍ
فإذا حظها مع النحس دارا
وإذا راهب أتاها من الغر
ب تقيٌّ يروم منها الجوار
قال: إنجيليَ السلام فقالتْ:
مرحبًا بالسلام خِلًّا وجارا
أنا ريحانة الغريب، وكهفٌ
لِلَّذي عَزَّهُ الحِمَى فاستجارا
نيليَ الخمر.. ذق طلاه وقل لي:
أين خَفَّ الجَنان منك فطارا؟
سَلْسَلٌ يُلْهِمُ الهدى للذي ضلـ
ـلَ وإن كان فاجرًا كفّارا
وجناني مُنَضَّرات حَوَالٍ
حالمات تروِّع الأفكارا
جَوْسَةٌ في خلالها تُرقص الرو
ح صفاء، وتُسكر الأعمار
كانت الطير سُكَّتًا .. فتهادت
في سمائي فهاجت الأطيارا
فإذا ما المساء عطَّل فاها
نقرَتْ في الصباح دُفًّا وطارا
أنا في الشرق هالة لو رآها
فاقد اللمح فجَّر الأنوارا

أنطقَتْ «بنتئور» في صمته الدهـ
ـر فغنى وخلّد الأشعارا[1]

أنا دير الجمال يا راهب الغر
ب فهيِّجْ بساحتي المزمارا

جُسْ رِحابي وطف حواليَّ واخشع
وادعُ ما شئت جهرةً وسرارا

إن للضيف في حمايَ - وإن ذلْ
لَ حماه - معزةً، ووقارا

فشجى الراهب المقنَّع ماقا
لت، وألقى عن جانبيه العذارا

وسرى في الديار تصحبه الفتـ
ـكة أنَّى مشى وأيان سارا

ساطيًا في الخفاء آنًا، وآنًا
يختِلُ الناس لا يبالي جهارا

أطمَعَتْهُ غضاضة القوم حتى
ظنهم - ضَلَّةً - لديه أسارى

فبدا بينهم هِزبرًا إذا ما
صاح خلف القطيع ولى فرارا

كلما ضج منهمُ قلبُ حرٍّ
أترع الكأس من دماه عقارا

وقِّحَتْ طَبْعَهُ القذائف تُلْقى
لم يرعها الردى، ولم تخش ثارا

تسفك الروح باللظى وهْي ثملى
راويات من الدماء، سكارى

عَلَّمَتْهُ السَّفاهَ في منطق الحقْ
قِ فأخزت حياءه المستعارا

(١) بنتاؤر: شاعر فرعوني قديم خلد موقعة قادش بملحمة من الشعر القصصي.

قالـهـا «هُــورُ» كلْمـة ساقـهـا البطـ

ـش فَـجَـرَّتْ عـلـى حـمـى الـنـيـل عـارا

كـم أسـت أنـفـسًـا وأفـنـت ضـحـايـا

فــي صــداهــا، وجــرحــت أحـــرارا

أيقظت (مصر) من سبات لو ان الصّـ

ـصَـخـر فـيـه لمـا أطـاق الـغـرارا

فـرنـت نـحـو ضـيـفـهـا غَـلَّ عُـتـبًـا

يـرعـوي مـنـه أو يـسـوق اعـتـذارا

فـإذا بـالـمُـسُـوح شَـعْـراتُ ذئـبٍ

خـشِـيَ الـسـطـو جـهـرة فـتـوارى

وإذا الـدِّيْـرُ فَـوْرَةٌ مـن دِمَـاءٍ

تـتـلـظـى فـتـفـزعُ الأقـــدارا

وإذا بـالـتـي شـجـاهـا نـشـيـدي

ومَـــرَى جـفـنـهـا الـدمـوع الـغـزارا

هــي (مــصــر) الـتـي أثـار شـجـاهـا

أن تـطـيـق الـقـلـوب عـنـهـا اصـطـبـارا

كـبَّـلـوهـا بـكـل قـيـدٍ أثـيـم

عـاقـهـا أن تـجـوس تـلـك الـديـارا

سـألَـتْـهُـم: عـلام أَسْـري؟ فَـصَـمُّـوا

وأصــرُّوا واسْـتـكـبَـروا اسْـتِـكـبـارا

☆☆☆☆

فـابـعـثـوهـا تُـصِـمُّ سـمـعَ الـلَّـيـالـي

ثَــوْرةً تُـضـرِمُ الـسِّـمَـاكَـيْـنَ نـارا

مـاتَ عـهـدُ الـكـلام فَـلْـنَـجْـعـل الـثَّـوْ

رةَ والمـوتَ لـلـجِـهـادِ شِـعَـارًا

****

مرثية غصن الزيتون(١)

إلى رفات ملك إثيوبيا صرخة السّلام

في الحرب الإيطالية بالحبشة

لا زهــــرُهُ يــنــدَى، ولا هــوَ يَـنْـفـحُ
ذاوٍ عـلـى طـرف الـصَّـبـا مُـتـصـوِّحُ
رَيَّـــانُ أَمْـسَـيَـسُ هَـدَّلَـتْ أطـرافـه
هَـوْجـاءُ مـن نـارِ الـمطـامـع تَـلْـفـحُ
فَـرْعٌ مـن الـزَّيْـتـون لـم يَـخْـفـقْ له
فَـنَـنٌ، ولـم يَـسْـجَـعْ عـلـيـه صـيْـدَحُ
أنـــداؤُهُ مـن حـكـمـةٍ أَبَـدِيـة
صَـمـتَـتْ فـمـا تَـلْـغُـو ولا تَـتـفـصَّـحُ
وغـــذاؤُه مـن رحـمـةٍ عُـلـوِيَّـةٍ
يـضـفـو بـهـا طـيـفٌ هـنـاك مـجـنَّـح
فـخـذِ الـسـلام قـصـيـدةً قـدسـيـةً
يـشـدو بـهـا شـادي الـسـلام ويـصـدح
لـو رن هـاتـفـهـا بـسـمـع كـتـيـبة
هـوجـاء فـي رَهَـج الـلَّـظـى تـتـرجـح
سـجـدَتْ لـه الأسـيـاف خـجلـى رهـبة
وتـكـفَّـأَتْ فـوق الـثـرى تـتـطـوح

☆☆☆☆

يـا سَـرْجـةً بِـرُواق «جـيـنـيـفَ» ارتـوتْ
مـن جـدولٍ بـدم الـضـحـايـا يـنـضـح

(١) محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة: ص١٢٨ - ١٣٣.

نبعٌ من الأرواح سَلْسَلَ فيضهُ
وجرى على بطحائها يتفوّح
ينساب من خلل الجماجم صاخبًا
أمواجه من كل عِرْقٍ تطفح
ماذا دهاك فلم يدع سوسانة
- من هوله - في جانبيك تفتح
صوت من الطّليان أروع غاشم
متحفز بين الورى يتبجح
خدعَتْهُ صامتةُ القنابل حينما
ذهبت تهدد بالردى وتلوح
مجنونة بالموت جُنَّ حديدها
ومريدها خطرًا يَرُوع ويفدح
رعناء لو مسَّتْ مطارف شاهق
لانْدَكَّ من عالي الذرا يتطرح
سكرى بخمر الموت تهذي جهرة
بملاحنٍ من كبْرها تتوقح
خرساء لو نطقت أصمَّ ضجيجُها
أُذْنَ الحياة، فلا تعي ما تفصح
حبلى بنسل النار، يا ويلاه إن
ولدَتْ فحتفٌ للبرية يكسح
كم أفزعت «عزريلَ» حين تبرجت
تلهو على جثث العباد وتمرح
☆☆☆☆
سل أمة الأحباش.. كيف تفزَّعَتْ
وغدت على قُضُب القنا تترنح
لم تغنها الأجيال تعصم هاريًا
أو شاكيًا تحت المغامر يرزح
خيماتها في الحرب لو أبصرتَها
شعلاً على كنف الهواضب تلمح

هـي ألـسـنٌ لـلـحـقِّ ذاع بيانـهـا
ضـرمًـا عـن الـوجـد المكتَّم يفصح
يـا رُبَّ مُـسْـوَدِّ الجـبـين بظلـهـا
قـسـمـاتـه عـنـد الـوغـى تـتـوضـح
يـصـلـيـه إيمـان الـعـزائـم بـالـلـظى
فـيـظـل مـن قـبـسـاتـه يـتـروح
يَـلْـقَـى الـطـغـاة بـعـزمـة لـو صـادفـت
قـلـب الحـديـد لخـر بـالـدم يـرشـح

☆☆☆☆

يـا فـارس الـروم الـعـنـيـد تحية
مـن شـاعـر بـالـلـوم جـاءك يـصـدح
أنـغـامـه فـي الـنـيـل ضـيَّـعـهـا الأسـى
وهـي الـتـي بـهـوى الـبـلاد تُـسَـبِّـحُ
عـذريـة تـشـدو فـإن هـي أقـبـلَـتْ
تـأسـو يـراوغـهـا الـشـمـات فـيـجـرح
صـرخَـتْ عـلـى حـريـة مـسـلـوبـة
شـعـراؤهـا فـي كـل فـج نُـوَّحُ
مـا ضـر لـو أمـهـلْـتَ - طـائـشـة الـوغـى
قـومًـا تـغـادوا بـالـشُّـكَـاة وروحـوا؟
أوطـانـهـم! يـا رحـمـتـا لمـصـيـرهـا
أمـل لـسـفـاك الـطـغـاة ومـطـمـح
فـزعـوا مـن الـغـازات تـخـنُـق جـوَّهُـمْ
فـيـضـوع بـالمـوت الأصـم ويـنـفـح
الـلـه طـهَّـره هـواءً طـيـبًـا
كـالـروض ضـمَّـخَـهُ الـعـبـيـر الأفـيـح
وابـن الـتـراب .. أحـالـه مـسـمـومـة
نـكـبـاء ذاريـةٌ تُـبـيـد وتـفـدح

****

إلى ضمير الإنسانية(1)

زفرة على فلسطين الدامية
وإلى ريح «التاميز» العاتية

صوتٌ بأرض القدس مشتعلُ الصّدَى
كادت له الأكبادُ أن تتوقدا
لما تأوَّهَ صارخًا بين الورى
أسيانَ يُرْزِمُ تحت نيران العدا
جَزِع «المسيحُ» له ولولا طُهْرُهُ
ما مدَّ للرحمات كفًّا أو يدا
رُهْبانه في الغرب منبعُ حِكمةٍ
ما غُلِّفت يومًا لملتمسِ الهدَى
رشفوا من «الإنجيل» فيض رشادِهِ
وتخشّعوا حول الهياكل سُجّدا
وشدوا بملْحمةِ السلام ورنَّموا
مزموره للكون خلَّابَ الصدَى
لكنَّ شعبَهُمُ أثار عَجاجةً
في الشرق طافحةً بأهوال الردَى
فإذا التعاليم التي هتفوا بها
من سَوْرَةِ الأطماع قد ضاعت سُدى

---

(1) محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة: ص٣٧٥ - ٣٨٠.

وإذا بلحن السلم بين شفاهِهِمْ

عصفتْ به شَهَواتُهُمْ فتبَدَّدا

تَخِذوا الرصاصَ شريعةً قدسيَّةً

وقذائفَ الأرواح نهجًا مرشدا

لم يرهبوا التاريخ في استعمارِهِمْ

أنّى سَطَوْا وكَزوه أروعَ سيِّدا

لطموه في القدس المحرَّمِ لَطْمةً

كادت لها الأجبال أن تتهدّدا

مهْدُ الشرائع من قديمٍ ما له

أضحَى لأحرار البريَّة مَوْقدا

في كل مُرتَبَعٍ به وحنيَّةٍ

تلقَى صريعًا في التراب مُمدّدا

هانت على البطل المجاهد نفسُه

فسعَى لحوض الموت يطلب مَوْردا

ألقى إلى اللهب المسعَّر روحَه

وكذا يكون الحرُّ في يوم الفِدا

الله في وطَن النبُوّةِ ! نال من

شَرِهِ الطُغاة اليومَ حظًّا أنكدا

الفتنةُ الشّغواء هاجت قلبه

لم تُبقِ فيه كنيسةً أو مسجدا

شرعت من الرقِّ البغيض سلاحَها

تتفزَّعُ الأقدار إما جُرِّدا

صرخ الضعيف شِكايةً من هولها

فمَحَا اللهيبُ صُراخَه فتشرّدا

فتخاله والصدرُ يَنْفثُ نارَه

من كل زافرة تُريق الأكبُدا

حَمَلاً يَدُ الجزّار دقّتْ عمرَهُ

فقضَى بصرخته على حَدِّ المُدَى

مِحَنٌ مُرَزِّئَةٌ وموتٌ عاصفٌ

لم يُبْقِ شيخًا في الحمَى أو أمْردا

يا رُبّ وادٍ في الصباح منضّرٍ

غَيْسانَ باكَرَهُ السنا فتأوّدا

لما دهَتْه الحادثات ضُحَيَّةً

وسرَى دُخَان الموت أقْتَمَ أربدا

نفضتْ خمائلُه شبيَّةَ عمرها

وتَصَاوحتْ فغدت مَحيلاً أجْردا

ما ذنبها؟ ما ذنبُ صَيْدَحِها الذي

قد كان يسجع في الظلائل منشدا

خُنِقتْ مزاهره ومات نشيدُهُ

ونأى عن الوطن الحبيب وأُفْردا

لولا هياجُ الحرِّ ديسَ مِهادُهُ

لثوَى بجنته وظلَّ مغرِّدا

يا يومَ «بلَفْورٍ»(١) وشؤمُكَ خالدٌ

ما ضرّ لو أخلفت هذا الموعدا؟

عاهدْتَ أعزالَ الجسوم، سلاحُهم

ما كان إلا الحقّ صاح مقيّدا

---

(١) إشارة إلى الرسالة التي بعث بها عام ١٩١٧م أرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى اللورد ليونيل ولتردي روتشليد زعيم الطائفة اليهودية في إنجلترا يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين؛ وهي الإشارة المعروفة بوعد بلفور.

وتـركـتَـهـم رهْـــنَ المـطـامـع تـبْـتَـغِـي
منـهـم عـلـى حـــرِّ المــواطــن أغْـبـدا
ثــــاروا بـــأرض الـلـه ثــــورةَ عـاجـزٍ
سـمـع الــقــويُّ شَـكـاتَــه فـتـوعَّـدا
هـاجـوا عـلـى الأصـفـاد هَـيْـجـةَ نـاسـكٍ
زحَـمَـتْـه آثـــامُ الـصِّـبـا فـتـمـرّدا
هـجمَتْ على الـغـار المطهَّر فـي الـدجَى
فـأثــار عُـزلـتَــه، وهـــاج المـعـبـدا
ضـجـوا عـلـى «نَـابِـلُـسَ» حـتـى كـاد من
صَـخَـبِ الأسَـــى والحــزن أن يـتـنـهّدا
عـجـبًـا يـكـاد الـصـخـر يـدمـع رحـمـةً
لَـــهُـــمُ وقـلــبُ الآدمـــــيِّ تَـصـلَّـدا
ومــعــالــم الإســـــلام بـــين ربـوعـهـم
كـــادت تُـــزَمْـــجِــر لـهـفـةً وتــوجُّــدا
بـسـطَـتْ إلــى قـدم الـنـزيـل رحـابَـهـا
فـبـغَـى عـلـى قـسـمـاتـهـا وتـهـدّدا
وهْـــوَ الـــذي لــولا نـعـيـم ظـلالـهـا
لمضَـى عـلـى كَـنَـفِ الـوجـود مُـشَـرّدا
والـشـرقُ؟ وَيْــحَ الـشـرقِ نـام أسـودُه
عِن ثائر في القدس ضجّ وأرعـــدا
شَـلّـتْ عزائمُـهـم ونـامَ جهادهــــم
وتَصرّعـوا فــــي كل مهدٍ هُجّدا

****

محمود أبوالوفا[(١)]

في باريس[(٢)]

مـا فـي دمـوعـك؟ قـلـت: قـلـبٌ ذائـبُ
مـا فـي ضـلـوعـك؟ قـلـت: حـبٌّ صـادي
أحـمـائـم الـــوادي، وفـيـكـنَّ الـهـوى
هـل مـن يـبـل صـدًى كـنـار الـوادي
لـيـت الـتـي قـد بـات يـهـتـف بـاسـمـهـا
ويـشـيـد قـالـت: مـا اسـم هـذا الـشـادي؟
ضُـنـتُ الـوداد هـنـا، ومـا ضَـيَّـعْـتُـهُ
أتــراهُـــمُ صـــانـــوا هـــنـــاك ودادي
طُـولـي لـيـالـي الـبـين لا تـتـقـاصـري
لأُرِي الـــزمـــان عـنـــاده وعـنـــادي

(١)محمود أبوالوفا (١٣١٨ - ١٤٠٠ هـ = ١٩٠٠ - ١٩٧٩م) شاعر مصري مجدد عاش في مصر وفرنسا وتنقل بين عدد من المهن الصناعات الصغيرة حتى استقر بالانضمام إلى أسرة تحرير مجلة «المقتطف» ثم عمل منيعًا بالإذاعة المصرية. له عدة دواوين أولها «أنفس محترقة» ١٩٣٢م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٩/٤٥٦.

(٢)محمود أبوالوفا، دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م: ص١٤١ - ١٤٣. قصيدة أجاب بها الأدباء والشعراء الذين ألقوا كلماتهم وأنشدوا قصائدهم ترحيبًا به في باريس.

إنـي اطّـلـبْـتُ المـجـدَ مـن عـمـلـي أنـا
لا مــن يــد الأقـــدار والأجــــداد
قــسـمًـا بــذات المــجـد، إمــا نـلـتُـهـا
أو نـلـت فـيـهـا، فـخـر الاسـتـشـهـاد
يـا عـتـرة الـضـاد الـكـرام إلـى الـعـلا
هــيـا ، فــإنــكـمُ رجـــاء الــضــاد
أنـــتـــم ســـواعـــدهـــا إلـــى آمــالــهــا
أنـــتـــم مـــراقـــيـــهـــا إلـــى الأمـــجـــاد
وطـنـي هــي الـفـصـحـى، فـكـل بـلادهـا
فـي مـصـر أو فـي الـشـام.. هـن بـلادي
هـــذا هـــو الـــوطـــن الـــذي أحـيـا لـه
ولــه أوالـــي - صـــادقًـــا - وأعـــادي
مـــا نِـمْـــتُ إلا أن تـكـونـي حـرة
فــي مـصـر فــي لـبـنـان فــي بـغـداد
(بـاريـس) جـئـت بـذات جـسـمـي شـاكـيًـا
فـصـدرتُ أشـكـو مـنـك ذات فـؤادي
حـريـة الأرواح، تـلـك هـي المـنـى
لـلـنـاس، لا حـريـة الأجـسـاد
الـنـاس.. مـا دامـوا عـبـيـد مـيـولـهـم
مـا الـفـرق بـين حـواضـر وبـوادي
حـرِّرْ طـبـاع الـنـاس مـن أصـفـادهـا
تـلـقَ الـحـيـاة خَـلَـتْ مـن الأصـفـاد

****

يا صاحب البؤساء[1]

يـا صـاحـب الـبـؤسـاء، جـاءك شـاعـرٌ
يـشـكـو مـن الـزمـن الـلـئـيـم الـعـاتـي
لــم يـكـفـه أنـــي عــلـى عـكـــازة
أمـشـي.. فَـحَـطُّ الـصـخـر فـي طرقـاتـي
ثـم انـثـنـى، يُـزجـي عـلـيَّ مـصـائـبًا
سُـحُـبًـا، كـقـطـعـان الـدجـى جـهـمـات
فـي لـيـلـهـن فـقـدتُ آمـالـي الألَـى
صـاحـبـنـنـي مُـذْ لاح فـجـر حـيـاتـي
فـغـدوت فـي الـدنـيـا ولا أدري: أمـن
أحـيـائـهـا أنـا، أم مـن الأمـوات؟

☆☆☆☆

خـفـفـت يـا «هـوجـو» عـلـيـك فـلـم أطـل
وبـعـثـتـهـا فـصـلـين مـن مـأسـاتـي
ولـو انـنـي أَعْـطـيـتُ بـؤسـي حـقَّـهُ
وصـفًـا.. لـصـوَّرَ مـعـرض الـنـكـبـات

****

(١) محمود ابو الوفا، دواوين شعره ودراسات باقلام معاصريه: ص١٣١ - ١٣٢.

الكويت
2011